



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الرابعة عشرة

تموز - كانون أول ١٩٩٠ م

العدد ٣٩

ذو القعدة - ربيع الثاني ١٤١١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء:

الأستاذ الدكتور محمود السمره
الأستاذ الدكتور سعيد التل
الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم
الأستاذ عبد الرحمن بشتاق
الأستاذ الدكتور فتنديل شاكر
الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير
الأستاذ الدكتور إحسان عباس
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عرييات
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدّوري
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
الأستاذ الدكتور همام غصيب

نائب رئيس المجمع

فهرس العدد ٣٩ لعام ١٩٩٠

- أولاً : البحوث ٩
- ١ - الذهاب من مواد النحو القديم في العربية الحديثة ١١
 - ٢ - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة د. عدنان الخطيب ٦٧
 - ٣ - صورة عاد في الشعر الجاهلي د. أنور أبو سويلم ١٢٣
 - ٤ - ما وصل إلينا من شعر عباس بن فرناس د. صلاح جرار ١٥٥
 - ٥ - الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي د. عبد الغني زيتوني ١٧٩
 - ٦ - صنع دواوين الشعراء ونظرة في شعر زفر بن الحارث المجموع ٢١٣
- المهندس حاتم غنيم
- ثانياً : مع الكتب ٢٥٥
- ١ - التاريخ الدبلوماسي للمغرب، للدكتور عبد الهادي التازي ٢٥٧
 - ٢ - كتيب مخطوط للسلفي ، حله باللغة الفرنسية جورج فاجدا ، ٢٨١
- نقله إلى العربية وعقب عليه الأستاذ محمد خير البقاعي
- ثالثاً : تعليقات ومناقشات ٣١٩
- ١ - ديوان عبد الله بن رواحة ، نقد واستدراك الأستاذ عبد الكريم الحبيب ٣٢١
- رابعاً : أخبار جمعية ٣٤٣
- مشروع قانون اللغة العربية ٣٤٥
 - قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر ٣٤٩
 - مشاركة المجمع في الحركة الثقافية والعلمية ٣٥٠
 - مجتمعون في ذمة الله ٣٥٥
 - تأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي ٣٦١

البحوث

الدَّاهِب

من

مَوَادِّ النَّحْوِ الْقَدِيمِ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ

د. إبراهيم السَّامِرَائِي

المقدمة

تميز المعجم الحديث في "عربيتنا الحديثة" بسعة ما جدّ فيه من المولدات التي يدخل كثير منها في باب المصطلحات الفنية. إنك لتجد من ذلك طائفة كبيرة في كل علم من العلوم الحديثة، وفي كل فن من فنون الحياة. وإن هذا الجديد يؤلف معجماً في كل باب من أبواب العلم الحديث. وقد يكون الجديد في هذه العربية شيئاً آخر نقف عليه كل يوم في الصحف والمجلات والكتب. وهذا الجديد يندرج في وجوه القول مجازاتٍ وتشبيهاتٍ، وشيئاً آخر أدّى إليه التوسع والنظر الجديد. إن جملة ذلك يندرج في باب ما ندعوه بـ "التطور" الذي اقتضاه العصر. وهذا شيء لا بد منه في كل لغة حديثة.

ومن هنا كان لازماً علينا أن ندخل جماع هذا في شيء ندعوه "المعجم الحديث". إن هذا المعجم، على كونه وثيق الصلة بالمعجم القديم، إلا أنه جديد في كل شيء، ذلك أن مواده تختلف دلالة واستعمالاً عن نظائرها وأصولها القديمة. وأنت لا تجد في المعجم الحديث طائفة كبيرة من الكلم القديم الذي ذهب قيمته في عصرنا، فأصبح مادة تاريخية نواجهها في النصوص القديمة، وفي أبواب المعارف القديمة.

ومن هذا الذي زال في عربيتنا الحديثة شيء كثير من مواد النحو. وقد رأيت أن أعرض لهذا الزائل الذي لا نعرفه في لغتنا الجديدة، ولا يرد فيما نكتب

وما نقول. وأنا أدرج هذا الذي سأعرض له في هذا الموجز من الصناعة المعجمية بحسب ترتيب حروف المعجم^(١)، وقد أفرغت ما لديّ من مواد أودعتها حشداً من الجزّات.

إن عملي هذا يدفع إلى أن حاجتنا إلى نحو جديد في العربية يُقدّم إلى الشداة المتعلمين في المرحلتين الدراسيتين، الابتدائية والثانوية ضرورية وهو بعيد عن تلك المواد التي لا يراها الدارسون في العربية الحديثة. وهذا يعني أن النحو كما ورثناه يكون حاجة الدارسين للعربية في الأقسام الخاصة في كليات الآداب وغيرها.

باب الهمزة

١- الهمزة لنداء القريب حقيقية أو تصوّراً، نحو قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

أقول: قد تستعمل هذه في عصرنا فتد في شعر الملتزمين بالقافية والوزن، والشاعر في فنه هذا محكوم بصنّعه. وقد يرد منها شيء، على سبيل الندرة، في شعر أصحاب الشعر الجديد. ولكن أستطيع أن أقطع أن المترسلين نثراً في المقالة والقصة والرواية ونحو ذلك لا يجنحون إلى استعمال هذه الهمزة في باب النداء إلاّ ابتغاء التفاسح لدى نفر منهم.

٢- همزة التسوية:

وهي الهمزة الداخلة على جملة يصح وقوع المصدر موقعها، وتكون بعد "سواء" أو "ما أبالي" أو "ليت شعري" أو "ما أدري" نحو قوله تعالى:

(١) أثبتت الكلمة بحسب الحرف الأول غير ناظر إلى أصلها.

(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) ٦ سورة البقرة

ويلي هذه الهمزة كلمة "أم" المعادلة.

وقول الشاعر :

وما أدري ولسنتُ إخال أدري أقومُ آلُ حصنٍ أم نساء

أقول: وتسقط هذه الهمزة بعد شيء من هذه الألفاظ، ثم تليها كلمة "أم" في العربية المعاصرة، يقال: سواء حضرت أم لم تحضر.

نعم، قد تسقط الهمزة في الفصيحة القديمة، ولكنها مقدرة موجودة، كما في الآية السابقة، فقد قرئت بإسقاط الهمزة، وهي مقدرة لدى أهل اللغة، وسقوط هذا ليس كسقوطها في العربية الحديثة، ذلك أن المعربين يسقطونها، وليس على نية التقدير.

الألف:

١- وأريد بها المبدلة من نون التوكيد الخفيفة، كما في قوله تعالى:

(وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) ٣٢ سورة يوسف.

وهذه ترد كثيراً في الشعر القديم، كقول أحدهم:

وإياك والميتات لا تَقْرَبَنَّهَا ولا تعبد الشيطان، والله فاعبدا^(٢)

والتقدير: "فاعبدن".

(٢) مغني اللبيب ص ٣٧٢ (ط. دار الكتاب العربي).

2- الألف عوضاً من المضاف إليه، وهي التي تزداد في "بين" كقولك: بَيْنَا كُنْتُ أَسِيرَ لِمَحْنُكَ مِنْ بَعِيدٍ.

أقول: لا نعرف هذه الألف في العربية المعاصرة، والمعربون يستعملون "بينما" وهم يصلون إلى ما يريدون.

٣- الألف الزائدة في المنادى المستغاث أو المتعجب منه أو المندوب، نحو:

يَا يَزِيدَا لِأَمَلٍ نَيْلٍ عِزٌّ وَغِنًى بَعْدَ فَاقَةٍ وَهَوَانٍ^(٣)

وقال جرير:

حُمِّلْتُ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتُ لَهُ وَفُتِّتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا^(٤)

وقد يرد هذا بعد "وا" في الندبة نحو قول المتنبي:

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ وَمَنْ بِجَسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ

وليس هذا خاصاً بالشعر فقد يقال: يا عجا لك.

أقول: ولا نعرف هذا في العربية الحديثة، بل إن باب الاستغاثة والندبة قد أوشك جملةً أن يزول. وإن المعربين يعربون عن الاستغاثة وما يندرج في الندبة بأساليبهم فيظهرون توجعهم وتقجعهم وأسفهم في غير هذه "القبالب".

(٣) مغني اللبيب ص ٣٧١.

(٤) مغني اللبيب ص ٣٧٢.

آمين:

قالوا: اسم فعل أمر مبني على الفتح، بمعنى استجب، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ولا أريد أن أعرض لما ورد من لغات، ولكنني أقول إن بناء "فاعيل" لم يرد في العربية، ومن هنا فهو دخيل فيها من لغات سامية، وهو كذلك في العبرانية^(٥) يرد هذا على وجه الخصوص بعد تلاوة سورة الفاتحة.

وفي شواهد النحو قول الشاعر:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حَبَّهَا أَبَدًا ويرحم الله عبداً قال آمينا^(٦)

أقول: وبقي "آمين" في عصرنا مقصوراً على قوله بعد تمام تلاوة "الفاتحة" وربما تجاوز هذا الموطن في الكلام الدارج.

أقول: والكثير مما اصطلح عليه أسماء الأفعال قد أوشك أن يزول، بل زال بعضه ونسي، وسنرى في استقرائنا لمواد هذا المعجم شيئاً من ذلك.

آه:

قالوا: اسم فعل مضارع بمعنى "أتوجع" مبني على الكسر، وهي لغة في "أوه" وقد تنوّن فيقال: آه.

(٥) وقد ورد من هذا "قائيل"، والبناء معروف في اللغة السريانية، فمن أعلام النصارى بابل وقائيل، وناصيف.

(٦) شذور الذهب ص ١١٦.

أقول "آه" وجملة أخرى من كلمات هي في حقيقة الأمر أصوات يطلقها الإنسان للإعراب عن حال عاطفية خاصة من ألم وخوف ودهشة ونحو ذلك، وقد وضع لها النحاة معاني فعلية وأدرجوها في باب "اسم الفعل".

وهذه نادرة الحضور في العربية المعاصرة، وقد يأتي شيء منها في معرض القصص.

أب: ترد بحرفين فتعرب بالحركات، وترد معربة بالحروف (الواو والألف والياء).

أقول: وهذه معروفة في العربية الحديثة إلا ما كان منها بلغة القصر،

كقولهم:

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا^(٧)

فإنها لغة قديمة لم يبق شيء منها في عربيتنا الحديثة.

أَبْتَعَ:

من ألفاظ التوكيد المعنوي، ومؤنثها ابتعاء، ولا تضاف إلى ضمير المؤكد، وتجيء لتقوية معنى "كلّ" في التوكيد التي تسبق ألفاظ التوكيد وهي: أَبْتَعَ، وَأَبْصَعَ، وَأَجْمَعَ، وَأَكْتَعَ، نقول: جاء القومُ كُلُّهم أجمعون أكتعون أبصعون أَبْتَعُون، وجاءت القبيلة كُلُّها جَمْعاءُ كَتْعاء بَصْعاء بَبْتْعاء.

أقول: وهذا من النادر الغريب في العربية القديمة، والكثير منه لفظ "أجمع" كما في قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ" ٣٠ سورة الحجر.

(٧) مغني اللبيب ص ٣٨.

ولم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة إلا التوكيد بلفظ "أجمع وجمعاء".
فقد يرد على وجه من القلة والندور.

أَبْصَعَ:

انظر: أَبْغَعَ.

ابْنَم:

قالوا: لغة في "ابن" وحركة الإعراب تظهر على الميم ويتبعه الحرف الذي قبله، فتقول: "ابْنُم" رفعاً و"ابْنَمًا" نصباً، و"ابْنِم" جرّاً^(٨).

أقول: و"ابْنُم" تَرِدُ في جملة الأسماء التي همزتها همزة وصل نحو: "ابْنُ" واسمٌ واسْت...".

وقد ورد في هذه الأسماء "أَيْمَن" في قولهم: "أَيْمَنَ الله" في القسم: ولكثرة ترادفها تحولت إلى "أَيْمَ الله" وحذفت النون. وكأني أرى أن إدراج "أَيْمَن" مع الأسماء التي همزتها همزة وصل غير صحيح، وذلك لأن "أَيْمَن" في قولهم "أَيْمَنَ الله" في القسم هو جمع "يَمِين" نظير "أَشْهَر" جمع "شهر"، ولا يمكن أن تكون همزتها على هذا همزة وصل. والذي أرجّحه أن الكلمة "ابْنُم" صارت تقال: "ابْنُمُن" وكتبوا التنوين نوناً، و"ابْنُمُن" هذه قد تُصَحَّف فتكون "أَيْمَن".

أقول: إن "ابْنُم" بالميم كلمة نادرة، وهي مما زال من الاستعمال في عربيتنا الحديثة. وهي في تاريخها القديم تشير إلى ما انتقل من الكلم القديمة من لغة يمنية أو من لغة سامية أخرى كالأكدية، وفي هذه اللغات يكون ما ندعوه "تنويناً" في

العربية "تميماً" أي إلحاق ميم في آخر الكلم^(٨) ولم يشعر العرب القدماء من غير اليمنيين أن هذه الميم تقابل نون التنوين، بل عدّوها من بنية الاسم.

أَجْدَلُ:

قالوا مصدر نائب عن فعله المحذوف منصوب، وقالوا: معناه أجدُّ منك.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وقد يتعذر وجوده في شعر الشعراء أصحاب القافية والوزن.

أَجْدَلُ:

قالوا: هو الصقر، وهي كلمة ليست صفة، وقد رأى فيها بعضهم القوة فمنعها من الصرف لوزن "أفعل" وما فيها مما يتخيّل أنه صفة، فقالوا: نظرت إلى أجْدَل، وأكثر النحاة يصرفونها لتعذر وجود الصفة.

ومثل هذا "أخيل" اسم طائر، فقد رُئي فيها معنى "التَّخِيل" ولذلك جاء فيها الصرف والمنع.

أقول: وهذا كله من المواد النحوية التي زالت في العربية الحديثة، بل ربما كان قليل من أهل العلم اللغوي يعرف هذا.

أَجْمَعُ:

انظر: "أَبْتَعُ".

أَحَادُ:

(٨) أقول: ومثل هذا في زيادة الميم كلمة "فم"، وهي في العربية "فو" نظير "أبو"، ولكن الميم لحقتها في لغة يمنية وغيرها، ولم يعرف المعربون هذه الميم، وجمعها اللغويون على "أفمام" وهي "أفواه".

قالوا: لفظ صيغ من العدد على وزن "فُعال" وهو ممنوع من الصرف، معدول عن واحد واحد، نحو: جاء القوم أحاد. والكلمة في الاستعمال تأتي صفة أو حالاً أو خبراً، وكذلك ما صيغ على بنائه نحو: ثناء وثلاث، ورباع، وخُماس.. أقول: وليس شيء من هذا في العربية الفصيحة المعاصرة.

أَخ:

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى "أتوجّع" وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا".

أقول: وهذا مما أدرجه النحاة في هذا الباب، وقد قلت في "آه" ما يصح أن يكون هنا أيضاً.

والكلمة مما لا يعرف في العربية الحديثة، بل إنها تحولت إلى كلمة عامية دراجة، وهي في العامية "آخ" مع المدّ.

أَخ:

وهي تستعمل على لغة القصر نظير أب، ولكن هذا قليل، والكثير فيها الإعراب بالواو والياء، من الأسماء الخمسة.

أقول: وهذا كله معروف في العربية الحديثة، إلا لغة من ألزمها الألف، وهي لغة عربية يمنية. انظر "أب".

اخْلَوْلَقَ:

قالوا: فعل ماضٍ مبني على الفتح من أفعال الرجاء، جامد لزم بناء الماضي، يدلّ على رجاء وقوع الخبر، يعمل عمل "كان" الناقصة، غير أن خبره جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بـ "أن" الناصبة، نحو: اخْلَوْلَقَ المطر أن ينزل.

أقول: وهذا من الكلم الذي لا نضبطه في نص قديم، ولكننا نجده في المثال النحوي المصنوع.

وهو على أية حال غير مستعمل في العربية الحديثة.

أخُولَ أَخُولَ:

قالوا: حال مركبة مبنية على فتح الجزئين تركيب "أَحَدَ عَشَرَ" بمعنى "متفرّقين" نحو: تساقطوا أَخُولَ أَخُولَ، أي متفرّقين، واحداً بعد آخر.

أقول: وهذا من الكلم النحوي الذي زال من الاستعمال.

أَخِيلَ:

انظر: "أَجْدَلَ".

إِذْمَا:

قالوا: حرف شرط جازم لفعلين مضارعين غالباً، ومنه الشاهد النحوي:

وَإِنَّكَ إِذْمَا تَأْتِ مَا أَنْتَ أَمْرٌ بِهِ تُلَفِّ مَنِ إِيَّاهُ تَأْمُرُ آتِيَا^(٩)

أقول: ولم أقف على شاهد غير هذا جاءت فيه "إِذْمَا".

و"إِذْمَا" هذه مما زال من مواد النحو في العربية الحديثة.

إِذْنُ:

(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٩/٤

قالوا: إنها ناصبة على أن تكون في صدر الكلام، والفعل بعدها مستقبل، وأن تتصل به ولا ينفصل بينهما فاصل، ولكن الفاصل هذا إذا كان قسماً نصبت الفعل أيضاً.

أقول: ولم يرد شاهد لـ"إِذَنْ" هذه الناصبة بهذه الشروط، في نص يعتدّ به، آيةً أو بيت شعر قديم، وهم يمثلون لها بكلام مصنوع.

أقول: وهذا كله مما لا نعرفه في لغتنا العربية المعاصرة.

أرى:

فعل ماض ينصب ثلاثة مفاعيل ...

وللفعل أحكام:

١-الإلغاء، وهو إبطال العمل لفظاً ومعنى - إذا تقدم أحد المفعولين الثاني أو الثالث، أو الاثنان معاً على الفعل، نحو: العلم أرى زيداً عمراً مفيداً، أو العلم مفيد أرى زيداً عمراً.

٢-التعليق، وهو إبطال لفظاً ومعنى، لمانع - لاعتراض ماله الصدارة في الكلام بينهما وبين معموليها الثاني والثالث، فيبطل كونهما مفعولين، ويصبحان مبتدأ وخبراً سداً مسدّ مفعولي "أرى".

والموانع معروفة- هي لام الابتداء، لام جواب القسم، الاستفهام سواء أكان بالحرف أم الاسم، لا النافية، إن النافية، لعلّ، لو الشرطية، كم الخبرية ... ومثل "أرى" في نصبها المفاعيل الثلاثة جملة أفعال هي: أَعْلَمَ وَأَنْبَأَ وَنَبَأَ وَحَدَّثَ وغيرها. والإلغاء والتعليق يعرض للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: عَلِمَ وَذَرَى وَخَالَ وغيرها.

أقول: إن الإلغاء والتعليق مما لا نجده في العربية المعاصرة، وهما إن وجدا فذاك لأن الكاتب أو الشاعر يَنْقِلُ سبيل الأقدمين.

استُهِتِرَ:

قالوا فعل ماض أتى على صيغة المجهول، والمرفوع بعده فاعل.

أقول: وهذا الفعل كثير في العربية الحديثة، ولكنه بصيغة المعلوم "استُهِتِرَ" مثل "استُخْرِجَ".

إِضُون:

جمع "أضأة" ممّا ألحق بجمع المذكر السالم مثل: سنون وأرضون وعالمون ومئون ووابلون وغيرها.

أقول: ولا نعرف في العربية المعاصرة "إضون" وإن ما ألحق بجمع المذكر السالم من هذه المواد أكثره لا وجود له في العربية المعاصرة عدا سنين وعالمين وألفاظ العقود نحو: عشرين إلى تسعين، وربما كان "أهلون" من المستعمل نادراً.

أُفَّ:

اسم فعل مضارع بمعنى "أَنْضَجَرَ" والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنا"،

قال تعالى: "فلا تَقُلْ لهما أُفَّ" ٢٣ سورة الإسراء.

أقول: إن معنى التضجّر معنى إنساني، ولكن المعربين لا يعربون عنه باستعمال هذه المادة، بل يذهبون إلى شيء آخر.

أفْعِلْ به:

صيغة تعجب، فعل ماض جاء على صيغة الأمر، خال من الضمير، جامد

غير متصرف والجار بعده زائد، والاسم فاعل تقديرًا .. نحو قوله تعالى:

"أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ" ٣٨ سورة مريم.

أقول: وهذا مما لا نجده في العربية المعاصرة.

أُكْتَع:

انظر "أَبْنَع".

أل (الموصولة التي تدخل على المضارع):

وفيهما الشاهد النحوي:

ما أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّزُضَىٰ حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ، وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ (١٠)

أقول: ودخول هذا الموصول الحرفي على الفعل المضارع كثير في اللغة الدارجة وليس شيء منه في العربية المعاصرة الفصيحة.

الألَى:

اسم موصول لجمع المذكر عاقلاً كان أو غير عاقل، مبني على السكون، قال الشاعر:

نَحْنُ الْأَلَى، فَاجْمَعْ جَمَوْ عَاكَ ثُمَّ وَجَّهْهُمْ إِلَيْنَا (١١)

(١٠) شذور الذهب ص ١٦.

(١١) مغني اللبيب ص ٨٦، ٦٢٥.

أقول: وهذا الموصول من لوازم العربية القديمة، وليس مما نجده مستعملاً في العربية الحديثة.

الألاء:

وهو موصول أيضاً لجماعة العاقلين، وهو المدود من المقصور "الألى".
وقيل فيه أيضاً: إنه اسم إشارة واستعمل موصولاً، قال كثير:

أَبَى اللّٰهُ لِلشُّمِّ الأَلَاءِ كَأَتَّهُمْ سَيْوْفُ أَجَادَ الْقَيْنِ يَوْمًا صِقَالَهَا^(١٢)

أقول: وهذا أيضاً مما لا نجد في العربية الحديثة.

الأولى:

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل، وهو اسم جمع ، كقول الشاعر:

فَأَمَّا الأُولَى يَسْكُنْ غَوْرَ تِهَامَةٍ فكل فتاة تترك الحِجْلَ أَقْصَمَا^(١٣)

أقول: وهذا موصول آخر لا نعرفه في عربية العصر.

ألا:

بفتح الهمزة مخففة، حرف في عدة معانٍ:

١ - حرف استفتاح وتنبية.

(١٢) شذور الذهب ص ١٢٢.

(١٣) شرح الألفية لابن عقيل ٤٥/١، ومغني اللبيب ٤٥٣/١.

٢- حرف عرض (وهو طلب برفق).

٣- حرف تخصيص (وهو طلب بحث وشدة).

٤- حرف توبيخ وإنكار.

٥- حرف استفهام عن النفي.

٦- حرف تَمَنَّ بِمعنى أتمنى.

أقول: ولم يبق من هذا كله إلا انصراف "ألا" إلى العَرَض كقولنا: ألا تأتي معنا، وقد نتصرف إلى التوبيخ المستفاد من المعنى كقولنا: ألا تستحي.

أَلَّا:

بفتح الهمزة وتشديد الـام وهي:

١- حرف تحضيض، نحو أَلَّا تنتهياً للسباق.

٢- أن الناصبة مدغمة في "لا".

أقول: إن الثانية معروفة في العربية المعاصرة بخلاف الأولى التي زالت ولم يبق شيء منها.

الذون:

اسم موصول جمع "الذي" لغة في "الذين" وهي قول الراجز:

"نحن الذون صَبَّحُوا الصباحاً"^(١٤).

اللاء:

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل وغيره، قال الشاعر:

(١٤) مغني اللبيب ص ٤١٠.

فما آباؤنا بأَمَنَ منهم علينا اللاءِ قد مَهَدُوا الحجورا^(١٥)

أقول: لم تبق "اللاءِ" هذه في العربية المعاصرة، والذي من هذه هو "اللائي" بمدّ الكسرة. ومثل "اللاءِ" "اللاتِ" بالكسرة في عدم حضورها بعكس الممدودة "اللاتي" أو "اللواتي".

أَم:

انظر: "الهمزة".

أمام:

ومن أحوالها أنها تُبنى على الضم إذا أُضيفت وحذف المضاف إليه ونُوي معناه دون لفظه نحو: دخلت الغرفة فجلستُ أمامُ.

أمامك:

اسم فعل أمر بمعنى "تقدّم".

أقول: لم يبق في العربية المعاصرة "أمام" المبنية على الضم، ولا "أمامك" اسم الفعل الأمر إلا استعمال الجند في التدريب العسكري، فالجندي يسمع من رئيسه "أمام" فيفهم التقدّم إلى الأمام، وهذا من باب الاختصار والاكتفاء بأقل عبارة تومئ إلى القصد.

أَنْ:

بفتح الهمزة وسكون النون: وهي خمسة أنواع:

(١٥) شرح ابن عقيل ١/١٤٥.

١- الناصبة، وهي معروفة وتعمل ظاهرة أو مقدرة.

وأما الزائدة فهي التي بعد القسم نحو: أقسم بالله أن لو جاء لأكرمنه، وبعد
"لَمَّا" الحينية نحو قوله تعالى: "فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ" ٩٦ سورة يوسف.

وهذه الزائدة قد زالت في الاستعمال في عصرنا.

٢- والمخففة من الثقيلة بعد فعل اليقين نحو: علم ورأى، ويحذف الاسم بعدهما
على أنه ضمير الشأن وجوباً وخبرهما جملة اسمية أو فعلية تفيد الدعاء. ولهذه
أحوال أخرى كلها مبسوط في كتب النحو.

أقول: وهذه مما زال من مواد النحو القديم في العربية الحديثة.

٣- والمفسرة، بمنزلة "أي" التفسيرية، ويغلب أن يليها فعل الأمر نحو قوله تعالى:
"فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ" ٢٧ سورة "المؤمنون".

وفي هذه شروط...

أقول: وهذه مما زال في العربية الحديثة.

إن:

بكسر الهمزة وسكون النون.

ومن هذه "نافية"، وهي حرف لها الصدارة فلا يتقدمها شيء، ومدخولها جملة
اسمية، وتعمل عمل "ليس" نحو قولك: إن زيداً منطلقاً.

أقول: وهذه مما زال في العربية المعاصرة. والمعرّبون لا يتبين لهم النفي إلا
إذا وليتها "إلا" نحو قوله تعالى: "إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ"، ٢٠ سورة الملك.

أو وليتها "لَمَّا" بمعنى "إلا" نحو قوله تعالى: "إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ" ٤
سورة الطارق.

وفي هذا الاستعمال الذي يأتي فيه "إلا" تدخل أيضاً على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى: "إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَىٰ" ١٠٧ سورة التوبة.

ومن عدم تبين المعربين لمعنى النفي لـ "إِنْ" مع وجود "إلا" أو "لَمَّا" بعدها، تحولوا عنها إلى استعمال "ما" فقالوا: ما هو إلا شيء يسير، وفي هذا يبطل عملها. وعلى هذا لم يتضح للمعربين في عصرنا معنى النفي فزال استعمال "إِنْ" النافية.

ومن هذه المخففة من الثقيلة، وتدخل على الجملة الفعلية فتهمل، وأكثر ما يكون الفعل ماضياً نحو قوله تعالى: "وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" (سورة البقرة: ١٤٣). وقد يأتي الفعل بعدها مضارعاً ناسخاً نحو قوله تعالى: "وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ" ١٨٦ سورة الشعراء.

وندر أن يكون الفعل غير ناسخ، وهذا لا يقاس عليه نحو قول الشاعر:

شَأْنُ يَمِيْنُكَ إِنْ قَاتَلْتَ لِمَسْلَمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ^(١٦)

وقد تدخل على الجملة الاسمية فتهمل، وهو الأكثر نحو: إِنْ زَيْدٌ قَادِمٌ، وقد تعمل كالثقيلة فتلزم اللام المتأخر من معموليها، وهي اللام الفارقة للفرق بين "إِنْ" المخففة من الثقيلة وبين "إِنْ" النافية نحو قولهم: إِنْ زَيْدًا لِقَادِمٌ، وإِنْ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا.

أقول: وهذا كله قد زال من العربية الحديثة.

وتأتي زائدة للتوكيد بعد "ما" النافية كقول الشاعر:

(١٦) مغني اللبيب ص ٢٤، شرح ابن عقيل ٣٨٢/١.

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إليّ يدي^(١٧)

وبعد "ما" المصدرية، نحو:

ورجّ الفتى للخير ما إن رأيته على السنّ خيراً لا يزال يزيّد^(١٨)

وبعد "ما" الحجازية، نحو:

بني غدانة ما إن أنتم ذهباً ولا صريفاً، ولكن أنتم الخزف^(١٩)

وبعد "ما" الموصولة نحو:

يُرَجَّى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب^(٢٠)

وبعد "ألا" الاستفتاحية:

ألا إن سرى ليلي فبت كنيها أحاذر أن تنأى النوى بغضوبا^(٢١)

أقول: وزيادة "إن" في هذه المواضع كلها مما لا يعرض في لغة المعاصرين.

(١٧) مغني اللبيب ص ٢٥.

(١٨) الكتاب ٢٢٢/٤، المغني ص ٢٥.

(١٩) شذور الذهب ص ١٩٤، مغني اللبيب ص ٢٥.

(٢٠) مغني اللبيب ص ٢٥.

(٢١) المصدر السابق.

إِنَّ بِمَعْنَى "نَعَمْ": كما في قول الشاعر:

بَكَرَ الْعَوَازِلُ فِي الصَّبُّو حِ يَلْمُنُنِي وَالْوُحْهُةُ
وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ (٢٢)

أي: نَعَمْ علاني الشيب وما زلت كما كنت، وقيل: إن عبدالله بن الزبير سأله رجل فلم يعطه، فقال: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال عبدالله: إِنَّ وراكبها. أي نعم، ولعن الله راكبها (٢٣).

أقول: ولم يبق شيء من هذا في عربيتنا الحديثة.

انبرى:

من أفعال الشروع بمعنى (بدأ)، وهذا يعني أنه يرفع الاسم وينصب الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع نحو: انبرى الصبيُّ يلعبُ.

أقول: وليس أن يستعمل هذا الفعل في العربية الحديثة على هذا النحو فقد يكثر أن نسمع: انبرى فلان في عمله، والفعل يتجاوز معنى البدء والشروع، فيكون بمعنى مضى وجرى.

أنشأ:

من أفعال الشروع.

(٢٢) الكتاب ١٥١/٣، والمغني ص ٣٨.

(٢٣) خزنة الأدب ٦٢/٤.

أقول: وكأنّ هذا من المنسي في عصرنا، وانصرف الفعل إلى معنى "الإشياء" بمعنى البناء، ومن قولهم: أنشأ مقالةً.

انفك:

من أفعال الاستمرار مسبقاً بـ"ما" مثل "ما زال" و "ما برح" و "ما فتى". واستعمال هذه معروف.

أقول: والكثير منها في الاستعمال "ما زال"، يقال: ما زال المطر ينزل، وأما "لا زال" فإنها تفيد الدعاء، قال الشاعر:

"ولا زال مُنْهَلًا بَجَرَعَائِكَ الْقَطْرُ"

وأما "ما انفك" و "ما برح" و "ما فتى" فشيء يكثر في الفصيحة القديمة.

أهتر:

فعل ماض مبني للمعلوم أتى على بناء المجهول، بمعنى "تعلّق بالشيء".

أقول: وهذا نظير "استهتر". وقد سبق الكلام عليه. وأما "أهتر". فلا يعرف في عربية العصر، وقد استعني بـ"استهتر" مبنية للفاعل عن "أهتر".

أهرع:

فعل ماضٍ لزم صيغة المفعول، بمعنى "أسرع".

أقول: والذي في العربية المعاصرة هو "هرع" بالبناء للمعلوم.

أهلون:

جمع "أهل" وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم. انظر: "أضون".

أقول: ولم يشعر المعربون في عصرنا بالحاجة إلى جمع "أهل"، وكأنَّ المفرد يسدَّ الحاجة. وربما استعار جماعة "الأهالي" من اللغة الدراجة، وإن جاء في المعجم القديم "أهالٍ" وكأنها تومئ إلى جمع الجمع. غير أنك قد تلقى "أهلون" هذه في كتابة المتفاحيين.

أو:

بمعنى "إلا" أو "حتى" وينصب الفعل بعده بـ"أن" مضمرة وجوباً، فإن كان الفعل الذي قبلها مما ينقضي ويحصل دفعةً واحدة فهي التي بمعنى "إلا" نحو قول زياد الأعجم:

وكنْتُ إذا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كَعُوبَهَا أو تستقيماً^(٢٤)

أما إذا كان الفعل مما ينقضي ويحصل شيئاً فشيئاً، فهي التي بمعنى "حتى" نحو قول الشاعر:

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أو أدرك المُنَى فما انقادت الآمال إلا لأصاير

والفعلان "تستقيم" و"أدرك" منصوبان بـ"أن" مضمرة وجوباً بعد "أو".

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في العربية المعاصرة.

أول:

(٢٤) الكتاب ٤٨/٣.

ومن أحوالها أنها تُبنى على الضم إذا أضيفت وحُذف المضاف إليه ونُوي معناه لا لفظه ومن قول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإنِّي لأوجَلُّ على أيُّنا تعدو المنية أولُ^(٢٥)

أقول: وقد زال بناء "أول" على الضم في العربية المعاصرة.
أولات:

اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى "صاحبات"، تلحق في الإعراب بجمع المؤنث السالم، قال تعالى: "وإن كنَّ أولاتِ حملٍ فأنفقوا عليهنَّ" ٦ سورة الطلاق.

أقول: كأن "أولات" قد زالت في لغتنا الحديثة بخلاف "أولو" وهو المذكر.
أواه:

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى أتوجَّع وأتضجَّر.

أقول: وهي مع الكلمات التي عرفت في العربية وانصرفت إلى الأعراض العاطفية، ولم نجد لها إلا في الندرة كأن يحتاج إليها شاعر يتحرى الكلم القديم فيستعملها كما قال الشاعر إسماعيل صبري من شعراء هذا العصر:

أواه من حُرِقِ أودتْ بمعظمها ولم تَزَلْ تَنَمَشِّي في بقاياها

(٢٥) المقتضب ٣/٢٤٦.

غير أن المعربين أخذوا منها الفعل "أَوْه" و"تَأَوْه" وشاعا في العربية الحديثة.

إي:

بكسر الهمزة وسكون الياء، حرف جواب بمعنى "نَعَمْ"، ويقع في الغالب بعد الاستفهام، وقبل القسم نحو قوله تعالى: "وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُل: إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ" ٥٣ سورة يونس. وليس منها شيء في الفصيحة الحديثة، غير أنها معروفة في الألسن الدارجة.

أي:

الموصولة التي تضاف إلى المعرفة ويحذف صدر صلتها، وهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، مفرداً أم غير مفرد، عاقلاً أم غير عاقل، نحو قوله تعالى: "تَمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا" ٦٩ سورة مريم.

وكقول غسان بن ولة:

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ^(٢٦)

أقول: وهذا شيء من الكلم النحوي القديم الذي عفا أثره في العربية الحديثة.

أيا:

بالتخفيف لنداء البعيد، أو ما في حكمه كالنائم والساهي.

لا يعرف المعربون في عصرنا هذه الدقائق الأسلوبية، وهم محتاجون إليها، ومن هنا فقد خلت كتاباتهم من هذه الأداة للنداء.

(٢٦) مغني اللبيب ص ٧٨، ٤٠٩.

أَيُّمَا:

وهي "أَيَّ" الشرطية و"ما" زائدة كما في قوله تعالى: "أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ
فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ" ٢٨ سورة القصص.

أقول: وهذه مما لا نجده في عربية العصر.

أَيُّمِن:

انظر "ابنم".

أَيِّنَمَا:

اسم شرط جازم.

كقول كعب بن جُعَيْل:

صَاعِدَةٌ نَابِتَةٌ فِي حَائِرٍ أَيْنَمَا الرِّيحُ تُمَيِّئُهَا تَمِلُ^(٢٧)

أقول: وهذه من أدوات الشرط التي لا تُرى في عربيتنا المعاصرة.

إِيَّه:

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى امض في حديثك، قال ذو الرمة:

وَقَفْنَا فَقُلْنَا: إِيَّه عَنْ أَمٍّ سَالِمٍ وَمَا بِال تَكْلِيمِ الدِّيارِ الْبَلَّاعِ^(٢٨)

(٢٧) الكتاب ٣/ ١١٣.

(٢٨) المقتضب ٣/ ١٧٩.

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم، وقد ذكرت في المصادر النحوية، وليس شيء منها في العربية المعاصرة.

باب الباء

بَجَل:

حرف جواب، بمعنى "نعم"، مبني على السكون.

وقالوا: اسم فعل مضارع بمعنى "يكفي" والفاعل ضمير، نحو: بَجَلِي، أي: يكفيني.

قال السيوطي: إن قولهم: "بَجَلَنِي" بالنون نادر.

وقالوا: إنه اسم مرادف لـ "حَسَب" ^(٢٩) نحو: بَجَلِي، أي: حَسَبِي.

أقول: وهذا من غير شك من الكلم المنسي الذي لا يعرفه أهل العربية في عصرنا.

بَخ:

اسم فعل مضارع، مبني على الكسر، بمعنى "استحسن"، وتستعمل مكررة بالكسر والتنوين.

أقول: وهذا شيء آخر من الكلم القديم الذي لا تعرفه عربية العصر.

بَدَار:

اسم فعل أمر مبني على الكسر بمعنى "أسرع".

(٢٩) الكتاب ٢٣٤/٤.

أقول: وهذا مما لم يبق في عربية العصر، والمعربون يستعملون الأمر من "بَادَرَ" في هذا الخصوص.

بَرَحَ:

فعل ماض يفيد الاستمرار يلحق بـ"النواسخ" لا بد أن يتقدمها نفي أو نهي أو دعاء، نحو:

ما برح الهواء بارداً، وقال الشاعر:

قَلَمَا يَبْرَحُ السَّلِيبُ إِلَى مَا يُورِثُ الْحَمْدَ دَاعِيَاً أَوْ مُجِيبَاً^(٣٠)

أقول: كأن العربية الحديثة اجتزأت بواحدة من المواد المتشابهة، فقد عرفت "ما زال"، وهجرت فيها "ما انفكَّ".

و"برح" فعل تام متصرف في العربية المعاصرة، يقال: لم يبرح الرجل مكانه، أي لم يتركه.

بَرَحَى:

كلمة تقال عند الخطأ في الرمي أو الكلام.

أقول: إنها من الكلم المهجور في عصرنا، في حين أن ضدها "مَرَحَى" من الكلم المعروف، وتقال عند الإصابة استحساناً.

بَسَّ:

(٣٠) مغني اللبيب ص ٣٠٦.

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى: اكْتَفَ. وفي "القاموس" أنها بمعنى "حَسَبُ".

بَسَ:

اسم فعل بمعنى "حَسَبَ"، فارسية معرّبة. وهذه أيضاً من الكلم الذي لا نجده في العربية المعاصرة، ولكننا نجده في اللسان الدارج.

بُصِعَ:

وزن "عُمَر" ممنوع من الصرف، يؤكّد بها توكيداً معنوياً جمع المؤنث، ولا تأتي إلا بعد: كُلُّهُنَّ جُمِعَ كُتْعَ ، نحو: جاءت النساء كُلُّهُنَّ جُمِعَ كُتْعَ بُصِعَ. وتأتي ندوراً بعد "كلهنّ" فقط، وهي جمع بَصْعاء مؤنث أبصع. أقول: وهذه من الكلم الذي لا نعرفه في عصرنا.

بُطَانَ:

اسم فعل ماضٍ، مبني على الفتح، بمعنى "أَبْطَأَ". أقول: وهو من الكلم القديم الذي شُغل عنه المعربون بالفعل "أَبْطَأَ".

بَلَّهَ:

اسم فعل أمر، مبني على الفتح، وأصله مصدر لا فعل له من لفظه، بمعنى "دَعَّ" وقد يأتي مصدراً منصوباً "مفعول مطلق" وفعله محذوف ليس من لفظه، بمعنى "تَرَكَ" يضاف إلى الاسم بعده.

أقول: وليس لنا اليوم شيء من هذه الكلمة، ولا ترد إلا في ترسل الصفوة أصحاب التنقيير.

بيت بيت:

حال مركبة "أحد عشر" مبنية على فتح الجزعين، نحو: زيد جاري بيت بيت، أي ملاصقاً.

أقول: هذا الكلام القديم الذي لا نعرفه في لغتنا الحديثة. إن الحال المركبة نعرفها مثلاً في قولنا: قرأت الكتاب فصلاً فصلاً أو باباً باباً، فأما "بيت بيت" فلا نعرفها.

بيننا:

ظرف زمان مبني على الفتح، والألف زائدة، وفيها ثلاثة أقوال مبسطة في كتب النحو، قالت هند بنت النعمان:

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إذا نحن فيها سوقة ليس نُنْصَفُ^(٣١)

أقول: لا نشهد "بيننا" هذه في العربية الحديثة والمعربون إذا أرادوا شيئاً من هذا الظرف قالوا: "بينما".

باب التاء

تاء القسم:

ترد لفظ الجلالة في قولهم "تالله" قال تعالى: "قالوا تالله تفتأوا تذكر يوسف" ٨٥ سورة يوسف.

وجاء في كتب النحو: تَحْيَاتِكَ وَتَرَبُّ الكعبة.

أقول: وكأن المعربين تجاوزوا هذه التاء إلى الواو، والباء من أحرف القسم.

(٣١) الكتاب ١/ ١٧١.

تا:

اسم إشارة مبني على السكون للمفردة المؤنثة، تدخل عليها هاء التثنية فتكون "هاتا" وتلحقها الكاف للخطاب "تاك". وقالوا: "هاتاك" و"تالك". وصُعِرتْ شذوذاً فقالوا "تَيّا".

أقول: وجملة هذا مما لم يبق في العربية المعاصرة.

تحت:

ظرف مكان مبني على الضم لأنه أضيف وحذف المضاف إليه، ونوي معناه دون لفظه، قال طرفة:

ثم تَقْرِي اللِّجَمَ مِنْ تَعْدَائِهَا فهي من تحتُ مُشِيحَاتِ الحُرْمِ^(٣٢)

تَخَذَ:

فعل ماض ناسخ من أفعال التحويل، بمعنى "صَيَّرَ" ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو: تَخَذْتُكَ صاحبي.

أقول: تحول المعربون في عصرنا إلى الفعل "اتَّخَذَ"، ولم يبق شيء من استعمال "تَخَذَ". وأرى أَنَّ "تَخَذَ" جاءت من "اتَّخَذَ"، وقد استفيد من التاء المدغمة التي هي في الأصل التاء التي أصلها همزة "أَخَذَ" ثم تاء "افتَعَلَ"، وقد اجتزأ بالتاء الثانية بعد إسقاط همزة "اتَّخَذَ"، وغيّر بناؤه إلى "فَعَلَ" بكسر العين ابتعاداً عن أصله الذي هو "أَخَذَ" ووزنه "فَعَلَ".

تَرَكَ:

(٣٢) لسان العرب (شيخ).

فعل ماضٍ ناسخ من أفعال التحويل بمعنى "صَيَّرَ" ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال فرعان بن الأعراف:

وَرَبَّيْنَاهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكَتْهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَعْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ^(٣٣)

أقول: لم يبق من الفعل "ترك" إلا معناه التام الذي لا ينصب مفعولين، بل ينصب الواحد نحو: تركت الأمر...
تَعَلَّمَ:

فعل أمر ناسخ بمعنى: اعلَمْ، وهو فعل جامد لا يتصرف ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال زياد بن سيّار:

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهَرَ عَدُوَّهَا فَبَالِغَ بُلُطْفٍ فِي النَّحِيلِ وَالْمَكْرِ^(٣٤)

وقد يكون مدخولها جملة مصدرية بـ"أَنَّ" تسد مسدّ المفعولين كقول أنس بن زنيم:

تَعَلَّمَ، رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ^(٣٥)

أقول: وهذا مما يندُر في العربية المعاصرة، وأن الفعل الأمر "تَعَلَّمَ" إن جاء فيها فهو أمر الفعل المتصرف "تَعَلَّمَ يَتَعَلَّمُ".
تَهْ:

(٣٣) شرح ابن عقيل ٤١/٢.

(٣٤) شذور الذهب ص ٣٦٢.

(٣٥) المصدر السابق.

اسم إشارة للمفردة المؤنثة، بُني على الكسر أو السكون، وهو إشارة للقريب لا تلحقها كاف الخطاب ولا لام البعد.

أقول: كأن العربية ابتعدت عن هذه الأداة بالمشهور منها وهو "هذه".

تي:

اسم إشارة للمفردة المؤنثة مبني على السكون، تسبق بالهاء "هاتيك" وتلحقها كاف الخطاب، وأحياناً لام البعد "تلك".

وهذه أيضاً كسابقتها مما لم نجده في العربية المعاصرة، وربما قد يلجأ إليها أهل الشعر والنظم، والحاجة تدعو.

ومن العجيب أنّ الإشارة إلى المثنى المؤنث هي "هاتان" ومعروفة في العربية المعاصرة لعدم وجود شيء يسد مسدّها.

تَيْد:

اسم فعل أمر بُني على الفتح، بمعنى "أمهل"، يقال: تَيْدَ زيداً، أي أمهله.

باب الثاء

ثلاثة:

وحكم المعدود معروف مع "ثلاثة"، إفراداً وتركيباً، وكذلك تعريف ثلاثة إذا اتصلت بالمعدود، وإذا أضيفت إلى معرفة، وما صيغ منها على "فاعل" في الإفراد والتركيب وفي هذا كله من الحدود والشروط والأحوال ما لا نجد الكثير منه في العربية المعاصرة. على أن اللغة الجديدة قد تتجاوز الحدود المنصوص عليها في كتب العربية، ونحن في هذا بين ممتحن بالقول بالخطأ، والرجوع عنه إلى

الصواب، ولكن المسيرة ماضية، ولا يسمع هذا الذي ينبه إلى الصواب، وبين
محتمل للجديد مع خروجه على الموروث، على أنه جديد فُرض على العربية
المعاصرة أو قل: إنه "العربية المعاصرة".

ثُلاث:

كلمة معدولة عن "ثلاث ثلاث"، نحو قولنا: جاء القوم ثُلاث، وهي غير
منونة للوصفية والعدل، نظير رُباع وخُماس...
انظر: "أُحاد".

ثُمَّتٌ:

هي "ثَمَّ" من أدوات العطف زيدت التاء في آخر كما زيدت في "رُبَّ" فقالوا: "رُبَّتْ"، والتاء مفتوحة، و"ثُمَّتٌ" هذه تختص بعطف الجمل، قال:

ولقد أمرُ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثُمَّتْ قُلْتُ ما يعنيني (٣٦)

باب الجيم

جَرَمَ:

على "فَعَلَ" أو "فَعُلَ"، تسبقها "لا" وتكون "لا جَرَمَ" بمعنى: حقاً أو لا بد. وكأنها عوملت معاملة أدوات القسم، ولذلك قد يأتي بعدها اللام في بعض استعمالها، يقال: لا جَرَمَ لأَقُومَنَّ بالواجب. والكثير فيها أن تعقبها "انَّ" وبعدها معمولوها، فإن كسرت الهمزة فإن "لا" نافية للجنس، وإن فتحت فإن "لا" زائدة و"جَرَمَ" فعل ماض بمعنى وَجَبَ والمصدر المؤول من "أَنَّ" ومعمولها فاعل في محل رفع.

أقول: هذا كله في استعمال "لا جَرَمَ" وقول النحويين فيها، وهي لا ترد في اللغة المعاصرة، وإن كان قد يوردها متأدّب من المعاصرين، فمن باب التفاصيل.

جَعَارَ:

اسم للضبع مبني على الكسر، قال النابغة الجعدي:

فقلتُ لها عيْثي جَعَارٍ وَجَرّري بلحم امري لم يشهد اليوم ناصره (٣٧)

(٣٦) الكتاب ٢٤/٣.

أقول: هذا ما يرد في استشهد النحاة على بناء "فَعَالٍ" وبنائه على الكسر علماً لأنثى أو سباً لها أو اسم فعل أمر. وهذا من غير شك يدخل في باب السب للضبع.

وجميع هذا قد زال من العربية المعاصرة.

جَعَلَ:

فعل ماض ناسخ متصرف يلحق بـ "ظن" في الاستعمال، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: جعل الجبان السهل صعباً، وهو يفيد رجحان الخبر.

وقد يأتي للشروع بمعنى "أخذ" والذي يعمل منه هذا الاستعمال الماضي والمضارع فقط، نحو جعل زيد يجتهد.

وقد يأتي للتحويل بمعنى "صير"، نحو: جعلتُ الطينَ إبريقاً.

أقول: وجميع هذا لم يرد في اللغة المعاصرة، والمعاصرون يذهبون إلى "ظن" و"خال" و"حَسِبَ" ونحوها، كما يذهبون إلى "صير" ونحوه.

والكثير في استعمال "جعل" التصرف التام نحو: جعلته على وفق النظام المتبع.

جَلَّلَ:

حرف جواب بمعنى "نعم".

وتكون اسماً بمعنى "عظيم" نحو قول الشاعر:

فَلَمَّا عَفَاكَوْثُ لَأَعْفُونَ جَلًّا وَلَمَّا سَطَوْتُ لَأُوْهَنَّ عَظْمِي (٣٨)

وتأتي بمعنى "اليسير" من الأمر، كقول امرئ القيس لما سمع بمقتل أبيه:
"ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلٌ" (٣٩)

ومن هنا: قال اللغويون: إن "جَلَل" من الأضداد.

وترد "جَلَل" بمعنى "من أجل" نحو:

رَسَمَ دَارٍ وَقَفَّتْ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهِ (٤٠)

أي من أجله، وقيل: من عظمته في عيني.

أقول وجملته ما ورد في "جلل" غير وارد في العربية المعاصرة إلا معنى "العظيم"، والمعاصرون يقولون في المصيبة العظيمة مثلاً: خطب جَلَل.

وأود أن أقول: إن مادة الأضداد أوشكت أن تزول أو زالت من العربية المعاصرة.

الجماء الغفير:

وهي حال وردت معرّفة بالأداة، وهو من الشذوذ، قالوا: جاءوا الجماء الغفير، أي مجتمعين.

(٣٨) مغني اللبيب ص ١٢٠.

(٣٩) مغني اللبيب ص ١٢٠.

(٤٠) شرح المفصل ٥٢/٨، وشرح ابن عقيل ٣٨/٢.

أقول: وليس في عربية اليوم شيء من هذا الاستعمال، واستبدلوا به مثلاً: جاءوا جمعاً غفيراً، وهم يريدون به الكثرة الكثيرة لا أنهم مجتمعون ليس غير.

جُمَعَ:

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث الجمع. انظر "بُصَع".

وهو لفظ معدول عن "جمعاء" يقال: جاءت النسوة كُلُّهُنَّ جُمُعُ.

جمعاء:

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث المفرد، وتجيء مثل "جُمَعَ" بعد التوكيد بـ"كل"، يقال: جاءت القبيلة كُلُّهَا جمعاء.

أقول: وهذا كله قد تخففت منه العربية المعاصرة إلا أن يقصد إليه من بعض المتفاسحين.

جَيْرَ:

حرف جواب بمعنى "نعم" مبني على الكسر، وقد يُبنى على الفتح، وقد ينون. وقد يكون اسماً بمعنى "حقاً" كما يكون ظرفاً بمعنى "أبداً".

ويجيء حرف قسم مبنياً على الكسر يليه اللام في الجواب نحو:

قالوا: فُهِرْتُ فَقُلْتُ جَيْرَ لِيَعْلَمَنَّ عما قليل أُنَا المقهورُ^(٤١)

أقول: وهذا كله من العربية القديمة التي لم يبق شيء منها في إعرابنا المعاصر.

باب الحاء

(٤١) همع الهوامع في شرح الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح د. عبدالعال سالم مكرم، الكويت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م/٤/٣٥٧.

حار:

فعل ماض ناسخ، مبني على الفتح بمعنى "صار"، نحو:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحورُ رماداً بعدَ إذ هو ساطعٌ^(٤٢)

أقول: وليس لهذا الفعل من وجود في العربية الحديثة بهذا الاستعمال. إن الفعل "حار" في إعرابنا الحديث من "الحيرة" وهو فعل تام متصرف.

حَبُّ:

وهي "أفعل" للتفضيل، وحذفت همزته لكثرة الاستعمال شذوذاً، ومنه قول الشاعر:

قد زاده كلفاً بالحب إذ مَنَعْتُ وحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا^(٤٣)

أقول وهذا من النوادر الشوارد الذي زال من العربية الحديثة، وهو قليل في العربية القديمة.

حُبُّ:

من أفعال المدح، وتفتح حائوها أو تضم، وذلك حين يكون فاعلها غير "ذا" كما في "حبذا". وفاعل "حُبُّ" هذه قد يجرّ بالباء الزائدة، نحو قول الطرمّاح بن حكيم:

حُبُّ بالزور الذي لا يُرى منه إلا صفحةٌ أو لِمَامُ^(٤٤)

(٤٢) المصدر السابق ١/ ١١٢.

(٤٣) العقد الفريد ٣/ ٢٢٨.

(٤٤) شرح الأشموني ٣/ ٣٩.

أقول: وهذا يدخل في الكلم الغريب النادر الذي قل استعماله في العربية القديمة، فما بالك به في العربية المعاصرة؟

حجا:

فعل ماضٍ ناسخ متصرف يلحق بـ"ظنّ" في العمل، يفيد الرجحان ينصب المبتدأ والخبر فيكونان مفعولاً به أوّل، ومفعولاً به ثانياً، قال الشاعر:

قد كنت أحجو أبا عمّرٍ أختةً حتى أَلَمْتُ بنا يوماً مُلِمَاتُ^(٤٥)

أقول: وهذا الفعل مما لم يُرَ في العربية الحديثة.

إن سبيل العربية في هذه الأفعال الناسخة الخاصة أنها اجتزأت بالقليل المشهور فهجرت جملة أفعال، وربما جهل الكثير من المعربين معانيها وخواصها.

حذاء:

ظرف مكان كأسماء الجهات الست، بمعنى إزاء أو قبالة، يقال: وقفتُ حذاء الباب.

أقول: إذا كان للمعربين المتفاسحين، على قلة منهم، أن يستعملوا هذا الظرف، فهم يقوونه بالباء للإشعار بالظرفية، يقولون مثلاً: جلست بحذاء فلان.

حذارَيْكَ:

(٤٥) لسان العرب (حجو).

من المثنّيات من المصادر المنصوبة نحو: لبيك وسَعْدُكَ ودَوَالِيكَ، وهذاذِيكَ وحنانيكَ، وهي ملازمة للإضافة إلى كافة الخطاب، يقال: حَذَارِيكَ الْخَطَرُ، أي احذره.

أقول: وليس هذا في عربية حديثة، والذي لنا في إعرابنا الحديث هو "حَذَارٍ" على قلة، فقد يرد في كتابة الصفوة من أهل العلم بالعربية.

حرى:

فعل ماضٍ ليس له مضارع ولا أمر، غير متصرف، يفيد الرجاء لوقوع الخبر، من النواسخ، فهو فعل ناقص يعمل عمل "كان"، إلا أن خبره جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بـ "أن" الناصبة نحو: حَرَى الغمام أن يتقشع .
أقول: وهذا مما زال في العربية المعاصرة، وربما جهله المعربون إلا قليلاً منهم.

حَرَوْن:

أرض ذات حجارة سوداء ملحقة بجمع المذكر السالم.

وهذه جملة ألفاظ جمعت هذا الجمع وهي من غير شك آثار باقية تدل على أن هذا الجمع في عصورنا العربية القديمة كان جمعاً عاماً غير محدود بهذه الحدود الضيقة.

حَسَّ:

اسم فعل مضارع بمعنى "أتألم"، وهي مثل قولنا: أَوْه، للتوجّع، قالت العرب عند التوجع من لدغة النارة وغيرها: "حَسَّ بسَّ" وقد تكرر "حَسَّ" فيقال: حَسَّ حَسَّ (٤٦).

(٤٦) لسان العرب "حسس".

حَسَبُ:

اسم مفرد لا يثنى ولا يجمع، بمعنى "كافٍ"، قال تعالى: "مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" سورة الطلاق: ٣.

وله استعمالات خاصة تدخل في باب المبتدأ، وفي باب التمييز.

وقالوا أيضاً: إنها اسم فعل مضارع بمعنى "يكفي".

وتأتي بمعنى "لا غير" مقطوعة عن الإضافة فتبنى على الضم، يقال: قرأت كتاباً حَسَبُ. وقد تدخل على هذه فاء للتزيين "فحَسَبُ".

أقول: ولم يبق من هذه إلا استعمالها بمعنى "لا غير" مع لزوم فاء التزيين فيها، في العربية المعاصرة.

حَشُون:

الأرض الموحشة، ملحقة بجمع المذكر السالم.

وهذا كنظائره من الملحقات التي زالت من عربيتنا.

حَضَار:

اسم علم لكوكب، مبني على الكسر.

وهذا أيضاً من الكلم الذاهب، لجهلنا بالكوكب نفسه.

حُمَادَى:

بمعنى "غاية"، وهو من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً ومعنى للظاهر

والضمير، نحو: حُمَادَى الشيء أو حُمَادَاه .

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي زال في عربيتنا.

حَنَائِكَ:

انظر: "حَذَائِكَ".

حَيَّ:

اسم فعل أمر مبني على الفتح بمعنى "أقبل، أو اَعْجَلْ" نحو: حَيَّ على الصلاة.

أقول: بقيت هذه الكلمة في نص "الأذان" والدعاء إلى الصلاة، وفيه أيضاً: "حَيَّ على الفلاح".

حَيْثَ بَيْتَ:

حال مركبة مبنية على فتح الجزئين، بمعنى "مبحوثة" كقولك: تركت البلاد حَيْثَ بَيْتَ.

أقول: إن الكثير من المركبات يدخل في باب "الإتباع"، وذلك أن تتبع الكلمة المعروفة بكلمة على بنائها مما له معنى أو ليس له بقصد تقوية المعنى نحو: شذر مذر، وحَيَّصَ بَيَّصَ، وشَغَرَ بَعَرَ. وقولهم: بنصه وفصّه وغير هذا. وجملة هذه المواد اللغوية دخلت في باب المنسي من عريبتنا المعاصرة.

حَيَّهْل:

مركبة من "حَيَّ" ومن "هَلْ" إفادة للحث والاستعجال، وذلك للمبالغة في طلب الاستعجال، قال ابن مسعود:

إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهْلَ بِعَمْرٍ (٤٧).

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة شيء من هذا إلا ما يكون لأحد من الناس أن يتصافح، كما عرض ذلك في نثر معروف الرصافي الشاعر العراقي في كتابه "رسائل التعليقات".

باب الخاء

خَبَاتٍ:

صفة لمؤنث جاءت سبباً وشتماً، مما بُني على "فَعَالٍ".
أقول: وهذا مما ضاع وفني ولم يبق شيء منه في الإعراب الحديث.

باب الدال

دَوَالِيكَ:

انظر: "حَذَارِيكَ". وقالوا: معناها "تداولاً بعد تداول".
أقول: وهذا من الكلم الذي أوشك أن يزول في العربية المعاصرة.

باب الذال

ذَفَارٍ:

مما وَرَدَ على "فَعَالٍ" مبنياً على الكسر سبباً لمؤنث، بمعنى "مُنْتَنَةٍ".
أقول: وهذا أيضاً مما هُجِرَ ونُسِيَ.

ذو:

اسم موصول في لغة طَيِّءٍ، ومنه قول الطائي للمفرد المذكر العاقل:

فقولاً لهذا المرء ذو جاء ساعياً هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَائِضُ^(٤٨)

وللفرد المؤنث غير العاقل، نحو قول سنان بن الفحل:

فإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَبُئْرِي ذُو حَقَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ^(٤٩)

أقول: وهذه من المواد النحوية التي لم نراها في شعر أو نثر في عربيتنا الحديثة.

ذَيْتٌ ذَيْتٌ:

كناية عن قول أو فعل لا يراد ذكره، سواء أكانت بالتكرار أو العطف، بنيت على فتح الجزأين.

باب الراء

رُبَّتْ:

هي "رُبَّ" وقد لحقتها التاء مفتوحة، وليس لي أن أحمل التاء على التأنيث، بل هي تاء زيدت في "رُبَّ" و "أَيَّ" ونحوهما فقالوا: "رُبَّةٌ" و "أَيَّةٌ".

أقول: لم نقف على "رُبَّتْ" هذه في نص حديث إلا أن يكون شعراً يضطر فيه الشاعر، وهذا قليل نادر.

ومثل "رُبَّتْ" "رُبَّتَمَا" التي زيدت فيها "ما"، وهذه أيضاً من الكلم الذي لا نقف عليه في العربية الحديثة ولكننا نجده في الشاهد:

(٤٨) شرح الأشموني ١٥٧/١.

(٤٩) شرح المفصل ١٤٧/٣، ٤٥/٨.

مَاوِيَّ يَا رُبَّتْ مَا غَارَةٍ شَعَوَاءَ كَاللذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ

أقول أيضاً: لعل هذه التاء قد سعى إليها الشاعر القديم، والشاعر القديم أحد صنّاع العربية، وفيه سطوة، يفرض ما يقول فيكون لغة.

رجع:

فعل ماض بمعنى "صار"، وهو يعمل عمل "صار"، جاء في الحديث الشريف: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".

أقول: والفعل "رجع" في عربيتنا الحاضرة لا يتجاوز الرجوع، فهو فعل تام لازم، يقال: "رجع فلان إلى داره". ومثل "رَجَعَ" هذه "عاد" التي ذهب استعمالها فعلاً ناسخاً وبقيت بمعنى "العُود" فيقال: "عاد فلان من مكتبه".

ردّ:

فعل ماض من أفعال التحويل، بمعنى "صَيَّرَ" ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو قول الشاعر:

فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيِضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيِضَ سَوْدَاً (٥٠)

أقول: ويتعذر عليك أن ترى شيئاً من هذا في العربية المعاصرة، ولو كان شيء منه فذاك لدى الصفوة أهل التفاسيح.

رقن:

(٥٠) شرح ابن عقيل ٤٢/٢.

جمع "رقة" وهي الفضة، من الكلم الذي ألحق بمجمع المذكر السالم. انظر: "حرون".

باب الزاي

زَعَمَ:

فعل ناسخ مثل "ظنَّ" يفيد الرجحان، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال أوس الحنفي:

زَعَمْتَنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مِنْ يَدِ دُبِّيَّا^(٥١)

أقول: إن استعمال "زعم" فعلاً ناسخاً لا يُرى في العربية الحديثة إلا على الندرة، ولكنه معروف في استعماله الآخر الذي تليه فيه جملة اسمية مصدرة بـ "أنَّ" نحو قول كثير:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ^(٥٢)

ومثل هذا كثير في العربية الحديثة.

زُكِمَ:

فعل ماض ملازم للبناء للمفعول، وما بعده فاعل له، نحو: زُكِمَ الرجلُ.

(٥١) شرح ابن عقيل وسائر كتب النحو القديم.

(٥٢) شذور الذهب ص ٣٥٩.

أقول: وكأن المعربين في عصرنا ابتعدوا عن كثير من هذه الأفعال التي أتت على بناء المفعول، وهم تارة يتجاوزونها، كما في "رُكِمَ" إلى عبارة أخرى كأن يقولوا: فلان مزكوم، وهو الشائع الكثير مبتعدين عن "رُكِمَ فلان".

زُهي:

وهو فعل مثل "رُكِمَ" السابق في البناء للمفعول.

والمعربون في عصرنا بعيدون عنه إلى صورة أخرى إلا أهل العلم من الأدباء واللغويين.

باب السين

ساء:

فعل ماض للزم مثل "بئس" في استعماله وأحكامه نحو: ساء الرجل فلان الكذاب.

قالوا: ومثل هذا كل فعل ثلاثي بُني على "فَعُل" للمدح أو الذم نحو: شرف الرجل محمد..

أقول: وليس لنا في العربية المعاصرة شيء من هذا، بل إن الفعل "ساء" لا يبتعد عن معناه سواء أصاب أم لم يُصب، يقال: ساء عمل السارق.

إن الذي ذكره النحويون من إفادة "ساء" للزم واستعمالها استعمال "بئس"، وكذلك ما بني من الأفعال على "فَعُل" في إفادة المدح والذم، شيء لا نراه إلا في كتب النحو، وفي أمثلتهم المصنوعة.

ومن المفيد أن أعرض لطائفة من الآيات الكريمة التي ورد فيها الفعل "ساء" منصرفاً إلى معناه بعيداً عن الجمل النحوية المصنوعة المثبتة في كتب النحو، ودونك الآيات:

"إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا" ٢٢ سورة النساء.

"مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْنَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ" ٦٦ سورة المائدة.

"سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا" ١٧٧ سورة الأعراف.

"أَيُّمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" ٥٩ سورة النحل.

"وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ" ١٧٣ سورة الشعراء.

أقول: لم يرد شيء يشبه أمثلة النحويين في هذه الآيات. ولعلمهم ذهبوا إلى إفادة الذم في "ساء" وأنها مثل "بئس" مما ورد من قوله تعالى:

"إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا" ٦٦ سورة الفرقان، وهذا في الكلام على "النار". ثم وجد النحاة حاجتهم بصورة تعينهم في قوله تعالى:

"بئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا" ٢٩ سورة الكهف.

أقول: حتى هذه الآية لم يرد فيها استعمال "ساء" على غرار أمثلة النحويين المصنوعة، وإن جاءت معطوفة على جملة "بئس" (٥٣).

سَحَر:

ظرف زمان منصوب على الظرفية، غير متصرف، وإذا حُلِّي بالأداة تصرف، نحو: خرجت ليلة أمس سَحَر. وهي ممنوعة من الصرف إذا أريد بها سَحَر يوم بعينه لشبه العلمية والعدل. وإذا لم يرد بها سحر يوم بعينه، فهي نكرة ومنونة، قال تعالى: "إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا" ٣٤، ٣٥ سورة القمر.

(٥٣) وقالوا في "عَلِمَ وَجْهَلٍ وَسَمِعَ" أنها تحول إلى أسلوب المدح والذم مع بقائها على أنبئتها ومثلوا لها بقولهم: عَلِمَ الرجل زيدًا، وَجْهَلَ الرجل أبو لهب، وَسَمِعَ الرجل خالدًا، أقول: وكله مصنوع لم يؤيده نص قديم.

أقول: على أن "السحر" معروف في العربية الحديثة، ولكن الكلمة لا تستعمل على هذا النوع من الظرفية الزمانية.

سَعْدِيكَ:

أي إسعاداً بعد إسعاد، انظر "حَذَارِيكَ".

سَقِيّاً لَكَ:

مصدر، منصوب على أنه مفعول مطلق، والكلمة من ألفاظ الدعاء، ولمنزلة الماء في حياة العرب الأقدمين في مواطن تفتقر إلى الماء كان الماء أحب شيء لهم، وكان "الغيث" رحمة لهم. ومنه جاء "الغُوث" وهو الإغاثة والعون على دفع شدة.

أقول: ولما كانت الحاجة إلى الماء في عصرنا الذي توفرت فيه مصادر المياه، غير قائمة لم يكن لنا أن نحتفظ بهذه الأساليب في التحية والدعاء.

سمع:

فعل ماض، ولكن النحاة ذكروا أنه يحول إلى المدح مثل "علم" كما حُوِّلَ "جَهْلٌ" إلى الذم واستعملوا هذه الأفعال بأمثلة مصنوعة فقالوا في "سَمِعَ": سَمِعَ الرجل خالداً. من غير أن يبدلوا بناءه إلى "فَعَلَ" كما في "شَرَفَ".

أقول: وهذا مرفوض لأنه لم يرد في نص قديم. وهذه الأفعال على استعمالها المقيد بمعانيها في العربية الحديثة.

باب الشين

شَتَان:

اسم فعل ماض مبني على الفتح بمعنى افترق، تزداد بعدها "ما" كثيراً وتكون أحياناً موصولة وقد ترد من غير "ما".

قال الشاعر:

جازيتُموني بالوصلال قطيعةً شَتَّانَ بين صنيعكم وصنيعي (٥٤)

و"ما" هنا محذوفة وهي موصولة.

أقول: ولم تستعمل "شَتَّانَ" في العربية الحديثة إلا على حذف "ما" هذه زائدة أو موصولة.

شُدّه:

فعل ماض ملازم للبناء للمجهول، وما بعده فاعل.

أقول: وهذا من القليل النادر في العربية الحديثة، وربما تحولوا عنه إلى اسم المفعول "مشدوه".

شَعَرَ بَعَرَ:

حال مركبة مبنية على فتح الجزأين، بمعنى منتشرين: يقول: تركت القوم شَعَرَ بَعَرَ.

انظر: "حيث بيث".

أقول: هذا من الكلم القديم الذي لا يقال في العربية المعاصرة.

باب الصاد

(٥٤) شذور الذهب ص ٤٠٦.

صَقَبَكَ:

ظرف مكان غير متصرف، بمعنى "قربك" يقال: الكتابُ صَقَبَكَ.
وهذا مما لم يُرَ في العربية الحديثة، وإن كان الفعل "صاقَبَ" معروفاً مستعملاً.

باب الضاد

ضحوة:

ظرف زمان منصوب، يمنع من الصرف إن دَلَّ على وقت "ضحوة" ليوم معلوم، والمانع من الصرف أنه علم جنس مختوم بالتاء، فإن لم يقصد به ضحوة يوم معين صُرِفَ، تقول: لقيته ضحوة.
أقول: "الضحوة" من الكلم المعروف في العربية الحديثة، ولكنها لا تستعمل للظرفية على النحو الذي عرفناه في كتب النحو.

باب الطاء

طُرّاً:

حال مؤكدة لصاحبها، نحو جاء القوم طُرّاً.
أقول: لم يستعمل هذا في العربية الحديثة.

طفقَ:

فعل ماض من أفعال الشروع، ناقص يأتي مضارع فقط يرفع الاسم، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع غير متصل بـ "أن"، نحو قوله تعالى:
"وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" ٢٢ سورة الأعراف.

أقول: ولم يُرَ هذا الفعل في عربية حديثة، وفي شرع وأخذ وقام ونحوها ما يغني عنه.

ثم إنِّي لم أقف على مضارع له، وإن ذكره النحاة.

باب الظاء

ظُبُون:

جمع "ظُبَّة" وهي حدّ السيف، مما ألحق بجمع المذكر السالم.

أقول: هو جمع عزيز في العربية القديمة، وأكثر منه جمع التكسير "ظُبَى".
وليس لنا "ظُبُون" في عربيتنا الحديثة.

باب العين

عاد:

انظر: "رَجَعَ".

عَتَمَة:

ظرف زمان منصوب، غير متّون لعلمية الجنس والتأنيث، وهي الدالّة على "عَتَمَة" بعينها. فإن لم تدلّ على وقت معين صُرِفَتْ.

عِزُون:

جمع "عِزَة" وهي الطائفة، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:

"عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ" ٣٧ سورة المعارج.

عِضُون:

جمع "عِضة" بمعنى متفرقين، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:
"الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ" ٩١ سورة الحجر.

عَل:

ظرف مكان، بمعنى "فوق"، ولا تستعمل إلا مجرورة بحرف الجر "من" وغير
مضافة لفظاً وتبنى على الضم إن كانت معرفة، وهو دلالتها على علو
مخصوص. والمضاف إليه يحذف وينوى معناه لا لفظه، ومنه قول الفرزدق:

وَلَقَدْ سَدَدْتُ عَلَيْكَ كُلَّ ثَنِيَّةٍ وَأَتَيْتُ فَوْقَ بَنِي كَلَيْبٍ مِنْ عَلٍّ^(٥٥)

أي من فوقهم. وتعرب إن أريد بها النكرة أي دلالتها على مطلق علو،
ويحذف المضاف إليه ولم يُنَوَ لفظه ولا معناه فتكون مجرورة بـ "من" مع التثنية أو
من دونه، قال امرؤ القيس:

مَكَرٌّ مَفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَاً كَجُمْلُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍّ^(٥٦)

أقول: و"عَل" هذه مما لم يُرَ في العربية الحديثة.

عليك:

اسم فعل أمر مبني، منقول عن جار ومجرور، قال الشاعر:

(٥٥) شذور الذهب ص ١٠٧.

(٥٦) المصدر السابق.

عليك نفسك فَتَشَّ عن معاييها وَحَلَّ عن عَثَرَاتِ الناس للناس^(٥٧)

أقول: وليس في العربية الحديثة شيء من "عليك" بهذا الاستعمال إلا ما يكون عند المتفصحين.

وكأنني ألمح في هذه المواد التي تدعى أسماء أفعال منقولة عن الجار والمجرور أو الظرف أنها أسلوب من القول في الإيجاز، وهذا يعني أنه يصح تقدير فعل أمر قبل هذه المواد، ولكنهم اجتزأوا بهذه المواد إيجازاً عن طولها، فالتقدير في "عليك نفسك" "الرَّم عليك نفسك" وفي "دونك الكتاب" "خذ الكتاب دونك" وفي "إليك عني" "ابتعد إليك عني".

عَلْيُون:

اسم جمع "عَلْي" لأعلى الجَنَّة، أو معانٍ أخرى أشير إليها في كتب التفسير، وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم نحو قوله تعالى:

"كَأَنَّ إِنْ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَّيْنِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلْيُون" ١٨-١٩ سورة المطففين.

باب الغين

غَدوة:

تدل على أول زمان مبهم، ظرف منصوب، وجاءت شذوذاً بعد "لن" منصوبة على التمييز، قال أبو سفيان بن حرب:

(٥٧) قائله أبو نواس، الديوان ٢٩٥ (ط العمومية ١٨٩٨).

وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكلب منهم لدن غُدوةً حتى دَنَّتْ لغروب^(٥٨)

وهذا كله مما لم يبق لدى المعربين في العربية المعاصرة.

غُلوة:

ظرف منصوب على الظرفية المكانية، تقول: سرتُ غُلوةً.

وهذا أيضاً من الكلم المنسي الذي لا وجود له في العربية المعاصرة.

باب الفاء

فُل:

بمعنى "رجل" ولا تجيء إلا في النداء، تقول: يا فُل، أي يا رجل، وجاءت في الشعر في غير النداء: قال أبو النجم العجلي:

تَضِلُّ مِنْهُ إِبْلِي بِالْهَوَجِلِ فِي لُجَّةٍ أَمْسِكُ فُلَانًا عَنْ فُلٍ^(٥٩)

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة إلا "فلان" وَتُسْتَعْمَلُ في النداء وغيره.

باب القاف

قَعَدَ:

فعل ماضي مثل "صار" معنى وعملاً نحو: قعد المخلص نادراً.

وتأتى للشروع مثل "بدأ" نحو: قعد الطالب يتقدّم.

(٥٨) الدّر اللوامع للشنقيطي ١/١٨٥.

(٥٩) لسان العرب "فلن".

أقول: وكلاهما مما لا يعرف في العربية المعاصرة.

قُلُون:

بكسر القاف وضمها جمع "قُلَّة" وهي عود يلعب به الأطفال، من خشبة يجعل في وسطها حبل، مما ألحق بجمع المذكر السالم.

أقول: لم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة.

باب الكاف

كأَيِّن، كأَيٍّ:

من كنايات العدد، مركبة من كاف التشبيه و"أي" وفيها لغات: كأَيِّن، وكائن، وكئن، وتعرب إعراب "كم" الخبرية، مبنية وتلزم صدر الكلام، وتفتقر إلى تمييز مجرور بـ"من"، نحو: "وكأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ" ١٤٦ سورة آل عمران.

وقال الشاعر:

وكائن تَرَى من صامتٍ لكَّ معجِبٌ زيادته أو نقصه في التكلُّم (٦٠)

أقول: وهذا ما لم يُرَ في العربية المعاصرة.

كُتِع:

من ألفاظ التوكيد المعنوي، نحو جاءت النسوة كُلُّهُنَّ كُتِع. انظر: "بُصَع".

أقول: وهذا أيضاً من الكلم المنسي الذي لا نراه في العربية المعاصرة.

(٦٠) شرح المفصل ١٣٥/٤.

كثُرَ ما:

فعل ماضٍ، اتصلت به "ما" الزائدة أو المصدرية، وكأنَّه يقابل "قلَّما".

أقول: وهذا مما خلت منه عربيتنا المعاصرة.

كَرَبَ:

من أفعال المقاربة، غير متصرف، يلزم صيغة الماضي، يدل على قرب وقوع الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع مجرَّد من "أَنَّ".

أقول: وكأنَّ المعربين وجدوا في "كاد" و"أوشك" ما يغني عن كرب.

أقول أيضاً: كان على النحاة أن يجدوا في الفعل "يريد" ضرباً من المقاربة يندرج في هذا الباب وذلك في قوله تعالى: "فَوَجَدُوا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ" ٧٧ سورة الكهف.

وكذلك الفعل "هَمَّ" في قوله تعالى: "إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا" ١٢٢ سورة آل عمران.

كَفَّةً كَفَّةً:

حال مركبة مبنية على فتح الجزأين بمعنى "مواجهاً" نحو: لقيته كَفَّةً كَفَّةً.

أقول: وهذا من الكلم الذي ضاع ولم نجده في لغتنا المعاصرة.

باب اللام

لُؤْمَانُ:

بمعنى عظيم اللؤم، وهو من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النداء.

لَاتَ:

من الأدوات النافية مشبهة بـ"ليس" وتعمل عملها، ويشترط في عملها أن يكون معمولاً اسمي زمان وقد يحذف أحدهما، والغالب الخبر، نحو قول الشاعر:

لَيْدِمَ الْبُغَاةَ وَلَاتَ سَاعَةً مَنْدَمٍ وَالْبَغْيُ مَرْتَعٌ مَبْتَغِيهِ وَخَيْمٌ^(٦١)

أقول: وهذا مما لا نجده في عريضة العصر، وأدوات النفي كثيرة أغنت عنه.

لا جَرَمَ:

انظر: "جَرَمَ".

لا يكون:

من أدوات الاستثناء بمنزلة "إلا" نحو قولهم: حضر الإخوان لا يكون زيداً.

أقول: ولم نجد في أسلوب الاستثناء في عصرنا هذه الأداة، وفي "إلا" و"سوى" و"خلا" و"عدا" وغيرها ما يسد مسدّها.

لُدُنْ:

ظرف مبهم مبني على السكون، ولم يأت إلا مضافاً للدلالة على مبدأ الغاية الزمانية أو المكانية، ويكثر دخول الجار "من" عليه، وهي كذلك في لغة التنزيل، قال تعالى: "لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّنْ لَّدُنْهُ" ٢ سورة الكهف.

وقال الشاعر:

صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَهُ لُدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَوَائِبِ^(٦٢)

(٦١) شذور الذهب ص ٢٠٠.

(٦٢) مغني اللبيب ص ١٥٧.

أقول: وليس في العربية المعاصرة هذا الظرف، والمعربون يتحولون في هذا إلى عنده، ولا ينظرون إلى خصوصية "الذن".

لِدُون:

جمع "لِدة" والمعنى مَنْ ولد في يوم ولادتك، وهي مما ألحق بجمع المذكر السالم.

أقول: وهذا مما لا يرى في العربية المعاصرة.

لَعَا:

اسم فعل الدعاء، يقال: لَعَا لَهُ، بمعنى سلّمه الله، ويقال أيضاً لَا لَعَا لَهُ، بمعنى لَا سلّمه الله أو لَا أقامه الله من عثرته.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لَا نجده في العربية الحديثة.

لَعَمْرُ:

بفتح اللام والعين، من ألفاظ القسم الصريح، و"عَمْر" بمعنى الحياة، واللام لام ابتداء، و"عمر" مبتدأ، والخبر محذوف وجوباً تقديره: قسمي، و"عمر" تضاف إلى الضمير وإلى الظاهر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبعِ رَمَيْنَ الجمر أم بثمانٍ^(٦٣)

وقال القحيف العجلي:

(٦٣) الكتاب ١٧٥/٣.

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو فُثَيْرٍ لَعَمَرَ اللّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا (٦٤)

أقول: وهذا الضرب من القسم مما لا يرد في عربيتنا المعاصرة.

لَكَاع:

صفة لمؤنث بمعنى "بليدة" مبنية على الكسر، قال الشاعر:

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتٍ قَعِيدُثُهُ لَكَاعٍ

أقول: وهذا كله مما بني على "فَعَالٍ" مبنياً على الكسر علماً لأنثى أو سُبّاً لها، وكله مما لا نجده في العربية المعاصرة.

لَمَّا:

حرف نفي بمنزلة "لم" تنفي المضارع وتجزمه وتقلبه إلى الماضي، ويكون نفيه متصلاً إلى الحال متوقعاً حدوثه، قال الشاعر:

فَإِنْ كُنْتَ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ

أقول: وهذا الجازم مما لا نجده في العربية المعاصرة، وقد جهل المعاصرون خصوصية نفي "لما" فتحولوا عنها إلى تركيب خاص فقالوا: لم يأت البريد بعد.

لَوْما:

حرف امتناع لوجود وتحضيض، يشبه "لولا" في الاستعمال والشروط.

(٦٤) مغني اللبيب ص ١٤٣.

أقول: ولا نجده في العربية المعاصرة.

باب النون

نُتَج:

فعل ماض ملازم البناء للمجهول، وبعده فاعل، كقولهم: نُتِجَت الفَرَس، فهي نَتُوج، وليس في الكلام "فُعِل" وهي فَعُول إلا هذا.

أقول: وليس لنا شيء من هذا في العربية الحديثة. وقد ذهب بهذا الفعل إلى البناء للمعلوم مع زيادة الهمزة "أنتَج" وكان من الأفعال ذات الحضور الوافي. إن المصدر "إنتاج" من المواد الجديدة التي دخلت في ميادين شتى من الشؤون الاقتصادية وغيرها.

نِعِمَّا:

مركبة من "نِعَمْ" و "ما" قال تعالى: "فَنِعِمَّا هِيَ" ٢٧١ سورة البقرة. أقول وهذا التركيب من الأدوات مما لانعرفه في العربية الحديثة.

نَوَّمان:

اسم بمعنى: كثير النوم، تستعمل في النداء، كقولهم: يا نَوَّمان. أقول: وهذا أيضاً من الكلم القديم.

باب الهاء

هَبَّ:

فعل أمر ناسخ، جامد يلزم صيغة الأمر، وليس منه ماض ولا مضارع،
بمعنى الأمر من الفعل "ظَنَ" يفيد رجحان وقوع الخبر، ينصب مفعولين أصلهما
مبتدأ وخبر، نحو قول أبي همام:

فَقُلْتُ: أَجْرَنِي أَبَا مَالِكٍ وَإِلَّا فَهَبْنِي امْرَأً هَالِكاً (٦٥)

أقول: وهذا مما لا نجده، بهذه الشروط، في عربيتنا الحديثة. والذي في
العربية هو "هب" غير هذا. والفعل "هَبَ" كأنه الأمر من "وَهَبَ" ويأتي في لغة
الناس في عصرنا متبوعاً بـ"أَنَّ" ثم معموليها.
والفعل القديم مثل "تَعَلَّمَ" بمعنى "اعْلَمَ".

هَذَاذِيكَ:

انظر: "حذاريك".

والمعنى: إسراعاً بعد إسراع.

أقول: وهذا أيضاً من مثنيات المصادر التي تجاوزها الاستعمال الحديث.

هُزِلَ:

فعل ماض، أتى على بناء المفعول، وبعده فاعله .

أقول: والمعربون يتحولون عنه إلى اسم المفعول "مهزول"، ولم يرد الفعل في
ترسلهم.

هَيَا:

(٦٥) من شواهد "الكتاب".

حرف نداء، قال الحطيئة:

فقال: هيا ربّاه ضيفٌ ولا قريّ بحقّك لا تحرّمهُ تا الليلة اللحم

أقول: وليس في عربيتنا في هذا العصر شيء من استعمال هذه الأداة.

هَيْتَ:

مثلثة التاء، اسم فعل أمر مبني على الحركات الثلاث، وسمع فتح أوله وكسره، وهو بمعنى "تعال" أو "هلمّ" يستعمل في الأفراد والتنثية والجمع مذكراً ومؤنثاً، قال تعالى:

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ٢٣ سورة يوسف.

باب الواو

وا:

حرف نداء للبعيد، أو حرف ندبة ينادى بها المندوب، وهو المتوجّع أو المتفجّع عليه، وقد تأتي للاستغاثة...

أقول: وهذا مما لا نعرفه في عربيتنا وذلك لأن الندبة والاستغاثة يوصل إليهما بأساليب أخرى.

وقد تأتي "وا" اسم فعل مضارع بمعنى "أعجبُ" كقول الشاعر:

"وا بأبي أنت وفوك الأشنبُ" (٦٧)

وهذا أيضاً مما لا نجده في عربيّة العصر.

وابلون:

(٦٦) الديوان ص ٣٩٧.

(٦٧) مغني اللبيب ص ٣٦٩.

جمع "وابل" مما ألحق بجمع المذكر السالم.

وهذا شيء قديم لا يعرف في عصرنا.

وَاهٍ:

بالبناء على الفتح أو الكسر مع التثوين، اسم فعل بمعنى "أعجب" أو "أثَّهَفُ"،

نحو:

واهاً لسلمى ثم واهاً واهاً (٦٨)

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في عربية عصرنا.

وراء:

ظرف مكان منصوب على الظرفية، ولكنه يبنى على الضم إذا أضيف وحذف المضاف إليه ونوي معناه، نحو:

إذا أنا لم أومنْ عليك ولم يكن لقأؤك إلا من وراء وراء (٦٩)

أقول: وهذا مما لم يعرض في ترسل المعاصرين.

وُشْكَان:

بتثنية الواو، اسم فعل ماض بمعنى "سرَّع" مثل "سرَّعان".

أقول: كأن المعربين في عصرنا اكتفوا بـ"سرَّعان" عن "وُشْكَان" هذا.

وَهَب:

فعل ماض جامد، من أفعال التحويل، بمعنى "صَيَّر" نحو قولك:

(٦٨) شرح الأشموني ٣٣/١.

(٦٩) شرح المفصل ٨٧/٤.

وَهَبَنِي الله فداك، أي جعلني وصيرني .

أقول: وهذا مما لا يعرف في العربية الحديثة، والفعل فيها بمعناه أي العطاء، يقال وهبته درهماً، مثل أعطى.

وَيَّ:

اسم فعل مضارع بمعنى "أعجب" قال تعالى: (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْ كَانََ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَقْدِرُ)، ٨٢ سورة القصص.

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم.

وَيَّب:

كلمة قالها العرب في الشتم أو التوبيخ، ثم عَمَّتْ في الدعاء بالشر مثل "وَيْل" استعمالاً وإعراباً.

وهذه مثل "وَيْح" في معنى الترحم وإظهار الشفقة، ومثل "وَيْس" دعاء في الرحمة والرفق، وجميع هذا واحد في الاستعمال والإعراب.

وكذلك "ويك" مثل "ويل" معنى وإعراباً.

وهذا كله مما لم يبق منه شيء في عربية العصر.

ويْلَمُه:

وهي "ويل" رُكِبَتْ مع "أَمَه" دعاء بالشر.

وهذه أيضاً مما فني وزال.

وَيْه:

ومثلها "وَيْهًا" للإغراء والتحريض والحث، وهي كذلك في التذكير والتأنيث، وهذه كنظائرها السابقة مما ضاع من عربية العصر.

خاتمة:

هذا موجز من عمل معجمي أتيت فيه على الذهاب من النحو العربي القديم في عربية عصرنا.

إن جمع هذه المواد لتقدم فائدة لمن يضطلع في وضع موجز في النحو للدارس غير المختص بالعلوم اللغوية.

على أن فيه شيئاً من مشاركة في علم اللغة التاريخي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقائع

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة السادسة والخمسين

١٩٩٠

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والخمسين بمدينة القاهرة، في المدة الواقعة من غرة شعبان، الموافق ٢٦ شباط (فبراير) إلى ١٥ من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٢ من شباط (فبراير) سنة ١٩٩٠م.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث ومناقشات، وما انتهى إليه من مقررات وتوصيات:

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح العلنية برئاسة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع في قاعة المجمع الكبرى، وقد شهدتها جمع من أهل الفكر والأدب واللغة والإعلام، إضافة إلى أعضاء المجمع المصريين والوافدين، وإليك عرض كامل لما تمّ فيها.

١- كلمة وزير التعليم في مصر

ألقى الدكتور أحمد فتحي سرور كلمة استهلها بالترحيب بالأعضاء الوافدين على مصر من الأقطار العربية أو الإسلامية، ومن سائر البلاد شرقية أو غربية، ثم قال:

"إن مؤتمركم المجمعى إنما هو مهرجان للغة العربية يقام كل عام، حيث تعرض فيه إنجازات المجمع من المصطلحات العلمية والفنية التي تتجاوز عدتها كل عام ألفي مصطلح ...". إلى أن قال: "وغير ذلك مما يحفل به برنامج مؤتمركم من بحوث في مختلف الشؤون اللغوية التي تصدر بشأنها قرارات هدفها تيسير قواعد اللغة العربية، وتصويب بعض الألفاظ والأساليب الشائعة التي تنهم بالخروج على ضوابط العربية".

ثم ناشد السيد الوزير المؤتمرين بوضع مقرراتهم على مدى الست والخمسين دورة، بين يدي وزارة التعليم لتفيد منها في تطوير مناهج اللغة العربية وكتابها المدرسي في مختلف المراحل التعليمية.

ثم ختم السيد الوزير كلمته قائلاً: "إن مجمعكم الجليل بوضعه الفريد المتميز، حيث يضم أعضاء من البلدان العربية، هو الأوحد والأقدر على معالجة قضية العاميات الفصيحة في الوطن العربي، وإبراز الصلات المشتركة بينها .. وصولاً إلى التقريب بين العامية والفصحى في كل بلد عربي .. ثم التقريب بين العاميات العربيات في إطار الفصحى ..".

٢- كلمة رئيس المؤتمر

ثم ألقى الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المؤتمر كلمة، رحب فيها بالأعضاء الوافدين، مبيناً أن الموضوع الذي طرحه المجمع على أعضائه لهذه الدورة هو "العامي الفصيح" موضوع هام، ويتطلب تعاوناً شاملاً من علماء الأقطار العربية كافة.

وتحدث الأستاذ الرئيس مطولاً عن اللغة الدارجة في كل من المشرق والمغرب، مؤكداً أنها في طريقها إلى التلاقي والتقارب، بل إنها صائرة إلى التوحد، مبيناً أن الفضل في ذلك يرجع إلى انتشار التعليم من جهة، وإلى وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية من جهة ثانية، وأشاد السيد الرئيس بالدور الجسيم الذي كان لوسائل الإعلام، وبما قام به أعضاء المجمع لتنشيط التقارب المنشود.

٣- كلمة الأمين العام للمؤتمر

وألقى الدكتور شوقي ضيف بعدئذ كلمة مطولة تحت عنوان "بين المؤتمرات" أوضح فيها الأعمال التي كان المؤتمر قد أنجزها في الدورة السابقة، والأعمال التي ستعرض عليه في دورته الحالية والتي أنجزتها لجان المجمع المختلفة وأقرها المجلس فيما بين الدورتين.

ثم عدد السيد الأمين العام المطبوعات التي استطاعت إدارة المجمع إنجازها، مشيراً إلى ما هو منها قيد الإنجاز، مبيناً ما قام به المجمع من صلات بمختلف الجامعات والهيئات الثقافية في مصر والأقطار العربية والدول الإسلامية والأجنبية.

وأعلن السيد الأمين العام اسمي عضوين عاملين جديدين تم انتخابهما وسيستقبلان قريباً هما، الأستاذ الأديب إبراهيم الترزي والأستاذ الدكتور عبدالرحمن السيد، كما أعلن أسماء الأعضاء الذين اعتذروا عن عدم حضور هذه الدورة.

وأنهى السيد الأمين العام كلمته بالترحيب بجميع الأعضاء الذين لبوا الدعوة إلى حضور المؤتمر، ثم شكر جميع الذين حضروا جلسة الافتتاح العلنية.

٤ - كلمة الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية

ألقى الدكتور عبدالله الطيب عضو المجمع من (السودان) كلمة الأعضاء الوافدين استهلها بقوله: "من حسن حظي بعد تسعة وعشرين عاماً عضواً في هذا المجمع، أن أخاطبه بكلمة الأعضاء الوافدين الضيوف، ولا أعد نفسي ضيفاً، إذ أنا ابن هذه الدار وأخو إخواني فيها الأبرار".

وتحدث الدكتور الطيب عن حصيلة ذكرياته في السنين التسع والعشرين التي خلت. وقد اجتمع بكبار أعضاء المجمع الراحلين، ملمحاً إلى الاتجاهات الجديدة التي نمت في العالم العربي، فأبرزت ازدواجية متناقضة: نفور من الغرب واستعمار، مع رغبة مغرصة في تقليده، وكلف بالقومية العربية وحبها، مع نفور شديد من لغتها الفصيحة.

وضرب الدكتور الطيب أمثلة على تلك الازدواجية والأخطار التي تمثلها، غير أنه أعقب كل ذلك قائلاً: "إنني متفائل ... متفائل لماذا؟ متفائل لأنه قد ورد في الحديث، عن يوم يقاتل فيه المسلمون اليهود، إن الحجر يختبئ وراءه يهودي، فينطق ويقول: ... يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله^(١)".

لقد رأينا تأويل ذلك في الانتفاضة الفلسطينية، إذ ينبغي ألا يؤخذ الحديث على ظاهر نصه إن كان ثم وجه لتأويله، وعسى أن يجيء ظاهر اللفظ بعد ذلك".

(١) الحديث مروي في الصحاح. انظر المعجم المفهرس للاتحاد الأممي للمجامع العلمية. ليدن ١٩٣٦

ثم تكلم الدكتور الطيب عن أثر الإسلام في إفريقيا، وكيف أن العربية تكون حيث يكون الإسلام، مؤكداً: "أن طريق العربية هو اللغة الفصيحة الرحبية التي ترجع إلى الأصول لأن بها تستتير العقول" وختم كلامه بالثناء الشديد على جهود مجمع القاهرة من أجل لغة عربية سليمة.

ثانياً : المصطلحات

درس المؤتمر وناقشوا، أثناء جلساتهم اليومية، المصطلحات العلمية والفنية والاجتماعية، التي وضعتها اللجان المختصة وأقرها مجلس المجمع، وذلك بحضور الخبراء المختصين، وقد وافقوا على أغلبها بالإجماع وعلى بعضها بالأكثرية أو بعد إدخال تعديل عليها أو على شرحها.

وبلغ مجموع المصطلحات التي عرضت على المؤتمرين ٣٩١٢ مصطلحاً موزعة بين مختلف العلوم والفنون على الشكل التالي:

٣٤٦	مصطلحاً	من مصطلحات الفيزيقيا
٥٤٨	مصطلحاً	من مصطلحات النفط
٤١٢	مصطلحاً	من مصطلحات الكيمياء والصيدلة
٣٦٢	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم القانونية (قانون العقوبات)
١٥٨	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم القانونية (القانون الدولي العام)
٨٠	مصطلحاً	من مصطلحات الآثار
١٢٦	مصطلحاً	من مصطلحات الجغرافيا
١٣٢٩	مصطلحاً	من مصطلحات العلوم الطبية
١٠٥	مصطلحات من مصطلحات الهندسة	

مصحلاً	١٣٩	في مجال التربية الرياضية
مصحلاً	١٩٨	من مصطلحات الألعاب الرياضية
مصحلاً	٣٦	من مصطلحات الحركة الأولمبية
مصحلاً	٧٣	في مجال الترويج الرياضي
	٣٩١٢	

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمر، أثناء انعقاد المؤتمر إلى عدد من البحوث والدراسات المتخصصة، ألقاها أعضاء وكانت غالبيتها تدور حول "العامي الفصيح"، وفيما يلي عرض موجز لما ألقى من بحوث ودراسات مسلسلة تبعاً لزمناً إلقائها، مع أهم ما دار حولها من تعليقات ومناقشات:

١ - حديث عن الإنسان في القرآن الكريم

بحث ألقاه الدكتور محمد رشاد الطوبي عضو المجمع من (مصر)، بدأه ما ميّز الله به الإنسان حتى أصبح بفضلله سيد المخلوقات، وأصبحت له السيطرة الكاملة على مجريات الحياة في هذا العالم المتسع الأرجاء.

ثم بيّن الباحث دلالة ما جاء في القرآن الكريم من آيات فيها ألفاظ المخاطب بها هو الإنسان مثل الناس والبشر، مؤكداً أن لفظ "إنسان" بدون أداة تعريف لم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)^(٢).

(٢) الإسراء: ١٧: ١٣.

وتكلم الباحث بعدئذٍ عن شمول لفظه "إنسان" للذكر والأنثى، متعرضاً للعرف السائد عند أغلب الشعوب من تفضيل الذكر على الأنثى، مستشهداً بالآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع.

وتعرض الباحث إلى الأساس العلمي للذكورة والأنوثة مؤكداً عدم نجاح جميع المحاولات للتحكم في جنس الجنين، قائلاً: **بأن الأمر كله يظل في يد الخالق القدير القائل: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ^(٣))**.

ثم تحدث الباحث عن مراحل عمر الإنسان، ذاكراً أدوار نموه مذ يكون نطفة حتى يخرج طفلاً إلى أن يصبح غلاماً مراهقاً، وهنا تكلم عن مرحلة النضج الجنسي، وتابع حديثه عن صيرورة الإنسان كهلاً إلى أن تدركه الشيخوخة والهرم.

وختم الباحث حديثه بشرح قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ)^(٤) مبيناً أن المقصود بالألسنة هو (اللغات) وبالألوان هو: **(لون الجسم من بياض وسمرة وسواد ..)** شارحاً قوة هذا التمييز من الوجهة العلمية.

وشكر كل من الزملاء الأساتذة: علي رجب المدني ومحمد عزيز الحبابي ومحمد متولي الشعراوي وأمين علي السيد وحسن الفاتح قريب الله ومحمد نايل أحمد وعبدالله الطيب وعبدالكريم خليفة ومحمد مهدي علام، الباحث على حديثه الممتع، وأبدى كثير منهم بعض الملاحظات الجانبية كما ألقى بعضهم شيئاً من الضوء على ألفاظ وتفسيرات وردت في البحث.

(٣) الشورى: ٤٢: ٤٩.

(٤) الروم: ٣٠: ٢٢.

٢- العامية : عاميات والواجون حماّتها: أنماط

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من (سورية)، قدّم له نبذة عن تاريخ اللحن في العربية وتسريه إلى نطق الخاصة، مما أفزع علماء الدين واللغة، فهبّ الغيارى على الفصحى منهم يكتبون ويؤلفون ويبحثون خاصة المسلمين قبل عامتهم، على وجوب التقيد بضوابط اللغة، والالتزام بالسليم من اللفظ.

ثم تكلم الباحث عن عوامل النهضة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي، وعن الدعوة التي رافقتها إلى نشر التراث العربي وظهور معجمات حديثة لغوية، والمناداة بوجوب التزام الفصحى في تعليم العلوم، وكان ذلك ردّ فعل لازدياد المطامع الأوروبية بالبلاد العربية وتشجيع أنصار العامية لحمل لوائها والدعوة إلى اعتمادها.

وأفرد الباحث بعدئذ نبذة خاصة بكل قطر عربي، مستعرضاً فيها المؤلفات التي غنيت بموضوع الصراع بين العامية والفصحى وأمكنه الاطلاع عليها، مستخلصاً مما ورد فيها، أن العامية في كل قطر إنما هي مجموعة عاميات على النحو التالي بيانه:

١- ميّز مؤلف كتاب "تهذيب الألفاظ العامية" المصري^(٥)، بين لهجة أهل القاهرة ولهجة أهل الإسكندرية، وبين لهجات أقاليم الوجه البحري ولهجات أقاليم الوجه القبلي.

(٥) هو الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الأميرية والكتاب طبع في مصر سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م).

٢- يقول: مؤلف كتاب "العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى الجزائرية"^(٦): "... الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية، التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحياناً من قرية إلى قرية مجاورة لها".

٣- يعرف كاتب "عاميتنا المعجمية" المغربي^(٧)، العاميّة قائلًا: "هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي، ويقال لها أيضاً الدارجة، لأن القوم درجوا على التفاهم بها"^(٨)، وبما أنه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل ..".

٤- يقول مؤلف كتاب "ردّ العاميّ إلى الفصحى" الشامي^(٩): "... وإنه لغني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العاميّ هو من اللهجة التي أسمعها كل يوم بل كل ساعة، وهي لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان".

٥- ذكر مؤلف معجم "العاميّ والدخيل" اللبناني^(١٠) في مقدمته العاميّات قائلًا: إنها "متشعبة الفروع لاختلاف لهجات الناطقين بها، فما تراه عامياً في لبنان لا تجده كذلك في دمشق وسائر أجزاء سوريا، بل إن كل قرية في لبنان لها عاميّة خاصة ولهجة يعرف بها أهلها".

(٦) هو الدكتور عبدالملك مرتاض والكتاب طبع سنة ١٩٨١.

(٧) هو الزميل الراحل عبدالله كنون والمقال نشر في تطوان سنة ١٩٥٤.

(٨) مما اعترض عليه الزميل كمال بشر القول عن العامية: ويقال لها الدارجة، لأن العاميّة ليست دارجة علمياً، وهذا صحيح، ولكن كاتب المقال لم يكن في بحثه راعياً في التسوية بينهما.

(٩) هو الزميل الراحل أحمد رضا صاحب معجم متن اللغة والكتاب طبع في صيدا سنة ١٩٥٢.

(١٠) هو الشيخ رشيد عطية وقد طبع معجمه في سان باولو سنة ١٩٤٤.

٦- يقول مؤلف كتاب "معجم اللغة العامية البغدادية" العراقي^(١١): "... ولكن اللفظة العامية في بغداد غيرها في مصر والشام واليمن والمغرب، بل هي غيرها في بغداد والموصل والبصرة أحياناً بل هي في الرصافة غيرها في الكرخ".

وبعد أن عرض الباحث على المؤتمرين جملة من الكلمات التي توصف بأنها مولدة أو محدثة أو دخيلة أو عامية وهي في حقيقتها فصيحة ولكنها مهجورة لعاميتها، وكلها من المستحسن إقرار إثباتها في "المعجم العربي" مع إجازة المجمع استعمالها من قبل الطلاب أو من قبل الأدباء والكتاب إذا ما رغبوا في ذلك، قال:

"ها نحن قد عرضنا لمحات واضحة عن قصة العامية كيف نشأت إلى جانب الفصحى وكيف نمت جذورها، ثم أوردت أغصانها إلى أن طغى فيئها، وأصبحت لهجة تتحدث بها مجتمعات عديدة، وإذا بها تسيطر على مختلف الشعوب العربية، ويقوم نفر في كل شعب منها غريب الديار تارة ومن ذوي الأرحام تارة أخرى، يدعون لها ويشيدون بها وبعضهم يعمل لتحل محل الفصحى ليل نهار.

كما عرضنا وشلاً مما احتوته مؤلفات الذين حاموا حول العامية أو ولجوا حمايتها في العصر الحديث، وكلهم وجد نفسه أمام عاميات تتفاوت لا بين قطر وقطر من أقطار الوطن العربي، ولا بين بلد وبلد فحسب، بل تتفاوت أحياناً بين حي وحي".

ثم ختم الباحث حديثه بالكلام عن دوافع العلماء إلى الولوع في آفاق العامية، مؤكداً أن دوافع غالبيتهم كانت **الغيرة على الفصحى**، أما بواعث ركض الآخرين وراء العامية، فهي متعددة متباينة حيناً، مختلفة متعارضة أحياناً، متشابكة متنافرة

(١١) هو الشيخ جلال الحنفي البغدادي وكتابه طبع في بغداد سنة ١٩٦٣.

في بعض الأحيان، مما يصعب معه تصنيفهم في فئات محددة، إنما هم أنماط أشتات تتراوح بين علماء فتتتهم الحضارة الغربية فتخليلوا أن التقدم الحضاري مرهون باتباع خطوات الغرب التي مشاها نفسها، ونفر من الحاقدين على ما ترمز إليه الفصحى يحلمون بالقضاء عليها إذا ما غدت العامية لغة معترفاً بها.

وأنهى الباحث حديثه بتوزيع أنماط الوالجين حمات العامية على عشرة أصناف، تنقص نصفهم النيات السليمة والأفكار الصحيحة.

وأثنى على البحث كل من الزملاء الأساتذة: كمال بشر ومهدي علام وإبراهيم السامرائي وعلي رجب المدني^(١٢)، ومحمود علي مكي وأحمد السعيد سليمان وعز الدين عبدالله، ومحمد نايل أحمد^(١٣)، وأمين علي السيد، وأبدى بعضهم ملاحظات ملاحظات جانبية، وعلق آخرون ناقدين بعض ما ورد في البحث أو أغفل الباحث ذكره.

٣- المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبدالكريم خليفة عضو المجمع من (الأردن)، استهله بتزديد مقولة اختلاف اللغة الأدبية عن اللغة العلمية من حيث أساليب هذه ووضوح مدلولاتها وتحديد معاني مفرداتها، إلى أن قال: "وأدى تسارع الحركة العلمية منذ الحرب العالمية الثانية، إلى دخول فيض كبير من المصطلحات العلمية والتسميات بكلمات متعددة وعبارات طويلة في اللغات الأجنبية، مثل:

(١٢) أبدى الزميل الكريم تحفظاً شديداً على ما سمعه من الباحث من فتح عين كلمة (العلمانية) كلما وردت، وكأنه يرى رأي من أدخل في الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط (العلمانية) مكسورة العين، وسبق لنا أن أثبتنا خطأ هذا الرأي في البحث الذي ألقيناه في مؤتمر المجمع سنة ١٩٨٧.

(١٣) اعترض الزميل المحترم على إقرار معنى لفظة (بطانة) العامي محتجاً بقرآنية الكلمة، وأعتقد أن قبول معنى (بطانة) السوء لدى الطغاة أي "حواشيهم" لا يتماشى وقرآنية الكلمة.

الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية. وقد رأوا في مؤسساتهم اللغوية والعلمية أن ينأوا عن تكرار هذه العبارات الطويلة، توفيراً للوقت والجهد وتيسيراً للفهم والإفهام، فلجأوا إلى أسلوب المختصرات (Abbreviations)، وذلك بوضع أشكال معينة للتعبير عن المعنى بصورة رمزية مختزلة، وفق قواعد محددة ومتعارف عليها، فاختصروا الكلمات في حروف تكون عادة أوائل كلمات المصطلح".

وبين الباحث بعدئذٍ كيف جنحت أكثر اللغات نحو اختصار الصيغ.

كما عرفتة العربية فيما يسمى **بالنحت**، ثم استعرض المحاولات الفردية والمحاولات غير المدروسة التي شاعت في بعض الأقطار العربية مما يوجب وضع قواعد تحدد كيفية وضع "المختصرات" المقبولة عربياً تجنباً للفوضى والتناقض.

وضرب الباحث أمثلة عن الفوضى والتناقض في المختصرات التي ابتدعتها بعض المؤسسات العربية، مستخفة برونق اللغة وخصوصيتها، سالكة مسلك المختصرات التي ابتدعتها المؤسسات الدولية من أسمائها باللغة الإنكليزية.

وتابع الباحث حديثه عن شيوع أسلوب المختصرات داعياً إلى أن: "تأخذ المجامع والهيئات اللغوية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التي تنشأ عن ذبوع استخدام المختصرات، ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها، وإضفاء رونق العربية عليها، ونظمها في سياق الجملة العربية السليمة".

ثم ختم الباحث دعوته بذكر بعض المقترحات التي يراها تعين على تحقيق ما يدعو إليه.

وتلقى الدكتور عبدالكريم خليفة تهاني زملائه على بحثه الجيد، وكان من المتكلمين كل من الدكتور إبراهيم مذكور والدكتور محمود الجليلي والأستاذ علي رجب المدني والدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور إسحق موسى الحسيني

والدكتور عز الدين عبدالله والدكتور عبدالرحمن الحاج صالح والدكتور شوقي ضيف، وقد أغنى كثير منهم موضوع البحث بملاحظات قيمة.

٤- ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع المراسل من (فلسطين)، بدأه بالإشارة إلى قدم صلته بالمجمع بصفته رئيس دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مشيداً بإنجازات المجمع الفائقة، فقد أفادته في عمله كثيراً وأخذ بنشرها.

وشكر الباحث للمجمع انتخابه عضواً عن فلسطين، ثم استهل بحثه عن ألفاظ الحضارة بذكر تعريف المعجم الوسيط لها، وانتهى إلى القول: بأن كل لفظ - في كلامنا - هو لفظ حضاري يحمل في طياته قليلاً أو كثيراً من الحضارة، تبعاً لخبرة السامع وثقافته وبيئته".

وتكلم الباحث عن صلة اللغة العربية بألفاظ الحضارة، وكيف استوعبتها في القديم، وعن قدراتها في استيعابها في العصر الحديث. وجاء الباحث بأمثلة توضح كيف استوعبت العربية ألفاظ الحضارة قديماً، ثم ذكر تاريخ أشهر معجم في اللغة الإنكليزية - وبستر الثالث الدولي الذي صدر عام ١٩٦١ - مبيناً كيف استوعب هذا المعجم وملحقاته التي تصدر تباعاً كل خمس سنوات، وهو يستوعب ألفاظ الحضارة المعاصرة جميعها، مؤكداً بأنه لم ينقل إلى العربية حتى اليوم نصف ما في ذلك المعجم الإنكليزي من ألفاظ.

ثم تحدث مطولاً عن ألفاظ الحضارة بين العامية والفصحاة، مؤكداً التوسع في الأخذ بالعامي الفصيح وبالمولّد والمحدث، والتوسع في تعريب الأعجمي والدخيل دون عائق وبلا اشتراط.

وأنهى الباحث حديثه بقوله: "الألفاظ الحضارية الدخيلة السابق منها الذي هضمته العربية، والمستجد الذي تقبله اللغة بالاستخدام والشيوع والغلبة السليقية، هي جزء مهم من اللغة ينعشها ويثريها، كما أن ملحقها المعرب بنطقه لاستخدام العلماء، يجعلها قادرة على استيعاب العلوم المتطورة الحديثة، ويقرّبها إلى لغة العلم العالمية، ويسد الطريق على معرقلي مسيرة التعريب في مختلف مراحلها" إلى أن قال: "والغنى الصحيح، لا يأتي إلا حين تصبح العربية وسيلة المتعلم والعالم، وإلا باستنابات العلم بيئياً عندنا، لتصبح العربية لا لغة التعليم في كافة مراحلها فقط، بل أيضاً لغة البحث العلمي والإبداع العلمي، وهذا بحث يطول وأمل يرتجى".

وقبل حديث الأستاذ الخطيب بتقدير جمّ مع حذر شديد، وأبدي، بتعليق خاطف، الأسف لعدم سماح الوقت بالتعليق عليه، كما ذكر الدكتور محمود الجليلي، كما علق الدكتور محمد يوسف حسن قائلاً: إن هذا البحث جديرٌ منا بالاهتمام لخطورته^(١٤).

٥- الخرائط المنسوبة إلى بطليموس

بحث ألقاه الأستاذ فؤاد سيزكين عضو المجمع المراسل من (تركيا)، وقد حضر مؤتمر هذا العام متأخراً، فدخل قاعة الجلسات لأول مرة في اليوم المحدد لإلقاء حديثه الملمع إليه في جدول الأعمال.

بدأ الباحث موضوعه الهام محاولاً إيضاح دور الراهب البيزنطي بلانيوديس مكسيموس^(١٥)، في صنع خرائط العالم الجغرافية، ونسبها إلى عمل (بطليموس

(١٤) قامت مكتبة لبنان في بيروت بطباعة البحث طباعة متقنة وأهدته إلى المهتمين بالموضوع.

(١٥) عاش الراهب بلانيوس مدة بين سنتي ١٢٦٠-١٣٣٠ ميلادية، وكان عالماً باللغة الإغريقية

القديمة وله فيها مؤلفات متعددة، وتجد شيئاً من ترجمته في الموسوعة العربية - القاهرة ١٩٦٥-

واسمه باللاتينية Planude Maximos.

صاحب المجسطى^(١٦)، بحجة أنه نقلها عن كتاب العالم المذكور، مغفلاً أي إشارة إلى فضل العرب والمسلمين في إيداع الخرائط الجغرافية التي تفوق ما صنعه بطليموس دقة وقرباً من الحقيقة^(١٧).

وعندما انتهى الباحث من كلامه، حاول بعض الزملاء مناقشته في بعض ما ذكره، وفي مقدمة هؤلاء كان الدكاترة: محمود الجليلي وعبدالله الطيب والسعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف، غير أنه اعتذر لاضطراره إلى ترك الجلسة، وبالفعل انسحب من قاعة الاجتماع، دون أن يترك نسخة عن محاضراته - إن كان سبق له أن أعدها - على أنه كان يحمل أثناء حديثه كتابه الموسوم "مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم"^(١٨).

وهكذا اضطرت هيئة تحرير ضبوط الجلسات إلى إغفال ذكر البحث برمته، وأنه أُلقي في الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ الثالث من آذار (مارس) وكانت برئاسة الدكتور ناصر الدين الأسد.

(١٦) عالم يوناني ولد وتوفي بمصر بعد سنة ١٦١ للميلاد. وقد ذكر أمين المعلوف صاحب المعجم

الفلكي في تعريفه بكتاب المجسطى Almagest ما يلي: =

=كتاب في الفلك ألفه بطليموس ونقله العرب إلى لغتهم، والميم في بطليموس قبل الباء فيقال بَطْلَمْيُوس أو بَطْلَمْيُوس لا بطليموس. والمجسطى بكسر الطاء فلا يقال:

المجسطى بل المجسطى (تحقيق نلينو) القاهرة ١٩٣٥.

(١٧) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ترجمة صلاح عثمان هاشم - مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥.

(١٨) الكتاب من منشورات سلسلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية تأليف فؤاد سزكين طبع فرانكفورت

(ألمانيا الغربية) سنة ١٩٨٧.

٦- من الشعراء المغمورين : خارجة بن فليح المللي

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية) استهله بقوله: "خارجة بن فليح المللي شاعر حجازي مجيد، عاش في القرن الثاني للهجرة، لم تتحدث عنه كثيراً كتب الأدب الشهيرة .. وقد رأيت في شعر هذا الشاعر سمات من الجودة أغرتني أن أتتبع أخباره ما استطعت .. مؤملاً أن تكون هذه بداية بحث أستكمله أو يستكمله غيري ..".

ثم ذكر الباحث أن أقدم من ذكر الشاعر هو (الزبير بن بكار) في كتابه (جمهرة نسب قریش وأخبارها) وقد حقق بعضه الأستاذ محمود شاكر، وذهبت الأيام ببعضه الآخر.

وجمع الباحث أخبار خارجة من كتب اطلع عليها فيها البيت أو عدة أبيات منسوبة إليه، أو معلقاً على كلمة أو لفظ جاء في بيت من شعر خارجة.

وكان الباحث ارتضى ما ذكره ابن الجراح في كتاب الورقة، من أن الشاعر هو: خارجة بن فليح المللي. مولى أسلم، حجازي، شاعر مجيد، كثير الشعر، وأن مللاً التي ينسب إليها الشاعر موضع بين مكة ويثرب لا اسم رجل أو قبيلة.

وتحدث الباحث بعدئذٍ عن تصحيف نسبة خارجة في بعض المصادر، وعن عصره وأخباره ومكانته الشعرية وساق الرواية التالية:

"أخبرني أحمد بن يحيى النحوي قال: أخبرني عبدالله بن شبيب قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال: جئت عبدالعزيز بن عمران الرهوي يوماً، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول: عليّ أيمانُ البيعة إن لم يكن أشعر الناس. فدخلت عليه، فقلت: من هذا؟ فقال: خارجة المللي. فقلت: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول:

تخايلها طرفُ السمو لعاشق هفا هفوة ثم استفاق فأكذبا

ومن قوله:

فهمّ نياط القلب إذ نشّرت به بناتُ الهوى في الصدر أن يتقبضا

ومن قوله:

ما تذلّك الشمس إلا حذو منكبه

في غايّة تحتها الهامات والقُصُرُ

آل الزبير نجوم يستضاء بهم

إذا دجى الليل من ظلماته زهروا

قوم إذا شومسوا جدّ الشّمس بهم

ذات العناد، وإن ياسررتهم يسروا

خُصّ المديح أبابكر ووالده

وعمّهم منك إن غابوا وإن حضروا

ثم جاء الباحث بما عثر عليه، في مختلف المصادر التي اطلع عليها، من شعر خارجة مرتباً إياه على حروف المعجم.

وشكر للباحث ما أتخف به المؤتمرين من بحث وشعر، كل من رئيس الجلسة والزملاء الدكتور أحمد السعيد سليمان والدكتور شوقي ضيف.

٧- ما هجر في العربية الفصيحة واحتفظت به العامية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من (العراق) جاء فيه بمعجم للعامي الفصيح في لهجات العراقيين، أدرجه على حروف الهجاء واستهله بهذه المقدمة:

"هذا باب خاص من العامية، وخصوصيته تتأتى من كونه عامياً دارجاً تخلو منه العربية المعاصرة، إلا أنه كان فصيحاً في عربية القرون الماضية. وهذا يعني أن اللفظ قد تدنى في مستواه ودرجته فصار عامياً لا يلتزم به المعربون في كلامهم وكتاباتهم.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن تحوّل الفصيح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

١- إن الفصيح القديم مما قلّت الحاجة إليه، وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعربين منها.

٢- أو أنها مما زالت من حيّز الفصيح فقبعت في العامية، وأن غيرها يسدّ مسدّها.

٣- أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول وهي فصيحة، فتحوّلت لخصوصيتها إلى عامية، ثم اكتسبت في عاميتها بناءً جديداً، أو قلّ عرض لها شيء من القلب والإبدال، وزيد في أحرفها أو نقص حتى ابتعدت بذلك كله عن سمتها الفصيح".

وأردف الباحث يقول: "إن هذه العامية ذات الأصول الفصيحة مما استقرته في أهل العراق، وإني لوائق أن في كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أصولها فصيحة، أو أنها تحولت لسبب ما إلى العامية، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر".

ثم عرض الباحث على المؤتمرين معجمه، نقتطف منه الكلمات التالية:

١- أ ب و

إن الفعل أبى يأبى قد عُرف في الفصحح، وما زال فيها معروفاً مستعملاً، غير أن العامية ذهبت فيه إلى المزيد (تأبى) على (تفعل) وهو في عامية أهل العراق بمعنى (امتنع) مع خصوصية دلالية، وهي أن الذي (يتأبى) هو ممتنع كاره، ومن هنا كان الامتناع عن السلب أو قل الشر.

وبناء الفعل لا تعرفه العربية الفصيحة.

٢- ب ح ث ر

في فصحح العربية: بحثر الشيء: بحثه وبدّده كبعثره.

أقول: وليس في الفصيحة المعاصرة هذا الفعل، ولكنه واضح في استعمال

اللغة بدلالته نفسها.

٣- ب ش ر

جاء في فصحح العربية، أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها، وبشرة الأرض: ما ظهر من نباتها.

أقول: وليس شيء من هذا القبيل في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجد في لغة عامة العراقيين من أهل القرى: بشّرت النخلة أو الشجرة: أي أعطت باكورتها من التمر والثمر.

٤- ج ل ب

جاء في معجمات اللغة (الجَلَب) بفتحيتين، بمعنى ما جُلِب من خيل وإبل ومتاع، وهذا ما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في عامية أهل العراق، وعندهم الجَلَب: لما يجلب من البقر والغنم والإبل للذبح.

وختم الباحث حديثه بقوله: "هذا موجز ما انتهى إليه حفظي واستقرائي وبحثي في لغات العراقيين العامية. وأنا واثق أن لدى أهل الأمصار الأخرى شيئاً نظيراً لهذا".
وشكر للباحث جهوده في وضع المعجم المنوه عنه، كل من الزملاء الأساتذة: السعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف وعبدالله بن خميس مع تعليقهم على بعض الكلمات التي وردت في البحث.

٧- تراجم أدبية من مخطوط مجهول

(تاريخ عبدالحميد بك)

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أبو القاسم سعد الله عضو المجمع المراسل من "الجزائر".

ذكر الباحث بأنه يحقق كتاباً في التراجم يظن بأنه لم ينشر بعد، وأنه اختار منه نماذج من الشخصيات الأدبية التي ترجم لها فيه. وأن عنوان الكتاب مبتور ومجهول، وأنه وجد أحمد تيمور "باشا" يترجم في كتابه (أعلام الفكر الإسلامي في العصر

الحديث، لمؤلف كتاب (تاريخ أعيان القرن الثالث عشر وبعض الثاني عشر) ويسميه (عبد الحميد نافع بك) (١٩) .

وكانت أول ترجمة ذكرها الباحث ترجمة المؤلف لوالده واسمه خليل بن مصطفى آغا، وكان المؤلف يطلق عليه لقب (الأمير خليل أفندي) وهو من مواليد بلدة (قوالة)، اصطحبه محمد علي باشا مدة وكانت بينهما مصاهرة، ولما تولى محمد علي خديوية مصر لحقت به عشيرته وفيها خليل هذا، وفي مصر تولى مناصب كثيرة، منها محافظات كل من: رشيد والغربية والبحيرة وبني سويف والدقهلية.

ثم وصف الباحث للمؤتمرين المخطوط وما حواه من تراجم رجال ونساء القرن الثالث عشر، مؤكداً أنه ما زال مسوداً غير كامل وغير مرتب وفيه تشطيب كثير، وهو يحتوي على حوالي مائة ترجمة متفاوتة في تفصيلاتها.

وعدّد الباحث بعددٍ بعض أسماء المترجم لهم ومنهم: أحمد راشد المصري وأحمد المسيري وعلي الصيرفي ومحمد أمين الزللي ومحمد كاشف البحاري ومحمود نوار الإسكندري ومصطفى أبو الفضل.

وختم الباحث حديثه قائلاً: "نحن عاملون على تحقيق هذا المخطوط الخصب في معلوماته المتنوع في شخصياته، رغم عدم استيعابه وإحاطته، لوفاة صاحبه في شبابه وقبل إتمامه ..."(٢٠).

(١٩) يتعجب زميلنا الباحث قائلاً: ولا ندري من أين أُضيفت كلمة (نافع) لاسم عبد الحميد ما دامت لم ترد في المخطوط! وأقول: وفيه العجب ما دام المخطوط الذي وقع عليه ميثوراً ومجهولاً - على حد تعبيره - وما دامت ترجمة أحمد تيمور للمؤلف تنطبق عليه تمام الانطباق!

(٢٠) من اطلعنا على الترجمة التي أنبأها أحمد تيمور باشا لعبد الحميد نافع في الصفحة ٢٠٤ من كتابه الذي أشار إليه الزميل في بحثه، لاحظنا أنها تحتوي على مداخل كثيرة كان على الزميل المحترم ولوجها قبل البدء بالتحقيق، ما دام المخطوط الذي وقع عليه كان ميثوراً وغير كامل ويظن أنه المسودة التي كان المؤلف يعمل فيها، ومن تلك المداخل ما يلي:

أولاً: إن ما ذكره تيمور باشا من أن التاريخ الذي ألفه عبد الحميد نافع كان قد بيع بعد وفاته مع ما بيع من كتبه، وأنه موجود في (ليندن) بهولنדה، يوجب على من يريد تحقيق الكتاب أن يبدأ بالبحث عن مصير تلك النسخة التي بيعت بعد وفاة المؤلف، وأن يعمل على استنساخها.

وشكر الرئيس للمحاضر جهوده في البحث والتحقيق، وكذلك الدكتور شوقي ضيف، وكان مما علق به الدكتور السعيد أحمد سليمان أن النسبة إلى مدينة قولة هي (قللي).

٩- حفظوا اللغة في عصر الأُمّية

وأضاعوها في عصر العلم

بحث أعدّه وألقاه الشيخ عبدالله بن خميس عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية).

بدأ الباحث كلامه بوصف العرب في عصرهم الجاهلي عصر الأُمّية والبعد عن الثقافة والفنون بأنهم كانوا "أشدّ حرصاً على لغتهم وأعظم غيرة عليها من أن تغمز أو تخدش أو ينال منها" لأنهم "كانوا ينطقونها سليقة ويتحدثون بها فطرة ويستعملونها طبعاً" إلى أن قال: "وكانت عاميتهم - إن كان هناك عامية - لا تبعد عن فصاحم ولا تتأى عن لسانهم الصحيح الفصيح".

ثانياً: إن ما ذكره تيمور باشا من أن عبدالحميد نافع اشتغل بالموسيقى وله فيها رسالة، يوجب على من يريد تحقيق مؤلف لعبدالحميد الاتصال بمن يهتم بتاريخ الموسيقى في مصر لمعرفة مصير تلك الرسالة، لعل هذا الاتصال يفيد.

ثالثاً: ذكر تيمور باشا أن الشيخ أحمد الفخماوي جمع في رسالة كبيرة ما كان يجري في ندوة عبدالحميد بينه وبين صديقه الحميم الشاعر إبراهيم طاهر من طرائف أدبية، ومن غريب المصادفات أن تيمور باشا ترجم للفخماوي هذا ترجمة عجيبة فهو فلسطيني من بلدة أم الفحم، درس في الأزهر وعاش ومات في مصر، وترك ولدين أحدهما وهو كاتب ترجمة والده كان صاحب صيدلية في شبرا، ولعل في البحث عن مصير رسالة الفخماوي، وعن مصير أسرته ما ينير السبيل للزميل في ما يحققه.

رابعاً: مما ذكره تيمور باشا أيضاً أن عبدالحميد كان في حياته جمع ديوان صديقه صفوة الساعاتي، ولعل البحث عن مصير هذا الديوان فيه ما يفيد.

ثم تحدث عن السليقة كيف "بدأت تضمر وبدأت الفطرة تتحول إلى خليط من عامية لم يعد يفرق المتتبع لهذه اللغة وأساليبها بين شتى اللهجات" إلى أن قال: ونحن الآن في عصر اشتدت فيه حماية الأمم للغاتها .. وأرادوا لها السيادة والريادة .. بينما لغتنا تعيش وضعاً لا تحسد عليه من التفكك والتذبذب والانحطاط. **تعيش عامية طاغية يستعملها المدرس والممثل والمدرسة والشارع وربما المذيع ...**".

وقارن المتحدث بعدئذ ما كان يلقاه اللاحق قديماً من الإنكار، وبين سيادة العامية في عصرنا، داعياً إلى العناية بالفصحى وجعل القرآن ركيزة في تعليم الصغار وأهاب بمجمع اللغة أن يبادر إلى تحمل المسؤولية والعمل على ردّ العامية إلى الفصحى. وشكر الرئيس وثلة من الزملاء للباحث غيرته على الفصحى وبيانه الصريح.

١٠ - بين العلم والأدب عندنا

برزخ لا يبغيان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أحمد سليم سعيدان عضو المجمع المراسل من (الأردن).

بدأ الباحث حديثه بعرض صورة من تضافر العلم والأدب في العالم المتقدم قائلا: "بأن العلم والأدب توأمان للفكر الإنساني طبيعتهما وطبعهما أن يكونا متضامنين متكافلين، يسند كل منهما أخاه ويغذيه، سلاحهما الكلمة المكتوبة أو المسموعة، وهدفهما العمل من أجل مستقبل أفضل، لنا وللإنسانية جمعاء".

وتحدث الباحث عن نهضة الغرب الفكرية وكيف كان العلم ركناً هاماً من أركانها، كما كان همّ الدول المتقدمة أن تقيم تفاعلاً قوياً مستديماً بين العلم والناس وبين العلم والأدب، وكيف أن المواطن في العالم المتقدم يعتز بماضيه كما يعتز بحاضره لأنه يمدّه بالثقة بالنفس، فيعمل على تحقيق أمجاد تضاف إلى ما حقق آباؤه وما يحقق زملاؤه.

وبعد أن عرض الباحث حالة الأقطار العربية المعاصرة، ختم بحثه قائلاً: "علينا بالإضافة إلى تيسير نشر العلم بين العلميين والإنسانيين على السواء، خلق الجو المناسب لأن ينمو العلم ويشيع ويصبح طابع حياتنا والموجه الفعال لتفكيرنا وتصوراتنا".

وتلقى الباحث الشكر على بحثه من الرئيس وعدد من زملائه المؤتمرين.

١١- اللغة العربية

بين المشافهة والتحرير

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح عضو المجمع المراسل من (الجزائر).

بدأ الباحث حديثه بتعليل إعجاب المثقف العربي بالاهتمام الكبير الذي يوليه اللغويون الغربيون بلغة المشافهة وقلة اعتدادهم بلغة التحرير، مؤكداً أن الاهتمام ناتج عن ردّ فعل عنيف ضد الأجيال السابقة من النحويين والمربين الذين كانت لا تهمهم إلا اللغة المحررة.

ثم تساءل الباحث عن الموقف الذي يجب أن يقفه العلماء العرب إزاء النظريات اللغوية الغربية؟ مؤكداً أنه لن يتم أي تغيير جذري للوضع الراهن ما لم يعالج هذا الوضع بالبحوث العلمية الدقيقة المنتظمة والوسائل التكنولوجية المفعول، وأن هذا ما سيتعرض له في بحثه.

ثم أخذ الباحث، وهو من أكبر المشتغلين باللسانيات في الوطن العربي - يعرض المشاكل التي يثيرها علم اللسان الحديث واحدة مثل التصدي للأخطاء اللغوية وعدم نجاعته إزالة الأخطاء، ومثل اتهام اللغة الدارجة بأنها ليست من الفصحى في شيء.

ثم ساوى الباحث في البغض بين نزعتين: قبول الخطأ الشائع والتعسف في التخطئة، وأنكر على المتمادين في الخطأ أن يحتجوا بالقول: إن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور.

ثم تحدث الباحث عن لغة التخاطب اليومية الفصيحة العفوية ومميزاتها كاختزال المصوتات وإسقاط الحركة والتنوين في آخر الكلام، واختلاس الحركات غير الموقوف عليها وإدغام بعض الحروف، وتخفيف الهمز، وحذف وإضمار بعض الحروف أو الكلمات اختصاراً.

وختتم الباحث حديثه بالدعوة إلى التعمق في الدراسة وتنظيم دورات تدريبية لإطارات التربية لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التي تؤدي إلى الفصل المطلق النهائي بين المشافهة والتحرير بل وخطرها على مستقبل العربية وأهمية التمييز بين مستويات التعبير وتدريب الجميع على قواعد اللغة العربية، والتمييز بين مختلف أنواع الأداء التي يستلزمها المقام.

وشكر الرئيس وعدد من المؤتمرين للباحث جهوده ودعوا إلى دراسة البحث والتعمق بما جاء فيه.

١٢. عود إلى ابن النفيس

بحث ارتجله دفاعاً عن نفسه الشاعر الأديب الدكتور الطبيب حسن علي إبراهيم عضو المجمع.

عاد الباحث بالمؤتمرين إلى حديثه في الدورة السابقة للمؤتمر عن الطبيب العربي ابن النفيس نافياً بشدة أن يكون قصد به الإساءة إلى الطبيب العربي الفذ الذي يكنّ له الباحث والعالم كل الإجلال والتقدير، ولكنه كمفكر عظيم كان فيه عيب الأطباء القدامى أصابوا كثيراً وأخطأوا مرات، ومن الواضح أنه لم يشرّح القلب ليكون دقيقاً في وصفه ومعرفة مسير الدّم فيه.

وأخذ المتحدث يترجم لزملائه وصف وليم هارفي الإنكليزي - مكتشف الدورة الدموية في اعتقاد الإنكليز- ويقارن بهذا الوصف بما قاله ابن النفيس وما في أقواله من غموض وأخطاء.

وانبرى الدكتور عبدالله الطيب للدفاع بقوة عن معلومات الأطباء العرب. ولحقه الدكتور محمود الجليلي ليدافع بشده عن ابن النفيس وما تركه من آثار طبية قيمة. وعلق زملاء آخرون على البحث بأن ما تركه الأطباء القدامى إنما يتناسب مع الوسائل التي استخدموها والظروف التي عاشوا فيها. وهنا وقف الدكتور محمود حافظ قائلاً: أخشى ما أخشاه أن يكون زميلنا الباحث المحترم ضحية مراجعه فأرجو منه بيان مصادر بحثه. فقام الباحث يعدد مصادر بحثه، فإذا بها كلها إنكليزية ليس بينها لا فرنسي ولا ألماني ولا أمريكي ولا عربي ولا مصري!!^(٢١).

١٣. القرآن الكريم وتعريب الإنسان

بحث أعده وألقاه الأستاذ علي رجب المدني عضو المجمع من (ليبيا).

بدأ الباحث حديثه عن مجموعة المسلمات التي أرسى قواعدها القرآن قائلاً: "إن حكمة الله شاءت أن يختار صاحب رسالة القرآن من العرب المستعربة التي تتحدر من صلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، وتتصل بالدم العربي من

(٢١) أظن أن ما أثبتناه في وقائع الدورة السابقة يغني عن كل قول.

طريق زوج إسماعيل الجرهمية القحطانية "دعلة بنت مضاض" التي أنجب منها اثني عشر ولداً من بينهم عدنان الذي ينتهي إليه نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصله بالدم المصري عن طريق الأميرة المصرية الجدة هآجار زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام، وبذلك وصل خاتم رسله بعدد من الأعراق ليكون مؤهلاً للرسالة العظمى الجامعة التي تخاطب جميع الناس دون نظر إلى الأعراق والانتماءات ومهدّ بكل ذلك لفكرة الدمج المستهدف برسالة محمد تحت لواء قومية واسعة مشتركة هي قومية العقيدة الإيمانية التي تنحدر عن تعاليم القرآن المنزل بلسان عربي مبين".

واسترسل الباحث في حديثه ليثبت بأن اللغة العربية قد رشحها الله ضمناً لتكون لغة الإنسانية كافة مستهدفاً وحدة الشعوب الإنسانية في أمة واحدة أبناؤها متآخون لا تمييز بينهم بسبب عرق أو لون، داعياً إلى نشر الفصحى بين الشعوب مقترحاً إنشاء صندوق عالمي لتعميم لغة القرآن.

ولما ختم الباحث حديثه شكر له الرئيس جهده فيه وأعلن حرية التعليق لمن أراد فتكلم الدكتور السعيد أحمد سليمان شاكراً مؤيداً ما جاء به الباحث، ووقف الدكتور عز الدين عبدالله محتجاً على قبول إلقاءه مثل هذا البحث في جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية وهو بحث ذو صبغة دينية، وصاح بأنه يعترض على ما ورد في البحث من اقتراح التوصية بإنشاء صندوق عالمي لنشر اللغة العربية.

قال الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع: إن المجمع لا شأن له في المسائل الدينية ولا يمكن أن يصدر توصية فيها.

١٤ - حقوق إنسان الغد

بحث أعدّه وألقاه الدكتور محمد عزيز الحبابي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

تسأل الباحث في مطلع حديثه قائلاً: "لماذا حقوق إنسان الغد؟" ثم أجاب بنفسه قائلاً: "الجواب جدّ يسير: أولاً: لأن حقوق إنسان اليوم غير مستوفية لشروط الأنسنة والتأنس من حيث التتظير ومن حيث التطبيق. ثانياً: لأن بنيات الحضارة الراهنة وقوانينها وقيمها ومقاصدها باءت بالفشل، فكبار المفكرين العالميين يعترفون بحصيلة الإفلاس ويبحثون، بإلحاح، عن البديل، أي عن حضارة - ما بعد- التصنيع تقوم على أسس إنسانية ومبادئ شمولية مشدّبة من مساوئ الحاضر، وعلى رأس تلك المساوئ "حقوق الإنسان" في نسبيّتها وتقلص مفعولها، وتغيّراتها مع علاقاتها مع واجبات الإنسان".

وعرض الباحث ما يسمى بوثائق حقوق الإنسان في العالم، في فرنسا وفي الولايات المتحدة وحتى الصادرة عن الأمم المتحدة، فإذا بجميع وثيقات حقوق الإنسان المعروفة تقوم - كما يقول الباحث: على أساس توصيات، والفرق شاسع بين التوصية وبين ما ينبع من القلب وعن الضمير ليحمل خطاباً مشتركاً شمولياً.

وانتهى الباحث إلى القول: "فالحقوق الملائمة لإنسان الغد، هي التي تضمن المساواة التامة بين مجموع البشر، ولن يتم ذلك إلا إذا كانت متعالية من حيث المصدر والغاية". إلى أن قال: "إن مبدأ كهذا لن يتحقق إلا بعالمية شاملة، والإسلام بطبيعة نشأته عالمي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (٢٢).

١٥. التربية المثلى للشباب

في ضوء الإسلام

بحث أعدّه وألقاه الدكتور حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله عضو المجمع
المراسل من (السودان).

بدأ الباحث حديثه قائلاً: "حرص الإسلام على تربية النشء من الذكور والإناث
فهياً لهم، ولما يزلوا في بطون أمهاتهم، الرعاية التامة، وجعل لميلادهم فرحة في
الأسرة فسّن لهم النسك أو العقيقة إعلاناً له، وأوصى باختيار أحسن الأسماء للأبناء.
وشارك النبي عليه السلام في تسمية بعضهم حيث سمى ابناً لأسماء بنت أبي بكر
بعبدالله بن الزبير، كما وضع إطاراً عاماً لتسمية المولودين في عصره وبعده فقال: إن
أحب أسمائكم إليّ عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة،
وقال: لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح؛ فإنك تقول أثم هو؟ فلا
يكون، فيقول: لا. أما هنّ أربع، فلا تزيد من عليها".

وتابع الباحث حديثه عن رعاية الإسلام للطفل وهو في مهده ثم في يفاعته إلى
أن يبلغ الشباب فأوجب إكرامهم والعمل على بناء شخصياتهم، مفسحاً لهم المجال
لمشاركة كبار الصحابة في حلقات البحث العلمي، موكلاً إلى النابغين منهم الإمارة
والقضاء وحتى قيادة الجيوش. فكان الإسلام برعايته للشباب فتحاً إيجابياً على
الإنسانية و طاقة دافعة لها نحو الرقي والكمال والرفعة .. إلى أن قال: "لقد سمت
تشريعاته الإلهية على كل تشريع فاستأصل بحكمته جذور الجرائم، ونشر ألوية العدل،
وساوى في الحقوق والواجبات بين كل الأفراد، بل لقد هيأ لغير المسلمين من العدل
والرحمة والمساواة ما لم يكونوا يتصوّرون حدوثه في مجتمعهم الدنيوي ومن ثم كان
حرص غير المسلمين على دولة الإسلام يماثل حرص المسلمين عليها".

وشكر الرئيس للباحث حسن عرضه للموضوع، كما شكر له جهوده مع تعليقات
حول بعض نقاط البحث كل من الزملاء أبو القاسم سعد الله وعلي رجب المدني
وعبدالله الطيب.

١٦ - بين الفصحى والعامية المصرية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع.

بدأ الدكتور شوقي ضيف الله بالكلام عن نشوء فصحي عصرية في مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر، فصحي وسطي بين لغة الخاصة وكلها سجع وفيها من الغريب، ولغة العامة وفيها المبتذل والركيك من الأساليب.

ثم تكلم عن تلك الفصحى كيف تمكنت واستقرت عن طريق الكتاب ورجال السياسة والصحافيين الكبار إلى أن نشأت الإذاعة فأخذت بدورها في الاتساع بنطاق الفصحى العصرية.

ثم عرض الباحث أسماء بعض من كتبوا في الفصحى المعاصرة، إلى أن قام مجمع اللغة العربية بدور فعال في تنشيط حركة التفصيح اللغوي، ثم أخذ يعدد ما نشأ في العامية المصرية من تحريف في الألفاظ الفصيحة، بادئاً بما يرجع منها إلى لهجات القبائل النازلة بمصر أو إلى مجيئة في بعض الصيغ القبلية، مثنياً بالتحريفات التي لا أصل لها في اللهجات العامية، منهياً بحثه بالتحريفات الناشئة عن إبدال بعض الحروف.

وختم الباحث حديثه بقوله: "في رأيي أنه ينبغي أن تحصر كل هذه الفروق بين الفصحى العامية المصرية وبينها وبين العاميات في بلداننا العربية، ولا بأس أن تكتب فيها كتب تعليمية للناشئة حتى نسرع الخطى في رفع الحواجز بين عامياتنا وبين الفصحى، وحتى تمحى هذه الازدواجية أو الثنائية بين لغة لنا عامية نتداولها في حياتنا اليومية ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية".

شكر الرئيس للباحث حديثه الوافي وأعطى الكلمة لمن يريد التعليق على البحث فعلق كل من الزملاء إسحق الحسيني ومهدي علام وعبدالله بن خميس وعبدالله الطيب وعبدالهادي التازي ومنير البعلبكي وعلي رجب المدني وكادوا يجمعون على

تحبيذ فكرة محاصرة العامية بتفصيح مختلف العاميات واقتراح الكثيرون منهم ترك موضوع العامي الفصيح مفتوحاً إلى دورة المؤتمر القادمة.

١٧- اهتمام المغاربة بالتأليف حول العامي والفصيح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبدالهادي التازي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

بدأ الدكتور التازي حديثه بقوله: "لم يقلّ اهتمام المغاربة عن اهتمام إخوانهم بالمشرق من الذين ألفوا أو كتبوا في موضوع "العامي والفصيح".

وعدّد بعض مؤلفات المشاركة وعدداً من مؤلفات المغاربة ثم قصر حديثه على مؤلف وضعه الشيخ أحمد الصبيحي السلاوي في النصف الأول من هذا القرن.

وعرّف الباحث بالشيخ الصبيحي المولود بمدينة سلا في سنة (١٣٠٠هـ- ١٨٨٢م) والمتوفى بها في سنة (١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م) ثم عدّد مؤلفاته مشيراً إلى اتصاله بأحمد زكي (باشا) وإلى الكتب التي عالجت الموضوع واسترعت انتباهه.

وأعطى الباحث المؤتمرين لمحة عن كتاب الشيخ الصبيحي مؤكداً أن الكتاب سيرى النور قريباً.

وشكر الرئيس للباحث جهوده وعلق الزملاء السعيد أحمد سليمان وعز الدين عبدالله وإبراهيم السامرائي تعليقات هامشية.

١٨ - العامي الفصيح

شذور من وحي هذا العنوان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أمين علي السيد عضو المجمع من (مصر) استهله بالقول: "من الحقائق التاريخية التي لا يجهلها أحد أن الإسلام دخل إلى مصر قبل فتح عمرو بن العاص لها، وأن تجار العرب المسلمين كانوا دعاة لدينهم قبل أن يكونوا دعاة لتجارتهم، وأنهم كانوا يعبرون أرض مصر ليذهبوا إلى السودان، وكانوا يتركون الأثر المحمود والقدرة الصالحة في كل مكان ينزلون به، ويغلب على الظن أنهم كانوا يعرفون شيئاً من لغة الناس الذين كانوا يتعاملون معهم، أو أن هؤلاء الناس كانوا يعرفون شيئاً من اللغة العربية، أو أن الترجمة والمترجمين والوسطاء كانت وسيلة التفاهم بين الفريقين، ومما يستأنس به هنا كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس وردّه الكريم عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الإسلام قد انتشر في السودان عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا على أهله لترويج تجارتهم، فراجت تجارتهم. وسبقها إلى الرواج دينهم الذي يتمسكون به ويحافظون على تعاليمه في كل أرض يحلون بها.

وتابع الباحث حديثه إلى أن قال: "ومن المسلم به عند كل من درس تاريخ الإسلام في مصر والسودان أن القادمين من المسلمين لم يكرهوا أحداً على أن اللغة العربية لغته، كما أنهم لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام".

ثم تكلم الباحث عن علاقة الدين باللغة وعن الصراع بين لغتين، وما يلحق بإحدهما أو بكليهما من ضيم، وعن العامية التي نشأت في مصر بعد أن تعربت وعن المصادر وأسباب الانحراف في عدد من ألفاظها، وعن ضرورة وضع معجم

يقرب المسافة بين العامية والفصحى. وعن خير الوسائل التي يراها لتحقيق المعجم المنشود.

وأنهى الباحث حديثه باقتراح أن يكون موضوع المؤتمر القادم هو موضوع هذا العام نفسه، على أن تعدّ العدة لإخراج معجم كامل عنوانه "العامي الفصيح".
وشكر الرئيس للباحث جليل اقتراحاته كما شكره عدد من الزملاء وعلق بعضهم على بعض ما ورد في البحث من آراء.

١٩ - حول العامي الفصيح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبدالله الطيب عضو المجمع من (السودان).
استهل الباحث حديثه ببيتين من شعر أبي العلاء المعري في "سقط الزند"
يودّع فيهما بغداد قال:

أودّعكم ياهل بغداد والحشا

على زفريات ما ينين من اللذع

وما الفصحاء الصيّد والبدو دارها

بأفصح قولاً من إمائكم الوُكع

وكان مما قال الباحث: "نص العلماء القدماء على أن حياة الحواضر ومخالطة بلاد العجمة كل ذلك مما يدخل على أهل اللغة اللين واللحن.

وكان أهل الحضر العرب الكبرى في الجاهلية يرسلون بنبيهم إلى البادية ليألفوا هواءها وماءها وتهرت أشداقهم بفصاحتها. ذكروا ذلك عن قريش وعن ملوك الحيرة ووصفوا الطائف بـ"بلين الأشعار واستنتوا المدينة ...". إلى أن قال: "أكثر العامي الذي في المدن الآن ليس بفصيح".

وتابع الباحث حديثه فقال: "اللغة الفصيحة والعامية شيء واحد. وكان يفرق بينهما دوي نطق الكلام. فالتاس حين يتكلمون تغلب عليهم أساليب من العجلة، وربما بتروا الكلمات أو أدخلوا بعضها على بعض".

وأتى الباحث بروايات وأقوال وأشعار توضح مقالته وتبين الجذور التي نشأت منها العاميات المعروفة. وأنهى حديثه بتأييد من يرى تفصيح العامي دون إجازة ما هو لحن صريح كقولهم مدرء جمع مدير وهو لحن فاسد أو قولهم أثنانا وفعل أثنى لازم أي صار ذا ثراء وقال تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ) (٢٣).

٢٠ - العامي الفصيح

وحاجته إلى معجم يرده إلى أصوله

حديث أعدّه وألقاه الشيخ الدكتور محمد نايل عضو المجمع من (مصر).

بدأ الشيخ حديثه بقوله: "قد يظن بعض المثقفين من أبنائنا، حين يروننا نهتم بالعامية، وندرس أصولها، أننا نزاحم بها الفصحى وهي لغة القرآن الكريم والتراث القديم، وهذا الظن بعيد عن الحقيقة والواقع، لعدة أمور ..". وذكر الشيخ أمرين ثم قال: "وثالثهما: أننا حين نهتم بهذه العامية الفصيحة إنما نرد المغترب إلى موطنه .. لنرد إليه اعتباره .. على أننا نهدف من وراء ذلك أهدافاً لها قيمتها وأثرها:

(٢٣) النجم: ٥٣: ٤٨.

أولاً: رفع الوهم القائم بين الناس: أن ما ينطقه العامة في شعوبنا خطأ كله، ترفضه الفصحى وينأى عنه الأدباء والكتاب والمتقنون.

ثانياً: ما يؤدي إليه رفع هذا الوهم من بث الشعور في نفوس العامة بأنهم لم يبعدوا في لغتهم كثيراً عن اللغة التي كان عليها آبائهم، وفي هذا ما فيه رفع معنوياتهم وإيقاظ فضيلة الانتماء في أعماقهم.

ثالثاً: إن هذا الشعور بالانتماء قد يولد فيهم نزعة الطموح والتطلع إلى تقويم ألسنتهم، ومعالجة النطق بالكلمات كما ينطقها المتعلمون".

وأخذ الشيخ يسرد الأدلة على ما يتمناه من ارتفاع ملحوظ في لغة العامة بلغة وسائل الإعلام المختلفة، إلى أن ختم حديثه عن مؤلفات تفصيح لغة العامة قائلاً: "إن هذه المؤلفات تبعث في نفوسنا كثيراً من الارتياح والاطمئنان إلى أن لغة العامة لا تزال قريبة من الفصحى، وأن التغيير اليسير الذي أصاب بعض ألفاظها من اليسير تداركه، حين نعقد العزم، وبقينا ربنا شرّ المعوقات والمثبطات".

٢١ - الإطار التاريخي لسورة "براءة"

بحث أعدّه وشافه به المؤتمرين، دون تقديم مخطوطته، الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع من (مصر).

بدأ الباحث حديثه عن "غزوة تبوك" وهي آخر غزوة اشترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام وكانت في السنة التاسعة للهجرة عندما بلغه أن الروم يحشدون جيوشهم لقتال المسلمين، وقد نزلت سورة "براءة" أمرة بالجهاد رافعة الأمان عن الروم غير مفتتحة بالبسملة لأن فيها الأمان وقد رفعه الله عز وجلّ.

وأخذ الباحث بعد أن وضع المؤتمرين في الجو التاريخي لغزوة تبوك يبين أحكام الجهاد المفروض على المسلمين وتطورات معناه.

وشكر الرئيس للباحث جهوده في إعداد حديثه، وما كاد يفتح باب المناقشة حتى هبّ الدكتور عز الدين عبدالله محتجاً على الرئيس لسماحه بإلقاء بحث ديني يؤصّل معنى الجهاد، وكلمة الجهاد تصمّ أسماع الناس في هذه الأيام، وأعلن انسحابه من الجلسة احتجاجاً.

قال الرئيس: نحن لا نوجه أحداً، يقتصر عملنا على سماع البحث ولا قرار لنا في موضوعه. ثم سمح للباحث بالردّ على زميله المعارض عليه، وتابع المؤتمر أعمالهم.

٢٢ - العلاقات الثقافية بين القاهرة وتونس

من خلال رسائل الزبيدي صاحب تاج العروس

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الأستاذ أبو القاسم محمد كرو عضو المجمع المراسل (من تونس).

كشف الباحث في حديثه عن أن السيد المرتضى الزبيدي الفقيه المحدث واللغوي الكبير صاحب تاج العروس في شرح جواهر القاموس للفيروز أبادي عندما استقر بمصر بعد تركه اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة، أقام صلات ودّ مع علماء من تونس، ثم جرت بينه وبينهم مكاتبات وتبادل للرسائل.

وقد عثر الباحث على بعض تلك الرسائل، فأحب كشف النقاب عنها لزملائه المؤتمرين تصويراً لما كان من علاقات ثقافية بين مصر وتونس في القرن الثاني عشر الهجري.

٢٣ - الترجمة وحسن الاختيار

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الدكتور مجدي وهبة عضو المجمع من (مصر).

بدأ الباحث حديثه بالكلام عن أهمية الترجمة من لغة إلى لغة في نشر الثقافة والعلم، ثم تكلم عن الشروط التي يجب أن يتحلى بها المترجم وعن أهم شروطها وهو حسن اختيار ما تجب ترجمته. ثم وصف الترجمة بأنها فن، ومن مقتضى كل فن الإعداد له وإملاك وسائله وممارسته بصدق واستقامة.

وتحدث الباحث عن حركة الترجمة في الأقطار العربية فوصفها بأنها عشوائية، لا برنامج لها ولا دراسة فيها، ولا مراقبة عليها، مؤكداً أن الأمر يدعو إلى إقامة سلطة تخطط للترجمة من العربية وإليها ووضع برنامج لها يتقيد به المترجمون والناشرون.

رابعاً: بحوث اعتذر عن عدم إلقائها

لم يتسع الوقت المخصص للعمل لسماع بحثين وزعت نسخ منهما على المؤتمرين فاعتذر عن عدم إلقائهما، والبحثان هما:

١- جهود بعض المحدثين في العامي الفصيح:

بحث أعدّه الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من (الأردن).

٢- الفكر العلمي العربي وحضارة الغرب:

بحث أعدّه الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع المراسل من (العراق).

خامساً : بحوث اضطرَّ أصحابها للغياب عن المؤتمر

حالت ظروف صحية وقاهرة بين زميلين والاشتراك في المؤتمر فاعتذر عن عدم اشتراكهما وهما:

١-الدكتور علي عبدالواحد وافي عضو المجمع من (مصر) وكان عنوان حديثه:
النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان.

٢- الدكتور المهدي محقق عضو المجمع المراسل من (إيران) وكان عنوان حديثه:
العلاقة بين اللغة الفارسية والعربية.

سادساً: محاضرة عامة

لبّى المؤتمرين وجمهرة غفيرة من أهل العلم والأدب، الدعوة العامة التي وجهت إليهم لسماع المحاضرة التي ألقاها الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع مساءً في قاعة الاحتفالات وعنوانها:

منهج طه حسين

في الدراسات الأدبية

وكانت جلسة من جلسات المؤتمر علنية افتتحها الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور وقدم الدكتور شوقي ضيف ليلقي محاضرتة.

استهل المحاضر حديثه بقوله: "يعد طه حسين الرائد الفذ للدراسات الأدبية العربية في القرن العشرين، وعوامل مختلفة تضافرت في إحلاله هذه المنزلة الرفيعة، ولكي نتضح لنا ينبغي العودة إلى تكوينه الأدبي في نشأته الأولى حين كان طالباً بالأزهر .. وكان يختلف إلى دروس الشيخ سيد المرصفي ..".

وتابع المحاضر كلامه عن مراحل تكوين طه حسين فذكر انتسابه سنة ١٩٠٨ إلى الجامعة المصرية الأهلية فحضر دروس أساتذتها من المستشرقين وفيهم جويدي

ونالينو وسانتلانا وليتمان، بينما ظل يستمع إلى الشيخ المرصفي في الصباح ويذهب في المساء لاستماع أولئك المستشرقين.

ورأى المحاضر أن فكر طه حسين اتجه في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بأنه لا بد في دراسة الأدب من الأخذ بطريقة المرصفي التي تساعد على فهم النصوص الأدبية وتذوقها ثم الأخذ بطرق المستشرقين لاستنباط التاريخ الأدبي لتلك النصوص ومن أنتجها من الشعراء والكتّاب.

واستشهد المحاضر بالرسالة التي حصل بها طه حسين على درجة العالمية من الجامعة المصرية الأهلية، وكان موضوعها دراسة أبي العلاء المعري حيث أعلن في التمهيد لها أن مؤرخ الأدب الذي لا يؤمن بالمذاهب الحديثة ولا يصطنع في البحث طرائقه الطريفة .. ولا يطمئن إلا أن الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان لا يستطيع أن يوفي دراسة أبي العلاء حقّها.

ثم تحدث المحاضر عن الاستعداد العلمي عند طه حسين الذي وضع للجامعة المصرية من رسالته عن أبي العلاء فقررت سنة ١٩١٤ إيفاده إلى فرنسا في بعثة حصل بموجبها على الدكتوراه في فلسفة ابن خلدون، كما حصل بعد دراسة الإغريقية واللاتينية على دبلوم الدراسة العليا في القانون المدني الروماني .

وواصل المحاضر حديثه عن مسير طه حسين بعد تعيينه في الجامعة المصرية أستاذاً للتاريخ القديم اليوناني والروماني، ثم أستاذاً للأدب العربي وتاريخه، فنشر كتابه (في الشعر الجاهلي) وما أحدثه من ضجة هائلة في الأوساط الدينية والعلمية والسياسية وقيام السلطة بمصادرة الكتاب.

ثم تحدث المحاضر عن إصدار طه حسين طبعة جديدة من كتابه باسم "في الأدب الجاهلي" معدلاً بعض آرائه السابقة، مضيفاً إليه شوارد من أسس سبق له نشرها، فألف منها نسقاً واضح المعالم لمنهج في دراسة الأدب.

وفصل المحاضر الكلام عن أسس المنهج المشار إليه، ومصادر طه حسين في كل أساس منها، وعن الكتب التي كان يصدرها تطبيقاً لمنهجه، وخص كتابه "مع المتنبي" بلمحة بيّن فيها كيف درس المتنبي محلاً نفسيته وشخصيته وشعره، وكيف حمل عليه مراراً بحجة أنه كان متهاكاً على المنافع العاجلة وطلب المال من ممدوحيه الكثيرين، ثم كيف صب عنايته في الكتاب على شخصية المتنبي لا على شعره، وعلى جوانبه التاريخية لا على جوانب فنه.

ثم ختم الدكتور شوقي ضيف محاضرتيه بقوله: "إن طه حسين يعد الرائد الموجه الفذ لدراسات الأدب العربي وتاريخه ودراسات شعرائه المبدعين في القديم والحديث".

وشكر الرئيس للمحاضر طرافة موضوعه ودقة إحكامه كما شكر له جهوده نفر من المستمعين، وكان أهم تعليق على المحاضرة ما جاء به الزميل الدكتور سليمان حزين وهو خريج أول دفعة درسها طه حسين فكان حواراً مع تلامذته نمطاً جديداً يقوم على توسيع أفق الطالب دون أن يطغى على تفكيره وبذلك كان من تلامذته رواد أفاض أمثال محمد عوض محمد ومحمد كامل حسين ومصطفى شرفة.

سابعاً: في الشعر

اشترك في دورة المؤتمر هذه، ثلّة من الشعراء المجمعين، وقد سعد المؤتمرين بالإستماع إلى ما جادت به قرائح زملائهم التالية أسماؤهم:

أولاً: شاعر الحجاز الأستاذ حسن عبدالله القرشي عضو مجمع المراسل من (العربية السعودية) فقد ألقى قصيدته التالية:

في آفاق لغة الوحي!

هَفَا النَجْمُ، يَعْزُو لِأَعْتَابِهَا وَغَنَّى الزَّمَانُ عَلَى بَابِهَا
وَدَانَ لَهَا الْمَجْدُ وَهُوَ الْعَصِي وَأَرْخَى الْعِنَانُ لِخَطَابِهَا

ترْفَرِقَ مِنْهَا الضَّيَاءُ الْبَهِيْجُ
وَتَوَجَّهَهَا اللّٰهَ - يَا لِّلْجَلَالِ -
عَمَائِمُهَا ثَمَرَةٌ بِالْحَيَاةِ
هِيَ (الضَّادُ) مَا ظَفِرْتُ أُمَةً
تَعَهَّدَهَا رَبُّهَا بِالْبَقَاءِ
تَأَلَّقَ فِي صَفَحَاتِ الْخُلُودِ
وَمَاشَفَ عَنْ شُرَفَاتِ الْوُجُودِ
وَكَمْ يَحْفِرُ الصَّخْرَ صَبُّ بِهَا
فَمَا عِشْقُهَا غَيْرَ مَوْتٍ بِهَا
لِيَنْقَادَ مِنْهَا النُّفُورُ الشَّمْسُ
وَيَنْهَمِرُ الدُّرُّ مِنْ بَحْرِهَا
أُتُوفُ هِيَ (الضَّادُ) إِنْ تُجْتَنَى
لِغَيْرِ مُلَحٍّ شَدِيدِ الْمِرَاسِ
يَجُوبُ الدُّرُوبَ احْتِفَاءً بِهَا
وَأَعْرَضَ عَنْهَا قَصِيْرُ الْأَدَاةِ
فَمَا عَبَأَتْ بِالْأَلَى أَعْرَضُوا
بَنِي (الضَّادِ) يَا جَمَرَاتِ الْحَيَاةِ
وَيَا شُهَبَ الْحَقِّ كَفَّوْا الْأَذَى
هُوَ الدَّمُّ نَادَى (بَنِي يَعْرِبِ)
عَنَّا الظُّلْمُ مِنْ مِتْحَدِّي الْكِرَامِ
أَسْوَدَ عَلَيْنَا وَمَا مِنْهُمْ
وَأَرْغَمَ جُورُ الطَّغَاةِ الْأُبَاةِ
فَمَا مِنْ (مُتَنَّى) يَسُوقُ الْحُتُوفَ

وَشَعَشَعَ فِي أَفْقِ أَصْحَابِهَا
بِوَحْيٍ تَجَلَّى بِمُخْرَابِهَا
وَوَشَّيَ الرِّبِيعَ بِأَهْدَابِهَا
بِمِثْلِ جَنَاهَا، وَأَطْيَابِهَا
فَهَلْ مُجْدِبٌ فَيُضِ إِيْصَابِهَا؟
فَتَجَابُ ثَمَرَةٌ حُجَابِهَا
كَمِثْلِ سَنَا شَعٍّ مِنْ غَابِهَا
لِيَحْظِيَ بِتَرَشَّافِ أَكْوَابِهَا
غَرَاماً لِّتَهَنَّا بِتَرْحَابِهَا
وَيُسْتَعَذَّبُ الْمُرُّ مِنْ صَابِهَا
وَيَحُلُّو الرِّحِيْقُ لِشُرَابِهَا
لِغَيْرِ صَبُورٍ لِأَتْعَابِهَا
عَمِيْقُ الْمَعَانَاةِ وَهَابِهَا
لِيُسْأَلَ فِي سِمْطِ أَقْطَابِهَا
وَمَا مِنْهُمْ مَنْ تَعْنَى بِهَا
وَمَا وَصَلَتْهُمْ بِأَسْبَابِهَا
لَأَعْدَائِهَا .. وَلَسْأَلَابِهَا
وَرُدُّوا الْبَقَاةَ لِأَعْقَابِهَا
فَهَلَّا تَحِنُّ لِأَنْسَابِهَا
حُمَاةَ (يَهُودَا) وَأَذْنَابِهَا
سِوَى خَائِرِ الْنَفْسِ هَيَّابِهَا
لَتَعْنُو لِصَوْلَةِ إِرْهَابِهَا
و(مَعْتَصِمِ) دُونَ أَنْيَابِهَا

وَمَا مِنْ (صَلَاحٍ) يَرِصُّ الصَّفُوفَ
تَفْرُقُهَا قَادَهَا لِلْكَلالِ
تَمَادَى الْعَدُوُّ نَكَالاً بِهَا
وَلَا مِنْ نَصِيرٍ وَأَيَّنَ النَّصِيرُ
تَنَاسَتَ مَعَ الذُّلِّ تَارِيخُهَا
فَلَمْ تَسْتَجِبْ لِصُراخِ النَّذِيرِ
فَلَجَّ الصَّدِيقُ بِتَجْرِيحِهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا جَنَى التَّضَحِيَاتِ
فَهَلْ يَا بَنِي (الضَّادِ) مِنْ وَثْبَةٍ
وَيَا (مَجْمَعِ الضَّادِ) مِنْ صَفْوَةٍ
عَلَّتْ بِالنَّهْيِ فَوْقَ هَامِ الدُّنَى
تَسَامَتْ عَلَى ثُرَاهَاتِ الزَّمَانِ
وَقَدَّمَتِ الشَّهْدَ، كَمْ غَادَرَتْ
وَكَمْ قَدْ أَرَاقَتْ ضِيَاءَ الْعُيُونِ
سَتُجْزَى بِمَا بَذَلْتَ فِي غَدٍ
وَتُزْهِى بِهَا غُرُفَاتِ النَّعِيمِ

وَيُقْصَى الْعُرُوبَةُ عَنْ عَابِهَا
وَطُؤِلَ التَّتَاخُرُ أَوْدَى بِهَا
فَجُنَّ الْهَوَانُ بِالْبَابِهَا
لِخَاذِلِ نَفْسٍ فَأُزْرَى بِهَا؟
لِلْهُوَ الْحَيَاةُ، وَالْعَابِهَا
وَلَمْ تَسْتَشِفْ لَطَى مَابِهَا
وَهَامَ الْعَدُوُّ بِأَغْضَابِهَا
وَأِنْ لَبَسَتْ غَيْرَ أَتَوَابِهَا
تَزُدُّ الْكُمَاةَ لِأَسْرَابِهَا؟
تَعَارُ النُّجُومُ لِأَحْسَابِهَا
وَعَزَّتْ بِجَوْهَرِ آرَابِهَا
فَلَمْ تَسْتَرْقْ لِأَوْصَابِهَا
حُطَامَ الْحَيَاةِ لِأَنْصَابِهَا
فِدَى (الضَّادِ) قُرْبَى لِأَحْبَابِهَا
جَنَاناً تَهَشُّ لِطُلَّابِهَا
فَدَارُ الْبَقَاءِ لِأَرْيَابِهَا!

ثانياً: الشاعر الطبيب الدكتور حسن علي إبراهيم عضو المجمع من (مصر)
منذ سنة ١٩٧٨، وكان قد عود زملاءه أن يمتعهم سنوياً أثناء انعقاد المؤتمر برائعة
من نظمه، تارة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ووقائع تاريخ الإسلام في
نشأته، وتارة في فصول من سيرته الذاتية وقصة حياته. وجاء في هذه السنة يبدأ
سلسلة جديدة من قصائده في تاريخ مصر وقد افتتحها بالقصيدة التالية:

مصر (الجزء الأول)

وهي قصيدة يمجّد فيها الشاعر بمصر، منذ عرف التاريخ حضارتها في العهد الفرعوني، وبدأ الشاعر يعدّد مفاخر هبة النيل مشيراً إلى الأوابد التي أقامها عظماء فراعنتها والتي تمثل حضارة من أقدم حضارات البشر، متتبعاً خطواتها في الارتقاء متسلسلة مع الزمن.

وأنا أعتذر عن عدم نشر شيء من القصيدة، لأن هيئة التحرير لم توزع على المؤتمرين نسخاً عنها بحجة أنها لم تتلق بعد من الشاعر صورة عنها!

ثالثاً: الشاعر الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من (العراق) فقد ألقى قصيدته التالية:

مع العربية ومجمع اللغة في القاهرة

رَبَعْتُ فَضِيماً بَرَزْتُهَا وَرِقُ	وَمَضَتْ بِمَا تَشْقَى وَتَأْتَلِقُ
بَبَقِيَّةٍ مِنْ سِحْرِ يَانَعَةٍ	فَنَنْ يَشِي بِضَارِهِ أَلْقُ
تَرَكْتُ غَرِيضَ الرُّوضِ ظَامِئَةً	رُوحَاتِهِ، وَاسْتَصْرَحَ الْوَرَقُ
وَدَوَى عَلَى أَعْلَاقِهَا عَبَقُ	لَمْ يَخُلْ عَنْهُ وَارِفٌ أَنْقُ
لُغَةً سَعَيْتُ لِمَا شَقِيتُ لَهُ	مِنْهَا، كَأَنِّي رُحْتُ أَسْتَنِقُ
وَشُغِلْتُ مِنْهَا شُغْلَ ذِي أَرْبٍ	أَضْنَاهُ فِي غَمَرَاتِهِ عَلَقُ
أَنَا بَعْضُ قَوْمٍ نَالَهُمْ نَصَبُ	فِيمَا سَعَوْا لِعَلَائِهَا وَشَقُوا
أَضْنَاهُمْ الدَّرْبُ الَّذِي طَرَقُوا	وَهَدَاهُمْ الْهَدْيُ الَّذِي صَدَّقُوا

* * *

يا خالدين! وقد سَعَيْتُ لَكُمْ بِأَثَارَةٍ فِي طَيْهَا عَبَقُ

طالَعْتُهُ كَالسَّيْلِ يَدَّقُ
بِالْعِلْمِ، وَهُوَ بِسِرِّهِ حَذِيقُ
يَعْنَى بِأَيِّ هُدًى وَيَعْتَقُ
غَنِيَتٌ، فَلَا خَوْفٌ وَلَا فَرْقُ
فُلُكُ، فَلَا عَطَبٌ وَلَا غَرْقُ

أَكْبَرْتُ فَيَكُمُ كُلُّ مُحْتَرِبٍ
وَوَجَدْتُ فَيَكُمُ كُلُّ مُدَّرِعٍ
وَقَبَسْتُ مِنْ "شَيْخٍ" سَمَاحَةً مَنْ
وَلَأَنْتُمْ قَدَرٌ لِبَارِعَةٍ
أَسْرَى بِكُمْ فِي كُلِّ مُظْلَمَةٍ

* * *

إِلَّا الَّتِي بَيَّانَهَا نَطْقُوا
تَلْقَى، فَلَا تَشْقَى وَتَحْتَبِقُ
تَقْوَى بِهِ، وَتَرَوْحُ تَرْتَقِقُ
"الذَّكْرُ" مِنْ تَفْحَاتِهِ نَسَقُ
بَأَجَلٍ مَا تُمْنَى وَنَفَقِرُقُ
حَكَمٌ تُضِيءُ لَنَا وَتَسْقُ
طَبَعٌ مَشَى فِي سَمَحِهِ خُلُقُ
خُلْفٌ، وَعَمَّ سَبِيلَهَا عَسَقُ
فِيمَا تَلِي مِنْ حَظْبِهَا طُرُقُ
وَمَشَتْ بِنَا هَدِيًّا وَنَفَقِقُ
وَتَوَزَّعَتْ بِشَاتَانِنَا فِرْقُ
فَجَرٍ أَضَاءَ بِنُورِهِ أَفُقُ

أَنَا بَعْضُ جَمْعٍ لَيْسَ يَجْمَعُهُمْ
وَأَمَضَّاهُمْ هَمٌّ لِمَا بَعْدِ
مِمَّا حَوَتْ مِنْ قِيَضِهَا مَدَدًا
وَضَمَانَةُ الضَّادِ الْمُنِيرِ وَمَا
وَذَخِيرَةٌ كُنَّا بِحُرْمَتِهَا
وَبِمَا تَحَدَّرَ مِنْ سَمَاحَتِهَا
وَبِمَا هُدِينَا مِنْ رَحَابَتِهَا
وَسَعَتْ إِلَى أُمِّ أَضَرَ بِهَا
وَدَنَتْ إِلَى رَشَدٍ تَلُوحُ بِهِ
أَلْوَتْ بِنَا غِيًّا وَنَفَقِرُقُ
أَقْبَعَدَمَا ضَاقَتْ بِنَا حَيْلُ
شِمْنَا الرَّجَاءِ الْمُسْتَتِيرِ إِلَى

* * *

وَأَرَفْتُ فِيهِ وَنَابَنِي أَرَقُ

إِنِّي، وَقَدْ أَدْرَكْتُ مِنْ رَشَدٍ

لَأُطِيلَ مِنْ نَفْسٍ لِعَافِيَةٍ وَأَصُدُّ مَا يُومِي بِهِ رَمَقُ
وَأُزِيحَ عَنِّي كُلَّ غَاشِيَةٍ لَوْلَا الْهُدَى، قَدْ كِدْتُ أَحْتَرِقُ

* * *

عَوْدًا إِلَى دَرْبٍ تَهَيَّئَنِي مِمَّا دَجَا فِي وَعْثِهِ لَثِقُ
وَمَعَ الَّذِينَ بِيَأْسِهِمْ بَمَا وَصَلُوا بِمَسِيرَةٍ قَدْ رُحْتُ أَلْتَحِقُ
أَوْلَاءِ مَنْ شَرَفُوا بَمَا صَدَقُوا وَلَأَنْتَ فِي هَذِي بَمَا نَطَقُوا
بِلِسَانِ صِدْقٍ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ وَلَذَلِكَ أَوْفَرُ مُنَّةٍ رُزِقُوا
تَلْقَاهُمْ السَّاعِينَ فِي حَرْدٍ لِلْجِدِّ، كُلُّ مُفْصِحٍ لِبَقِ
بِحِمَاسَةٍ ذَهَبَتْ بِهِمْ رَشْدًا وَلَهُمْ بِذَلِكَ مِقْوَلٌ ذَلِيقُ
إِنْ كَانَ ذَاكَ فَأَنْتَ بَعْضُهُمْ وَلَأَنْتَ فِيهِمْ مُعْجَلٌ تَثِيقُ

* * *

قَسَمًا بِمَا تَمَرَّتْ مِنْ قِيَمٍ وَبِمَا انْجَلَى مِنْ هَذِيهَا فَلَقُ
مَا كُنْتُ أَعْدِلُ عَنْ هَوَى أَبَدًا لِلْحَزْمِ، لَا دَعْوَى وَلَا مَلَقُ
هَمٌّ شَقِيتُ بِهِ وَأَخْسَبُنِي أَنْ لَوْ صَبَرْتُ لَرُخِزَ الْقَلَقُ
وَلَنِعَمَ مَا يَلْقَاهُ ذُو مَقَّةٍ فِي سَعْيِهِ مِمَّا بِهِ يَثِيقُ

صنعاء في الأول من رَجَب سنة ١٤١٠ هـ

رابعاً: الشاعر الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من (العراق) وقد ألقى قصيدة ثلاثية المقاطع وبلغ عدد مقاطعها واحداً وأربعين نختار منها التالي وعنوانها:

٣٥ عاماً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بدأ الشاعر يتغنّى بأيام سلفت جاء فيها مصر بعد انتخابه عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية فقال:

ومَنّ الزمان بفيض نَعـ	ـمَاه وأولانا جميلاًه
جمع الأحبة في ثرى	مِصر، وسقى الصبح نيله
أبداءً، يلقّع بالندى	أزهاراً مطلول الخميله

* * *

في مجمع ضمّ الأفا	ضل رفقة شمّ الأنوف
جمعهم الآداب با	هرة منورة الحروف
والقلم والضاد المبيـ	ن يفلّ بارقة السيوف

* * *

صرح نقضي في محـ	نيه الربيع من الفصول
تَقَرَّ في جنباتـه	عن نور فكرتها العقول
هذا بمقوله يجول	وذا بحجته يصول

* * *

صاحبتهم، لاقيت أصـ حاب الفضائل والفواضل
والمنطق الجزل الرزىـ من تمده السحب الحوافل
و(العقل أجمل زينة) (أغنى الغنى) رأس الفضائل

* * *

لاقيت غرّ الفاضليـ من أعزّة شُمّ الشوامخ
أطواد علم طاولت أشـرافهن ذرى البـواذخ
هـذا تضـيِّعه المشيـ ب وذاك غض الغصن شارخ

* * *

وذكر الشاعر كبار الزملاء الذين التقاهم في مؤتمر المجمع السنوي،
فذكر من الراحلين، الشيخ الشبيبي الذي رشحه، والرئيس لطفي السيد، ومن بعده
الرئيس طه حسين، فالرئيس إبراهيم مذكور مدّ الله بحياته، إلى أن بلغ عدد
أعضاء المجمع (مائة) فقال:

سَلِّمْ عَلَى (المائة الكرا م) أولي المآثر والمكارم
المجمعيـن الأفـا ضل كـارم من بعد كـارم
شادوا الرّواق المشـمخـ يطالع الزهر النـواجم

* * *

حفظوا اللسان العبقريّ وظلّه ضافٍ ضليل
السلسل العذب الفرا ت المعجب الزاهي الجميل

لغة الجدود المنجبيين و"منطق العرب الأصل"

* * *

أهلي ورفقتي الأجل	ة حافظي الضاد المبين
صحبي الأحبة أنتم	أثنا قُوى الحبل المتين
أنتم إيالة الشمس تح	ذي الصبح واضحة الجبين

* * *

جاد الزمان بوصلكم	والدهر بخال شحيح
فغفرت سوء فعاله	ومنحته طرف المشيح
وعفوت عن فتكاته	وغضضت عين المستميح

* * *

وذكر الشاعر بخير الأعضاء الذين التقى بهم من العراقيين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والليبيين والتونسيين والجزائريين والمغاربة والسودانيين ومن أبناء الجزيرة والكويت واليمن ومن المستشرقين وختم قائلاً:

يا مجمع اللغة العظي	م وأهله أهل العظام
سقى ديارك كل حي	ن وابلاً صوب الغمام
وإليك مني ما بقي	ت من التحيات اللطائم

* * *

ثامناً: تأبين مجمي راحل

عقد المؤتمر بدعوة من الرئيس وجهت إلى لفيف من العلماء والأدباء جلسة علنية مسائية^(٢٤)، حضرها جمع من رجال الفكر والعلم والإعلام، لتأبين فقيد المجمع عبدالله كنون العضو العامل من (المغرب).

وفيما يلي عرض موجز لأهم ما دار في تلك الجلسة:

افتتح الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور الجلسة بكلمة أشار فيها إلى التقاليد الجمعية التي تقضي بتأبين أعضاء المجمع العاملين من غير المصريين في جلسة علنية أثناء المؤتمر السنوي للمجمع.

ثم ذكر أن المجمع افتقد في نهاية العام الماضي أحد أعلام أعضائه العاملين من (المغرب) مشيراً إلى مكانة الفقيد العلمية في العالمين العربي والإسلامي، مقدماً أعضاء المجمع المؤيدين التاليين:

أولاً: الدكتور عبدالهادي التازي: عضو مجمع المراسل من (المغرب)، الذي بدأ خطابه التأبيني بالإشارة إلى أن الدول الأوروبية كانت في مطلع هذا القرن تطمح في احتلال المغرب وقد تواطأت على اقتسام أراضيه، فلما سنحت لها الفرصة، قامت بسلب استقلاله وفرض الحماية عليه مناصفة بين فرنسا وإسبانيا، مما حمل بعض سكانه على التفكير بالهجرة منه.

وذكر الدكتور التازي بعدئذ أن الشيخ عبدالصمد كنون كان من الراغبين في الهجرة، وقد غادر مدينة فاس، مع أسرته وهي تحمل طفلاً في الرابعة من عمره اسمه

(٢٤) عقدت جلسة التأبين العلنية مساء يوم الأربعاء في ١٠ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠.

عبدالله، قاصدين المدينة المنورة^(٢٥). فلما وصلوا ميناء طنجة وهي منطقة دولية، حجزتهم عن الإبحار الحرب العالمية الأولى، فأقاموا فيها ثم استوطنوها.

وتحدث الدكتور التازي عن الطفل عبدالله وقد نشأ في طنجة، وفيها تلقى العلم وقد تمكّن منه، وفيها اشتغل بالتدريس والكتابة بالصحف والمجلات، ومنها أخذ يوثق صلاته مع صحفيين وأدباء في المشرق العربي.

وتابع الدكتور التازي حديثه عن الدور الذي قام به عبدالله كنون، عندما تجرأت السلطات الفرنسية في الرباط على إقصاء الملك محمد الخامس عن عرش المغرب سنة ١٩٥٣، مما حمل عبدالله كنون محتجاً على هذا الاعتداء الفرنسي الصارخ، إلى ترك طنجة، خوفاً من النفوذ الفرنسي فيها، فهرب لاجئاً إلى مدينة تطوان التي كانت تحت الحماية الإسبانية، فإذا بالحكومة الخليفة تسميه وزيراً للعدل فيها.

ثم تحدث عن عودة الملك إلى العرش وتوحيد شطري المغرب وإعلان سيادته على منطقة طنجة الدولية، كل هذا دفع الملك إلى إسناد ولاية محافظة طنجة إلى عبدالله كنون تقديراً لموقفه الرائع من الاعتداء على العرش المغربي.

وعرّج الدكتور التازي بعدئذ على انتخاب عبدالله كنون سنة ١٩٦١ عضواً في مجمع القاهرة وكيف جعل تحيته للمجمع يوم استقبله جرداً كاملاً لمساهمة المغرب عبر التاريخ في دعم العربية وإغناء العلم والمساهمة في ازدهار الحضارة.

(٢٥) هذا ما دونه الفقيد بموجز سيرة حياته التي قدمها إلى مجمع القاهرة عندما انتخب عضواً سنة ١٩٦١، بينما كان سبق له أن ذكر في موجز ترجمته التي قدمها إلى مجمع دمشق عندما انتخب عضواً فيه سنة ١٩٥٦ أن والده كان ينوي الهجرة بأسرته إلى الشام، وهذا الاختلاف يحمل على أنه من قبيل السهو، أو يدل على أن نية والد الفقيد يومئذ كانت الهجرة بالإبحار نحو المشرق، أما الاستقرار في الحجاز أو الشام فمتروك للظروف، يؤيد هذا التعليل ما جاء في ترجمة مطولة بعث بها الفقيد إلى مجمع دمشق ذكر فيها أن أباه وعمه قررا الهجرة إلى المشرق فوصلا طنجة للإبحار منها، فتعذر عليهما السفر فاستوطناها...

ثم سرد الدكتور التازي ما أسهم فيه عبدالله كنون في المؤتمرات السنوية للمجمع من بحوث أدبية أو لغوية أو تاريخية، معدداً مؤلفاته والكتب التي حققها والدواوين الشعرية التي نشرها، مشيراً إلى أهم المقالات التي دَبَّجها ونشرتها الصحف أو المجلات في كل من مصر أو سورية أو الجزائر أو المغرب مسلسلة حسب موضوعاتها مسجلاً كل ذلك في قائمة طويلة ألحقها بخطابه.

وأنهى الدكتور التازي خطابه بقوله: "وإذا كان الأستاذ كنون درج من غير عقب، فإنه مع ذلك ترك جمهوراً كبيراً من الأبناء الروحيين الذين يرددون صداه في كل مكان، وهذه لا تقدر بثمن، ومن حسن حظ الفقيد أنه وجد إلى جانبه سيدة فضلى توفر له كل أنواع الراحة، مما كان يساعده على الانصراف إلى ما هو بصدده!

هذا إلى أبناء أخته وخاصة الأستاذ مصطفى الريسوني والأستاذ عبدالله العشاب اللذين كانا إلى جانبه باستمرار، وهما المشرفان اليوم على مكتبته التي أصبحت لأبناء الشعب" (٢٦).

ثانياً: الدكتور عدنان الخطيب: عضو المجمع من (سورية) والأمين العام لمجمع دمشق، وقد استهل خطابه بذكر المكانة الإسلامية التي احتلتها مدينة فاس بعد سقوط إشبيلية وكثرة من نبغ فيها من العلماء. مبيناً أنه كان ممن نبغ في فاس من العلماء التهامي الذي ينتهي نسبه إلى محمد الملقب بكنون بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

وحكى الدكتور الخطيب قصة محاولة عبدالصمد بن التهامي كنون الهجرة إلى المشرق بعد أن احتلت دول أوروبية بلاد المغرب، وكيف حالت الحرب العالمية دون

(٢٦) كان الفقيد رحمه الله حبس مكتبته القيمة في طنجة وفقاً على طالبي العلم والمعرفة.

إحاره إلى المشرق بعد أن وصل مدينة طنجة فاستوطنها مع أسرته وكان فيها الطفل عبدالله.

وتحدث الدكتور الخطيب بعدئذ عن نشأة عبدالله كنون في طنجة وعن تحصيله العلم وتمكنه منه وعن نبوغه فيه وعن تأليفه كتاب "النبوغ المغربي"، وقد أفاض في تقريره أمير البيان في المشرق العربي الأمير شكيب أرسلان لهذا الكتاب، كما تحدث عن مصادرة الكتاب من قبل السلطات الفرنسية، مما زاد في قيمته وإعلاء اسم عبدالله كنون وشهرته في العالم العربي.

ثالثاً: الدكتور حسين علي محفوظ: عضو المجمع المراسل من (العراق) الذي تلا قصيدة كان قد ارتجلها عندما نبئ بوفاة عبدالله كنون، منها الأبيات التالية:

كان أنموذج الفحول الأفاضل	أريحي اللقا أغرّ الشمائل
جمع العلم والتواضع والأخـ	لاق، محض الوداد، جمّ الفضائل
واستطالت أشعة منه في الآ	فاق وهّاجة السراج الشامل
تلك آثاره على العلم والحكـ	مة والفضل والذكاء دلائل
أنا ودّعت منه خلاً وفيّاً	وصديقاً بالحب واللطف حافل

* * *

لفعته في قبره رحمة اللـ	ه، وحفّ الرضوان تلك الجنادل
وسقت تربيته الغواصي ملشاً	تٍ وروى ثراه هامي الهواطل

وختم الرئيس الجلسة بالدعاء للفقيد بالرحمة والرضوان، شاكرًا الحضور على مشاركتهم فيها.

تاسعاً: المعجم الكبير

عُرضت على المؤتمرين المواد التي أقرها مجلس المجمع، مما أنهت لجنة المعجم الكبير تصنيفه، وهي المواد المبتدئة من أول مادة (ح و م) إلى آخر مادة (ح ش ي).

واستمع المؤتمرين إلى تقرير وشرح الدكتور مهدي علّام مقرر لجنة المعجم عن إنجازات اللجنة وأسماء من اشترك في الجلسات التي عقدتها وأسماء كل من عمل معها من الموظفين الفنيين أو الإداريين، مقدماً الشكر الجزيل لجميعهم، شاكرًا باسمهم الزملاء الذين ساهموا أو سيساهمون بتقديم ملاحظاتهم مكتوبة.

قدم كل من الزملاء الأساتذة: عبدالله بن خميس ومنير البعلبكي وعدنان الخطيب وحمد الجاسر ملاحظاتهم، كما علّق على أعمال اللجنة كل من الزملاء الأساتذة: علي رجب المدني، ومحمود الجليلي وأحمد شفيق الخطيب.

عاشراً : أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرّ مجلس المجمع عرضها عليه، وهي المسائل الخمس التالية:

المسألة الأولى:

إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر

من النحو التعليمي للناشئة

قالت اللجنة: قسم النحاة المتأخرون المبتدأ إلى قسمين: قسم له خبر، وهو الأساسي المطرد مثل "زيد كاتب" وقسم له فاعل أو نائب فاعل يغني عن الخبر، وهو الوصف، مثل "أحاضر أخواك؟" ورأت اللجنة - بعد دراسة متأنية- أن القسم الثاني، وهو المستغني عن الخبر - ليست له شواهد في القرآن الكريم، ولا في الشعر الجاهلي والإسلامي واستشهد له النحاة بأربعة أبيات مجهولة القائلين، لذلك لا تصلح لكي توضع على أساسها قاعدة نحوية، فضلاً عن أنها تحدث خَللاً كبيراً في قواعد المبتدأ والخبر وهي تنقض قاعدة المطابقة بين المبتدأ والخبر، إفراداً وتثنية وجمعاً، فالمبتدأ فيها دائماً مفرد، ويليهِ فاعله أو نائبه مفرداً أو مثني أو مجموعاً، فيقال: ما سافر الزيدان - ما مسافر الزيدون. كما يقال ما معروف الرجلان - ما معروف الرجال، مما يدخل إخلالاً واضحاً على باب المبتدأ والخبر.

لذلك ترى اللجنة إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر من كتب النحو التعليمي.

وقد تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح المقصود من قرار اللجنة، وبعد التصويت أعلن الرئيس قبول قرار اللجنة بالإجماع.

المسألة الثانية:

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنعت المضاف

درست اللجنة الأحوال التي يفصل فيها المضاف والمضاف إليه في الأساليب العربية، شعراً ونثراً، ورأت في نصوص القرآن الكريم والشعر والنثر أن الفاصل بينهما قد يكون مفعولاً أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً أو منادى أو نعتاً، والفصل بالنعت أكثر الفصول المذكورة بين المضاف والمضاف إليه التصاقاً بالمضاف، وهو بذلك أحق منها جميعاً بأن يقبل استخدامه في الصيغ العصرية حين تشيع وتدور على الألسنة، مثل:

وكيل أول الوزارة - مفتش أول اللغة العربية - أمين عام الجامعة ... وفي ذلك تسويغ للأمثلة المذكورة وما يمتثلها.

وانتهى رأي اللجنة إلى إجازة هذه الأمثلة العصرية التي تدور في الألسنة والتي تفصل بين المضاف والمضاف إليه بالنعت قياساً على ما جاء في النصوص الوثيقة.

وبعد أن تولى مقرر اللجنة الدكتور شوقي ضيف شرح المسألة اعترض كثير من الزملاء على قرار اللجنة وأعلنوا رفضهم له، وكان كل من الدكاترة: يوسف عز الدين وعبدالكريم خليفة وعلي الحاج صالح، وغيرهم من المعترضين الراضين للقرار.

وعندما طرح الرئيس المسألة على التصويت، كانت أكثرية ضئيلة بجانب قبولها. فأعلن أنها قبلت بالأكثرية.

المسألة الثالثة:

جواز المطابقة وعدمها في اسم التفضيل المقترن بأل

درست اللجنة اسم التفضيل المقترن بأل، ورجعت في ذلك إلى قرار المجمع، الذي يقول بجواز جمع أفعال التفضيل المقترن بالآلف واللام على الأفاعل ويلحق به في ذلك المضاف إلى المعرفة، وجواز تأنيثها على الفعل.

كما رجعت إلى رأي النحاة القائلين بحتمية المطابقة في اسم التفضيل المعروف بأل (كالأشموني وابن عقيل والسيوطي وابن هشام والرضي ...) والنحاة القائلين بجواز المطابقة وعدمها (كالمبرد والجزولي والزبيدي وابن يعيish والمجمع في المؤتمر الثالث والثلاثين ...).

ورأت اللجنة الأخذ بقرار المجمع القديم في إجازة المطابقة وعدمها، تلبية لحاجة الاستعمال المعاصر، وتيسيراً لقواعد اللغة، وبخاصة عند استعمال اسم التفضيل من اللفيف المقرون فنقول: الهدف الأقوى، والمرأة الأقوى، والدولتان الأقوى، والدول

الأقوى، شريطة ألا نعدو على الصيغ التي سُمعت فيها المطابقة، كالعليا بدلاً من الأعلى، والعظمى بدلاً من الأعظم.

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي:

"يجوز الأفراد والمطابقة في استعمال اسم التفضيل المحلي بـ"أل".

وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح الغاية من قرار اللجنة، وعند انتهاء المناقشة وإجراء التصويت أعلن الرئيس قبول القرار بالإجماع.

المسألة الرابعة:

زيادة النون في "فَعَلْنَ" وما يشتق منها

درست اللجنة ما يشيع على ألسنة بعض الكتاب وأقلامهم من صيغ الفعل التي زيدت فيها النون، من نحو: يُعْلَمْنَ، وَيُعْضَوْنَ، وَيُعْقَلْنَ، واشتقاقهم صفات منها، فيقولون: مُعْلَمْنَ، وَمُعْضَوْنَ، وَمُعْقَلْنَ.

أو يجعلونها مصدراً فيقولون: عَلِمْنَهُ، وَعَضُوْنَهُ، وَعَقَلْنَهُ. ورجعت اللجنة إلى ما قاله النحاة واللغويون في هذا الشأن، كما رجعت إلى ما سبق أن قرره المجمع من قبل، من إجازته النسب بالآلف والنون في المصطلحات العلمية، وبعد دراسة متأنية رأت اللجنة زيادة النون في هذه الصيغ الثلاث استناداً على ما ورد في فصحى العربية.

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي:

"ترى اللجنة قبول ما يشيع على ألسنة المثقفين من نحو: علمن، وعضون، وعقلن، ومصادرهما وما يشتق منها، على أن تعد النون زائدة، ويحمل ذلك على ما ورد من أشباهه في القديم، وما ذكره النحاة من زيادتها في ذلك".

وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وبعد التصويت على قرار اللجنة أعلن الرئيس قبوله بالإجماع.

المسألة الخامسة:

دخول "ربما" على الجملة الاسمية والاسم المفرد

أ- درست اللجنة موضوع دخول "ربما" على الجملة الاسمية، ولاحظت أن من النحاة من يمنع ذلك، ومنهم يجيزه، وهو ما رأته اللجنة وأخذت به تيسيراً لقواعد اللغة، وتسويفاً لبعض الأساليب التي تشيع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، في مثل قولهم: "ربما زيد في البيت"، "ربما البرد الشديد صرفه عن الخروج".

ب- كما درست اللجنة ما يجري في اللغة المعاصرة من دخول "ربما" على الاسم المفرد، مثل قولهم: "تجاهل الموقف ربما تسليماً للواقع" - "يستطيع التحكم فيها وربما التلاعب بها" فتكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال.

وانتهت اللجنة في ذلك إلى القرار التالي:

"يجوز دخول ربما على الجملة الاسمية، بغير تأويل، كما يجوز دخولها على الاسم المفرد فيما شاع في اللغة المعاصرة، على أن تكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال".

تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح مآل قرارها، ثم أعلن الرئيس قبول القرار لعدم وجود مخالف.

حادي عشر: اختتام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمر جلساتهم الختامية صباح يوم الاثنين في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق للثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠، واستمعوا إلى تقرير الأمين العام الدكتور شوقي ضيف عن الأعمال التي أنجزها المؤتمر في هذه الدورة، كما قرأ عليهم مختلف الاقتراحات التي قدمها أعضاء المؤتمر مع ما ارتأوه من توصيات.

وبعد تداول الرأي ومناقشة جميع الاقتراحات، أقرّ المؤتمر التوصيات التالية:

١- يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الأساسي **بحفظ قدر كاف من القرآن الكريم مع تفسيره** في صفوف هذا التعليم، وأن تتلو الناشئة مجموعة من أجزاء القرآن موزعة على الصفوف حتى ترسخ الملكة اللغوية في نفوسهم، ويتمثلوا قيم القرآن الجمالية والسلوكية والاجتماعية.

٢- يؤكد المؤتمر توصية الدول العربية التي لم يتم فيها تعريب جميع الإدارات والمؤسسات أن **تستكمل ذلك** لضرورته في التعامل مع أفراد شعوبها، ولأن ذلك جزء لا يتجزأ من عروبتها الخالدة.

٣- يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية أن لا تعمل على إحياء اللهجات المحلية حتى لا تغض من العناية بالعربية لغتنا القومية والدينية، ولغة ثقافتنا على مرّ التاريخ ولغة هويتنا وشخصيتنا وإذا كتبت أي لهجة محلية أو جعلت صحيفة لساناً لها ينبغي أن **لا تكتب بحروف سوى الحروف العربية**.

٤- يدعو المؤتمر الصومال حكومة وشعباً **إلى العودة إلى الحروف العربية** حتى تظل الأواصر قائمة بينها وبين شقيقاتها من البلدان العربية بحيث لا يمسه أي انفصام أو انفصال، ويهيب المؤتمر بالدول والحكومات العربية أن تعمل بشتى الوسائل على هذه العودة المنشودة.

٥- يوصي المؤتمر ببذل الجهود العلمية لوضع معجم كبير للعامي الفصيح المشترك في البلدان العربية والذي يرجع إلى أصول فصيحة، حتى تتقارب تلك البلدان بعضها من بعض وتتعاون بلغة مشتركة. ويقرر المؤتمر أن يظل هذا الموضوع مفتوحاً في المؤتمر القادم.

٦- يدعو المؤتمر علماء العربية كُلاً في وطنه إلى محاصرة العامية وبيان الفروق الدقيقة بينها وبين الفصحى وما دخل الكلمات الفصيحة فيها من إبدالات في الحركات

والحروف وتغيرات في البنية والهيئة، لعرض ذلك على الناشئة والإذاعيين حتى يتحاشوه في كتابتهم ونطقهم.

٧- أخذ مؤتمر المجمع علماً بقرار وزراء الصحة العرب بتعريب كليات الطب في الوطن العربي وهو ما أوصى به مؤتمر المجمع مراراً، وإن مؤتمر المجمع إذ يحيي هذا القرار يوصي الحكومات العربية بإصدار التشريعات اللازمة لتعريب التعليم الجامعي والعالي في مختلف الحقول والتخصصات العلمية.

٨- يدعو المؤتمر اتحاد المجامع اللغوية والجامعات والهيئات العلمية إلى **توحيد المصطلحات في جميع العلوم**، حتى تتمحي انحاء تاماً البلبلة في وضع هذه المصطلحات، فلا تكون في أي بلد عربي مصطلحات في علم تغاير مصطلحاته في البلاد العربية الأخرى، وحتى يتعاون علماءنا جميعاً في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية قوية.

٩- يوصي المؤتمر بزيادة **عدد الساعات في تدريس قواعد العربية** مع العناية في النصوص بالضبط والشكل الكامل، ومع تيسير القواعد على الناشئة والاستضاء في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والأربعين من تبسيط لتلك القواعد، ولدى المجمع كراسة توضح هذا التبسيط وترسل لمن يطلبها من وزارات التعليم في الوطن العربي.

١٠- يوصي المؤتمر أن يعنى في التدريس للناشئة وفي جميع وسائل الإعلام وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية ومسلسلات التلفزيون **باستخدام الفصحى ومراعاة قواعدها** وصياغاتها مراعاة دقيقة وينبغي إعداد المذيعين والمذيعات لغوياً بواسطة دورات تدريبية لهم تعرفهم - في دقة النطق العربي الفصيح، مع تصحيح ما يتردد في ألسنتهم من أخطاء لغوية.

١١- يوصي المؤتمر بما دعا إليه في مؤتمرات سابقة - حفاظاً على الهوية العربية والقومية - من إصدار تشريعات تحظر كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات

والفنادق بغير العربية كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية - عليها جميعاً- بحروف عربية.

١٢- يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير وتمثلها القويم للبيان العربي.

١٣- تبلغ هذه التوصيات للمؤتمر إلى الجامعات العلمية والجامعات والصحف العربية وإلى وزارات التعليم والإعلام والثقافة في الوطن العربي.

وبعد هذا أعلن الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المؤتمر، ختام الدورة السادسة والخمسين، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، متمنياً للمسافرين منهم السلامة، آملاً اللقاء بهم جميعاً في الدورة القادمة بمشيئة الله.

صورة عاد في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سليم

جامعة مؤتة

رَبَطَ بَعْضُ الْمَوْرِّخِينَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءَ الْأَحْدَاثَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ بِمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَأَفْكَارِهِ وَطُمُوحَاتِهِ، فَزَدُّوا الْأَشْعَارَ وَالْخُطَبَ وَالْأَمْثَالَ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْمُنَاسَبَاتِ وَالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَتَنَبَّهُوا عَلَى أَهْمِيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَنْفَعِلُ بِالْحَدَثِ وَيَحْسُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ؛ فَسَجَّلُوا كَثِيرًا مِنْ حِكْمِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ شِعْرًا وَنَثْرًا، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَوْرِّخِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْقَصَصِ وَثَائِقَ يُمْكِنُ بِوَاسِطَتِهَا أَنْ يُفْنَعُوا الْقَارِئَ بِصَحَّةِ الْخَبَرِ، لِأَنَّ الشَّعْرَ اتَّخَذَ دَلِيلًا عَلَى الْخَبَرِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ يُسَاقُ مَعَهُ لِيُؤَكِّدَهُ. وَمِنْ هَذِهِ الزَّوَايَا كَثُرَ النَّحْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْقَدَمَاءِ، وَحَمَلَ رُؤَاةُ الْأَخْبَارِ غُنَاءً كَثِيرًا مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي يَزِيدُ الْخَبَرَ ضَعْفًا أَكْثَرَ مِمَّا يَزِيدُهُ صَدَقًا وَإِشْرَاقًا وَإِحْسَاسًا، وَغَابَ دَوْرُ الْإِنْسَانِ فِي صِنَاعَةِ التَّارِيخِ. وَهَذِهِ أَوَّلُ عَقَبَةٍ تَوَاجَهَ مَنْ يَبْحِثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْمَوْرُوثِ الثَّقَافِيِّ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ أَحْيَانًا فِي كُتُبِ التَّارِيخِ تَرْجُمَةُ حَرْفِيَّةٌ مُصْطَنَعَةٌ لِلرَّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ.

وَالْعَقَبَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْمَوْرُوثَ الثَّقَافِيَّ عِنْدَ الْعَرَبِ مَزِيجٌ مِنَ التَّارِيخِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْخُرَافِيَّةِ وَالْقَصَصِ، وَالْأَمْثَالِ وَالْأَسَاطِيرِ، وَالْخُرَافَاتِ، وَالْمَلَا حِمِ الشَّعْبِيَّةِ، وَمِنْ خِلَالِ ذَلِكَ يَبْرُزُ الشَّعْرُ خَافِتًا بَاهِتًا مُجْتَزَأً. وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَسَاطِيرِ وَالْقَصَصِ، لَمْ يُدَوَّنْ إِلَّا فِي فِتْرَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَقِيَ مِنَ الْمَوْرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ الْإِهْمَالَ وَالنَّقْدَ، وَكَانَتْ الْأَحْدَاثُ - غَالِبًا - تَخْضَعُ لِمَنْطِقِ الْمُفَسِّرِينَ وَقِيَمِهِمْ خِدْمَةً لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، مُهْتَمِّينَ بِالْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ مِنْ مُجْمَلِ الْأَحْدَاثِ. وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ الصُّورَةَ الْقَدِيمَةَ لِلْقَصَصِ التَّارِيخِيِّ هِيَ نَفْسُهَا الصُّورَةُ الَّتِي رَوَاهَا الْمَوْرِّخُونَ

المسلمون في القرن الثاني الهجري والقرون التالية؛ فقط أُسْقِطَ منها ما يَتَنَافَى وقيم الدين الإسلامي الحنيف وما يتعارض ومبادئه، وبقي من تراث الإنسان الجاهلي قليلٌ من الأساطير والخرافات تكشف عن إنسان مُشوَّه لا ثقافة لديه ولا حَضَارَة، فَوُسِمَ بالجهالة، ووُصِفَ بالانحطاط، ونُعتَ بالأمِّيَّة.

وجاء القرآن الكريم يتحدثُ إلى القوم عن عادٍ وثمودَ والأمم الماضية، وما أَلْفُوا من ثقافات وما وَعَوْا من حَضَارَات، ولم تكن طَرَافَة أخبار الأمم القديمة مقصودة لذاتها، ولم يأت القرآن الكريم لِيُضِيفَ معلوماتٍ جديدةً إلى تاريخ العَرَب، وإنَّما كان الهَدَفُ العِظَة والعِبْرَة والتَّدْبِيرُ، ولو جاءهم بأخبار لم يسمعوا بها ولم يعرفوها لأنصَرَفَتْ عنايتهم إلى دَحْضِهَا ومناقشتها وإنكارها، ولم نسمع أَنَّ وثَنِيي العرب ناقشوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مدى صِحَّة الأخبار القرآنية؛ لأنَّهم يعرفونها بصورة مطابقة أو قريبة من التصوير القرآني لها، ولديهم - في مواضع معينة - معلومات أكثر تفصيلاً ممَّا جاء في الذكر الحكيم.

ولا شكَّ أَنَّ موروثاتهم عن الأمم القديمة لم تكن تأريخاً مَحْضاً، وكانت أشعارهم عندما يتحدثون عن الأمم السالفة يختلط فيها التاريخ بالخيال والمعتقدات الخرافية والأساطير والرؤى الشعرية. وهذه مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو^(١): "صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار" .. والشاعر الجاهلي كان يَرْتَدُّ كثيراً إلى الموروثات الثقافية والحضارية فيُعِيدُ صياغتها، ويُعبِّرُ من خلالها عن رؤاه وتصوراته للحياة والكُون والوُجُود.

ونحنُ نُؤْمِنُ بأنَّ الشاعر الجاهلي يُعَدُّ من صفوة المجتمع، وأنَّه كان - أحياناً - حكيم القبيلة ومتفكِّها، وكاهنها، وأنفذها إحساساً، وأقدرها على نقل مشاعره وتجاريه وثقافته ومعلوماته وتحويل المادة التراثية إلى مادة أدبية؛ لذلك كان البَحْثُ

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م.

عن صورة عاد في الشعر الجاهلي مُقَدِّمَةً صالحةً لبحثٍ أَشْمَلَ وأوسع في علاقة الشعر الجاهلي بالموروثات الثقافية، وله أهمية خاصة؛ لأنَّه يكشف عن المكوّنات الثقافية للأُمَّة العربية من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يكشف عن ثقافة الإنسان الجاهلي وطرائق تفكيره عندما يَرْتَدُّ إلى الحضارة التي مرّت بها الأُمم القديمة، ويدفع من جانب آخر شكوك بعض المستشرقين والباحثين في حقيقة وجود (عاد) التي عدّها بعضهم في زُمرة الأَقوام الخُرافيّة التي ابتدَعَتْهَا مخيلةُ الرّواة.

اصنطَلَح المؤرِّخون على تسمية "عاد وثمود وطسم وجديس" العرب البائدة، ولعلّ هذه التسمية جاءت من الآية الكريمة (٢) «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى» وكانت (عاد الأولى) في زعمهم من أعظم الأُمم بطُشاً وقوّة، وهم المُشار إليهم في الذّكر الحكيم. أمّا عاد الأخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عالج (٣).

وكان أمرُ عادٍ عند العرب في الشُّهرة في الجاهلية والإسلام كشُهرة إبراهيم وقومه كما يقول الطَّبْرِي (٤). لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأخبار؛ لأنَّهم - كما يقول جواد علي (٥) - عاشوا بعد ميلاد السيّد المسيح، ونبیهم هود عليه السّلام.

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين حضرموت واليمن، وقيل: في موضع بئر (إِرم) في منطقة حسمى بين أيلة وسيناء (٦)، وزعم المؤرخون أنّ (إِرم)

(٢) سورة النجم، الآية ٥٠-٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف (د. ت) مادة (علاج).

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٧١١هـ): تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية ١٣٢٦هـ، ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ج ١، ص ٣٠٠.

(٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م، ج ١ ص ١٩٦.

المذكورة في القرآن الكريم^(٧): «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» مدينة من عهد عاد بين عدن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية^(٨). ويُفهم من القرآن الكريم أَنَّ مساكن (عادٍ) بالأَحْقَاف، قال تعالى^(٩): «وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ» والأَحْقَاف: الرَّمْلُ بين اليمن وَعُمَانَ إلى حضرموت والشَّحْر، وقيل: رمال بأعْيَانِهَا في أسفل حضرموت^(١٠). وينسبون إلى عاد وَلَدًا اسمه "شَدَاد" نَسَجُوا حوله قَصَصًا خيالية^(١١).

وإذا عُدْنَا إلى الشَّعْر الجاهلي لَنَتَلَمَّسُ موروثات العرب الثقافية عن قوم عاد فسندجها متشعبة كثيرة، تمتزج فيها الحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، وللشعراء رموزٌ ورؤى شعرية فيما يُروى عن الأقدمين تصدر عن صُوَرٍ موحدة، وأنماطٍ من التَّفْكِيرِ مُتَشَابِهَةٍ.

(١)

تَخَيَّلِ الجاهليون عاداً أُمَّة قديمة جداً، بل هي أقدم الأمم، فقالوا في أمثالهم^(١٢): "أَقْدَمُ من عاد" ودخلت "عاد" في الحسَّ اللُّغوي العربي لِتُمَثِّلَ الْقِدَمَ

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، مادة (حقف).

(١١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٩/٩٣٢ مجاميع.

(١٢) القالي، كتاب أفعال من كذا، حققه: محمد بن عاشور، تونس، ١٩٧٠م ص ٧٤.

وَبُعْدَ الْعَهْدِ، وَتَطَاوُلَ الْأَمَدِ، فيقولون: "عَادِيٌّ" و "إِرْمِيٌّ" عندما يَنْسَبُونَ شيئاً إلى القِدَمِ، كالْأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ، وَالْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ، وَالْآبَارِ الْعَظِيمَةِ، قال الشاعر: (١٣)

وَكَمْ نَادَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَاجٍ بِعَادِيٍّ الْبَّارِ فَمَا أَجَابَا

وقال آخر (١٤):

دَعَوْنَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَأْوُهَا وَهَدَمَ جَالِيَهَا اخْتِلَافُ عُصُورِ

وجعل عمرو بن معد يكرب "السَّاعِدَ" عادياً طويلاً مفاصل الأصابع، قال (١٥):

لَهُ هَامَةٌ مَا تَأْكُلُ الْبَيْضُ أُمَّهَا وَأَشْبَاحُ عَادِيٍّ طَوِيلِ الرِّوَابِ

والبَيْتُ الْعَادِيُّ: القديم الذي لَا يُعْرَفُ بانيه، وكأنَّه من مُخَلَّفَاتِ قَوْمِ عاد، والعرب يَرْمُزُونَ بالبُيُوتِ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَآثِرِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ، قال أبو البرج، القاسم بن حنبل: (١٦)

فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ فَطَالَ السَّمُكُ وَاتَّسَعَ الْفِئَاءُ

(١٣) (الآلوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ج ٣ ص ٣.

(١٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤.

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، تحقيق: مطاع الطرايشي، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م، ص ٥١، وانظر قول كثير "به قُلْبٌ عَادِيَّةٌ وَكُرُورٌ" لسان العرب، مادة (عود).

(١٦) (المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ): شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣م، ج ٤، ص ١٦٥٩.

وَأَمَّا أُسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنْ الْعَادِيِّ إِنَّ ذِكْرَ الْبِنَاءِ

وقال عامر المحاربي^(١٧):

وَتُرْسِي إِلَى جُرْثُومَةٍ أَذْرَكْتُ لَنَا حَدِيثًا وَعَادِيًّا مِنَ الْمَجْدِ خُضْرِمًا

وبذلك فَسَّرُوا قول الحارث بن حِزَّة الشكري^(١٨):

إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَاءَتْ الْجِ — نُنْ فَابَتْ لِحَصْمِهَا الْأَجْلَاءُ

نسبة إلى إرم عاد، أي: مُلْكُهُ قَدِيمٌ كان على عهد عاد إرم، وقال بعضهم: كَأَنَّ هذا الممدوح من إرم عاد في الجِلم، كما قال الأغلب العجلي^(١٩):

جَاءُوا بِشَيْخِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصَمِّ شَيْخٌ لَنَا كَانَ عَلَى عَهْدِ إِرَمٍ

وقال آخرون: ذهب إلى أَنَّ جسمه وقوته يُشْبِهُان أجسام عادٍ وشِدَّتْهُم^(٢٠) وَيَدَّعُونَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ وَدُرُوعَهُمْ وَتُرُوسُهُمْ قَدِيمَةٌ عَادِيَّةٌ، كناية عن مَجْدِهِم الْمُؤَثَّل، وبِأَسْهُم

(١٧) المفضل الضبي (١٧٨هـ): المفضليات، حققه أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٧٩م ص ٣٢٠.

(١٨) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٤٩٢.

(١٩) المصدر السابق، وحامسة ابن الشجري ص ٣٧. وهذا الرجز ينسب إلى عباس الأصم الرعلي فارس بني سليم في الجاهلية. انظر: ديوان الخنساء بشرح ثعلب، حققه: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن ١٩٨٨م ص ٣٧٧.

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٩٣.

القديم، وأنَّهم ورثُوا العِزَّةَ والكِرَامَةَ والتَّضَحِيَّةَ عن أجدادهم القدماء، قال راشد بن شهاب اليشكري (٢١):

لِعَادِيَّةٍ مِنَ الرَّمَاكِ اسْتَعْرَتْهَا وَكَانَ بِكُمْ فَقْرٌ إِلَى الْعَدْرِ أَوْ عَدَمٌ

وهذا المعنى مكرر في أشعارهم (٢٢):

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وَسِيفِي كَانَ عَهْدَ ابْنِ ضَدٍّ تَخَيَّرَهُ الْفَتَى مِنْ قَوْمِ عَادٍ

وقال الحصين بن الحُمام:

مُضَاعَفَةُ السَّوْدِ عَادِيَّةٌ وَعَضْبُ الْمَضَارِبِ مِفْصَالُهَا

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَأَخْرَيْنَ تَرَى الْمَآذِيَّ عُذَّتَهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَا قَدْ أُورِثَتْ إِرْمٌ

(٢١) المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٨): المفضليات، تحقيق: أحمد شاکر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م ص ٣٠٩.

(٢٢) انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطراييشي، طبعة دمشق ١٩٧٤م، ص ٩٣. وشعراء النصرانية قبل الإسلام، جمع: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت ١٩٦٧م، ص ٧٣٤ وديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٢، ص ١٢٣. المآذِي: الدُّرُوعُ اللينة.

وكان للحجارة العاديّة القديمة أهمية بالغة، فقد عبَدَ العربُ الأنصابَ العاديّةَ وأقسَموا بها، قال المهلهل بن ربيعة (٢٣):

كَلَّا وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ مَعْبُودَةٍ قَدْ قُطِعَتْ تَقْطِيعًا

ووصف زهير بن أبي سلمى طريقاً قديماً فقال (٢٤):

وَأَبْيَضَ عَادِيٌّ تَلُوحُ مُثُونُهُ عَلَى الْبَيْدِ كَالسَّيْحِ الْيَمَانِي الْمُبَلَّجِ

ووصف امرؤ القيس إبل رجل بـ"إِرمِيَّات" (٢٥):

رُئِهَا أَوْضَعُ جَرْمٍ وَاحِدًا فِي لِقَاحِ إِرمِيَّاتٍ رُفْدٍ (٢٦)

وقالوا: الإبل العيديّة نجائب معروفة منسوبة إلى عاد،

قال رذاذ الكلبي (٢٧):

ظَلَلْتُ تَجُوبُ بِهَا الْبُلْدَانَ نَاجِيَةً عِيدِيَّةً أَرْهَنْتُ فِيهَا الدَّنَانِيرُ

(٢٣) شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص ١٧٢.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢١٥.

(٢٥) امرؤ القيس بن حجر (ت ٥٤٠م): الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٢١٥.

(٢٦) أَوْضَعُ جَرْمٍ: أَبْخَلَ مَنْ فِي الْحَيِّ، اللَّقَاحُ: النُّوقُ الَّتِي أُتِيَ عَلَيْهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرَانٍ أَوْ ثَلَاثَةً، الرَّفُودُ: الَّتِي تَمْلَأُ مِنْ أَلْبَانِهَا الْأَرْقَادُ، وَهِيَ الْأَقْدَاحُ.

(٢٧) ابن منظور: اللسان، مادة (عود).

وإذا وصفوا شيئاً بالخلاء والقفار قالوا: "ما به من إرم وإرم".
قال المرقش الأكبر (٢٨):

أَمَسَتْ خَلَاءٌ بَعْدَ سُكَّانِهَا مُفْفِرَةً مَا إِنَّ بِهَا مِنْ إِرْمٍ

وقال زهير بن أبي سلمى (٢٩):

دار لَأَسْمَاءَ بِالْغَمْرَيْنِ مَائِلَةً كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أِرْمٌ

قال ابن سيده: (٣٠) الإرم والأرم: الحجارة، والآرام: الأعلام، وخصَّ بعضهم
بها أعلام (عاد).

وقال اللحياني: أَرَمِيَّ وإِرَمِيَّ، والأُرُوم: الأعلام، وقيل: هي قُبُور عاد. وَعَمَّ بِهِ
أبو عبيدة، فقال: هي الأعلام.

ومن إِرَمِ اشْتَقُّوا "الأُرُومَةَ" وهي أصل الشجرة، الراسخ القديم المؤثِّل، وتَعْنِي
الشَّرَفَ القديم، والمآثر والحَسَبَ، قال أبو جُنْدُب الهذلي (٣١):

أُولَئِكَ نَاصِرِيَّ وَهُمْ أُرُومِيَّ وَبَعْضُ الْقَوْمِ لَيْسَ بِذِي أُرُومٍ

(٢٨) المفضل الضبي، المفضليات ص ٢٢٩.

(٢٩) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١١٦.

(٣٠) ابن منظور: اللسان، مادة (أرم).

(٣١) المصدر السابق، مادة (أرم)

وقال الأعشى^(٣٢):

مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا مَنِبْتُ الْعُودِ

وقال زهير^(٣٣):

لَهُ فِي الذَّاهِبِينَ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

ويتردّد في الشعر الجاهلي ادّعاؤهم ملكيّة الجبال والحِمَى، وموارد المياه من عهد عاد، قال أبو دؤاد الإيادي^(٣٤):

أَلَا أَبْلِغُ خُرَاعَةَ أَهْلِ مُرٍّ وَإِخْوَتَهُمْ كِنَانَةَ عَنْ إِيَادِ
تَرَكْنَا دَارَهُمْ لَمَّا شَرَوْنَا وَكُنَّا أَهْلَهَا مِنْ عَهْدِ عَادِ

وقال رجل من طيء^(٣٥):

وَبِالْجَبَلَيْنِ لَنَا مَعْقِلَانِ صَعَدْنَا إِلَيْهِ بِسُومِ الصَّعَادِ
مَلَكْنَاهُ فِي أَوْلِيَّاتِ أَرْمَاهُ نِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ

(٣٢) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت ٦٢٤هـ): الديوان، حققه: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م ص ٣٢١.

(٣٣) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١٥٤، وانظر ديوانه أيضاً ص ٢٣٢، ٢٨٢.

(٣٤) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، طبعة الصاوي، مصر، ص ١٧٥.

(٣٥) الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ): الإكليل، تحقيق: محمد ابن علي الأكوغ، بغداد، ١٩٨٠م، ج ١ ص ٩٠.

وقال قبيصة بن جابر: (٣٦)

وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَفِ الْعَوَالِي

وقال بشامة بن حزن: (٣٧)

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتْلُهَا

ورأى بعضُ المستشرقين أنَّ كلمة (عاد) لم تكنْ أَسْمَ عَلمٍ في الأصل، بل كان يُراد بها القِدَم، وأنَّ (من عَهْدِ عاد) و(عَادِيٍّ) يعني منذ عهدٍ قديمٍ جداً، وأنَّ المعنى هو الذي حَمَلَ الناسَ على وضع تلك الأساطير عن أيام عاد، وهي أقوام خرافيَّة لا أساس لوجودها (٣٨).

(٣٦) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د.ت) ج ١ ص ٢٩٥.

(٣٧) أبو تمام، ديوان الحماسة ج ١ ص ١٥٠.

وانظر قول الطَّرْمَاح من شعراء العصر الأموي:

لَنَا الْجِبْلَانُ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَمُجْتَمَعُ الْأَلَاءِ وَالْعِضَاهِ

وقول آخر:

تَمَدُّ عَلَيْهِ مِنْ يَمِينٍ وَأَشْمَلٍ بُحُورٌ لَهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتَبَعَا

لسان العرب، مادة (عود)

وقبيلة سويد بن أبي كاهل اليشكري غَلَبَتْ قَوْمَ عَادٍ وَمِنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ: قال:

غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَأَبَتْ بَعْدُ فُلَيْسٍ تُنْضَعُ

انظر: شعراء النصرانية، ص ٤٣٢.

(٣٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٣٠٨.

وما أوردناه من أشعار جاهلية يَدْحَضُ هذا الاستنتاج وسيأتي في مواضع من هذا البحث ما يُدَلِّل على معرفة العَرَب بأخبار عاد وقصصهم وأحوال معيشتهم وصفاتهم.

(٢)

جاء ذكر عاد في القرآن الكريم متَّصلاً بثمود في أربعة وعشرين موضعاً، وأن ثمود خَلَفَتْهُمْ في مساكنهم الرِّفْهَة وبنيانهم الشامخ، وقصورهم المنحوتة في الجبال، وما تَمَتَّعُوا به رَغْد العَيْش في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وزرعٍ وَنَخْلٍ فَرِهِينَ، وما كان من جُحُودهم لآيات رَبِّهم وكفرهم بنبيِّ الله (هود)، وأن الله عَذَّبهم بريحٍ صَرَصَرٍ عاتية^(٣٩).

وفي القرآن الكريم ثلاث سور تتَّصل بـ(عاد): (هود) و(لقمان) و(الأحقاف). وفي ذاكرة الإخبارين أساطير ومبالغات لا يَقْبَلُهَا الْعَقْلُ فيما يتَّصل بثناء عاد وما أُوتُوا من نعيم، رَوَوْا أَنَّ شَدَادَ بْنَ عَادٍ كَانَ قَوِيًّا جَبَّاراً سَمِعَ بوصف الجَنَّةِ فأَرَادَ بِنَاءَ مَدِينَةٍ تَفُوقُهَا حُسْنًا وَجَمَالاً، فجمع ما في الأَرْضِ من ذهبٍ وَفِضَّةٍ وَدُرٍّ وياقوتٍ، فابتنى مَدِينَةً (إِرم) باليمن لكنَّه لم يَتَمَتَّعْ بها لكَفَرِهِ بُبُوءَةَ هُودٍ، إِذْ أَهْلَكَهُ اللهُ وَسَحَقَهُ^(٤٠).

ويبدو أَنَّ حكاية شداد بن عاد قد نُسِجَتْ من أُخيلةِ الْقُصَّاصِ والمفسرين المسلمين في القرن الثاني الهجري معتمدين على ما جاء في القرآن الكريم وأخبار الجاهليين عن ثراء عاد وبطشهم وشموخ بنيانهم.

(٣٩) انظر القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ٦٥، ٧٤، التوبة آية ٧٠، هود آية ٥٠، ٥٩، ٦٠، إبراهيم آية ٩، الحج، آية ٤٢، الشعراء، آية ١٢٣، ص آية ١٢، غافر آية ٣١، فُصِّلَتْ، آية ١٣، ١٥، الأحقاف، آية ٢١، ق آية ١٣، الذَّارِيَاتِ آية ٤١، القمر آية ١٨، الحاقَّة آية ٤-٦، الفجر آية ٦، الفرقان، آية ٣٨، العنكبوت، آية ٣٨، النجم، آية ٥٠.

(٤٠) انظر قصة شداد بن عاد، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٩/٤٩٣٢ مجاميع.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى "أَصْنَاع" عادٍ وهي حُصُون وقصور منحوتة في الجبال، لكن هذه الأصْنَاع لم تَدْفَع عنهم المنية ولم تَقِهِم غوائل الدهر والمصير المَحْنُوم.

وعندما يَعْرِضُونَ لِحتمية الموت وتَفَاهة ما يختصمون عليه، وبطش الدهر يَتَعَزَّوْنَ بمصائر مَنْ قَبْلَهُمْ من الأمم القديمة ذات البأس والشدة، وبمصير عاد "ذوي النعم" و"أَصْحَاب الأصْنَاع" و"أَصْحَاب المُلْك" لكن المال والمُلْك والقوة لا تدوم، ولا تدفع المنية عن البشر. قال عمرو بن قميئة: (٤١)

قَدْ كَانَ مِنْ غَسَّانَ قَبْلَكَ أَمْ لَأَكْ وَمَنْ نَصَرَ ذُوو نِعَمٍ
فَتَتَوَجَّوْا مُلْكاً لَهُمْ هِمَمٌ فَفَنُّوا فَنَاءً أَوَائِلِ الْأُمَمِ
لَا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ مُخْلِـدُكُمْ أَوْ دَائِماً لَكُمْ وَلَمْ يَدُمِ
لَوْ دَامَ لَنَبَّـعَ وَذَوِي الْ أَصْنَاعِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ

وضرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا عليه من نعيم ومُلْك وجبروت؛ لَكُنْهُمْ بادوا وتحول ملكهم إلى مَنْ جاء بعدهم. قال لقيس ابن المكشوح عندما تهذَّده: (٤٢)

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بِأَفْضَلِ عَيْشَةٍ أَوْ ذُو نُوَاسِ (٤٣)
وَكَائِنِ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسِي
قَدِيمِ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمِ قَاهِرِ الْجَبَرُوتِ قَاسِي

(٤١) عمرو بن قميئة، الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٩-١٩٠.

(٤٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، حققه: مطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٧٤م ص ١١٧-١١٨.

(٤٣) ذُو رُعَيْنِ: أحد ملوك اليمن، ورُعَيْنِ حِصْنُهُ، ذُو نُوَاسِ: صاحب الأخدود.

فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى يُحَوَّلُ مَنْ أَنَسٍ فِي أَنَسٍ

ويرى سليمان بن ربيعة الثعلبي أن الحياة لا لذة فيها ولا نعيم، ما دام الدهر يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أمم عظيمة لم تُخَلَدَ وزال عنها ملكها ونعيمها، قال: (٤٤)

ما لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ (م) وَالِدَّهْرُ ذُو فُتُونٍ
أَهْلَكَ طَسْماً وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَاداً وَذَا جُدُونٍ
وَأَهْلَ جَاشٍ وَمَأْرَبَ بَعْدَ حَيِّ لُقْمَانَ وَالتَّقْثُونَ (٤٥)
وَالْيُسْرُ لِلْعُسْرِ وَالتَّعْنُّي لَلْفَقْرِ وَالْحَيُّ لِلْمُنُونِ

(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هلاك عاد بالريح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أمّا الشعراء الجاهليون فنسبوا هلاك عاد إلى (الزَّمن) و(الحادثات) و(زَيْب الدَّهْرِ) و(الغول):
قال الأعشى: (٤٧)

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمَاءً وَعَاداً أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
بَادُوا فَلَمَّا أَنَّ تَادُوا قَفَى عَلَى إِنْثَرِهِمْ فُودَارُ

(٤٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي

بالقاهرة ١٩٦٨م ج ١ ص ١٩٥.

(٤٥) النقون: بنو تَقْن بن عاد، اللسان، مادة (تقن).

(٤٦) الحاقّة، آية ٦.

(٤٧) الأعشى، الديوان ص ٣٣١.

قال زهير: (٤٨)

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبْعَا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا

وقال عدي بن غطيف الكلبي: (٤٩)

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالْدَّهْرُ يَعْدُو عَلَى الْفَتَى جَدْعَا
كَمَا سَطَا بِالْأَرَامِ عَادٌ وَبَالِ حَجَرٍ فَأَرْكَى لَتُبَّعٍ تَبَعَا

وقال رجل من عبس: (٥٠)

لَيْسَ أَمْرُ خَالِدًا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ هَاتِيكَ أَجْسَادُ عَادٍ أَصْبَحَتْ جِيْفَا

وقال أبو وجرة السَّعْدِي: (٥١)

صَبَبْتُ عَلَيْكُمْ حَاصِبِي فَتَرَكْتُكُمْ كَأَصْرَامِ عَادٍ حِينَ جَلَّهَا الرَّمْدُ

وقال رُشَيْدُ بْنُ رُمَيْضٍ الْعَنْبَرِيُّ: (٥٢)

(٤٨) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٠٩.

(٤٩) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون ج ٧ ص ٢٥٦.

(٥٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٨٨.

(٥١) ابن منظور، اللسان، مادة (رمد).

"مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أُودِتْ إِرْمَ".

وقال متمم بن نويرة: (٥٣)

ولقد علمتُ ولا مَحَالَةَ أَنَّنِي للحَادِثَاتِ فهل تَرَيْنِي أَجْرَعُ
أَفْنَيْنَ عَادَ ثَمَ آلَ مُحَرَّقٍ فَتَرَكْنَهُمْ بِلَدًا وما قد جَمَعُوا
ذَهَبُوا فلم أَدْرِكْهُمْ وَدَعَا ثَهُمْ غُولٌ أَتَوْهَا والطَّرِيقُ المَهْيَعُ

واستغلَّ خِداش بن عَمَلِيَّةٍ إبادةَ عادٍ في تصوير إبادة مُرَّةٍ والقبائل المُعَادِيَةِ،
واسْتَقْطَبَ في هذا التصوير دلالات الألفاظ بنحوٍ يُحَدِّدُ تمامًا رُؤْيِيَتَهُ الشعرية لهذا
الْحَدَثِ التاريخي الهائل، قال: (٥٤)

عَدَدَنْتُمْ عَطْفَتَيْنِ وَلَمْ تَعُدُّوا وقَائِعَ قَد تَرَكْنَكُمْ حَصِيدًا
تَرَكْنَا عامِرِيَهُمْ مِثْلَ عادٍ ومُورَّةً أَهْلَكُوا إِلَّا الشَّارِدَا

(٥٢) أبو تمام، ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج ١ ص ١٣٣.

وهذا البيت منسوب إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي، انظر: ديوانه، ص ١٧٢.

وانظر أيضا قول الأَفْوَه الأَوْدِي:

فينا معاشر لم يبينوا لقومهم وإن بَنَى قومهم ما أَفسدوا عادوا
كانوا كمثل لُقيم في عَشِيرَتِهِ إذ أَهلكت بالذي قد سَدَى لها عادُ
أو بعده كقَدَارٍ حين تابَعَهُ على الغوايَةِ أَقْوامٌ فقد بادوا

عبدالعزیز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٩.

وهذا المعنى مكرر في الشعر الجاهلي، كقول الفُئْد الزَّمَانِي

"لَقِيت تَغْلِبٌ كعصبة من عاد" وقول الأسود بن يعفر:

"وَأَسْبَابُهُ أَهْلَكُنْ عاداً وَأَنْزَلْتَ..." انظر: شعراء النصرانية ص ٢٤٣، ٤٨٤.

(٥٣) المفضل الضبي، المفضليات ص ٥٣.

(٥٤) خِداش بن زهير العامري، شعره، صنعة: يحيى الجبوري، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق

١٩٨٦م ص ٤٥.

ويحوّل عديّ بن زيد العبادي فكرة الفناء الذي أصاب الأمم القديمة إلى ألحانٍ جنائزية يُعزّي بها البشرية فيما يُشبه المرثاة الإنسانية لكل إنسان ينبغي الحياة والبقاء خلافاً لسنة الحياة. قال: (٥٥)

أَيَّنْ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادَ وَمَنْ بَعْدِهِمْ تَمُودُ
أَيَّنْ آبَاؤُنَا وَأَيَّنْ بَنُوهُمْ أَيَّنْ آبَاؤُهُمْ وَأَيَّنْ الْجُدُودُ
سَلَكُوا مِنْهَجَ الْمَنَائَا فَبَادُوا وَأَرَانَا قَدْ كَانَ مِنَّا وَرُودُ

وقال عدي أيضاً: (٥٦)

أَبَا شَرِيحٍ فَلَا تَحْزُنْكَ عِشْرَتُنَا فَالْمَرْءُ رَهْنٌ لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَالْحَمَمِ
إِنَّ الْأَسَى قَبْلَنَا جَمٌّ وَنَعْلَمُهُ فِيمَا أُدِيلَ مِنَ الْأَجْدَادِ وَالْأُمَمِ
مَنْهُمْ رَأَيْتُ عَيَاناً أَوْ تَخَبَّرُهُ وَمَا تُحَدِّثُ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
وَدُونَ ذَلِكَ كَمْ مَلِكٍ وَمَغْبِطَةٍ بَادُوا وَكَانُوا كَفَيَّ الظِّلِّ وَالْخُلَمِ

ولم يرد في الشعر الجاهلي إبادة عادٍ بالريح إلا في قصيدة لعبيد بن الأبرص، قال فيها: (٥٧)

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِصَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ

(٥٥) عدي بن زيد العبادي، الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد ١٩٨٦م، ص ١٢٢.

(٥٦) عدي بن زيد العبادي، الديوان ص ١٧٠.

(٥٧) عبید بن الأبرص، الديوان، حققه: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

كَمَا خَيْرَتْ عَادٌ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَائِبَ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرَةٍ أَنْقُ
سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تُوَكَّلْ بِبَلَدَةٍ فَتَرَكُهَا كَأَنَّهَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ^(٥٨)

ولا شك أنَّ هذه الأبيات صدىً للموروث الشعبي في قصة هلاك عاد، إذ يروى في حكاية الاستسقاء أنَّ الله أنشأ سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ونودي قَيلَ عادٍ: اختَرِ لنفسك ولقومك. فاختارَ السحابة السوداء لأنها أكثر مطراً، فلما رأوها قالوا: هذا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا، فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ وَدَمَّرَتْهُمُ الرِّيحُ الصَّرْصَرُ تدميراً. ولا أَسْتَبْعِدُ النَّحْلَ في هذه الأبيات التي لم أجد لها نظيراً في الشعر الجاهلي.

وفسّر علماء المسلمين الرِّيحَ الصَّرْصَرَ العاتية المذكورة في الذكر الحكيم، فقال التبريزي^(٥٩): مِنَ الرِّيحِ الدَّبُورِ، وهي المذكورة في القرآن، وعنه صلى الله عليه وسلم، قال: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ" وفي ذلك يقول أبو شجاع:

إِنَّ الرِّيحَ الدَّبُورَ أَرْبَعُ مِنْهَا النُّعَامَى وَالصَّبَا وَالرَّعْرَعُ
ثُمَّ الدَّبُورُ مَرُّهَا لَا يَنْفَعُ قَدْ أَهْلَكْتُ عَادٌ بِهَا وَتُبَّعُ

ومن (عاد) شهرُ لُقْمَانَ الحكيم الذي وَرَدَ ذِكْرُهُ في القرآن الكريم، وسُمِّيَتْ سورةٌ بِاسْمِهِ، ووصَّفه الله - تعالى - بِالْحِكْمَةِ، وله وَصَايَا في ابنه ذائعةٌ مشهورة^(٦٠):

(٥٨) الأتق: الإعجاب والسرور، الطَّلَق: سير الليل لورد الغيبة وهو أن يكون بين الإبل والماء ليلتان وبعده القرب.

(٥٩) التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٣١٠.

(٦٠) انظر: سورة لقمان، وتفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٩.

وَضَرَبَ الْعَرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْمَثَلَ^(٦١). وقالوا إِنَّهُ عُمَرُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَسَتِينَ، فَكَانَ عُمَرُ مَضْرُوبَ الْأَمْثَالِ^(٦٢).

وَيَذْكُرُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ^(٦٣). أَنَّ عَادًا أَصَابَهُمْ قَحْطٌ تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ، فَجَهَّزُوا وَفَدًا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ لَقْمَان "لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ" وَآخَرُونَ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا بِظَاهِرِهَا عِنْدَ بَكْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ زَعِيمِ الْعَمَالِيقِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَتُغْنِيهِمُ الْجَرَادَتَانِ، وَنَسُوا مَا جَاءُوا مِنْ أَجْلِهِ ... ثُمَّ خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِمْ سَحَابًا فَاسْتَبَشَرُوا بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ رِيحًا فِيهَا كُشْهَبُ النَّارِ سَخَرَهَا اللَّهُ - عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا، وَكَانَ تَخَلَّفَ مِنَ الْوَفْدِ "لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ" الَّذِي لَادَ بِالْكَعْبَةِ وَتَضَرَّعَ وَسَأَلَ اللَّهَ الْخُلُودَ، فَنُودِيَ أَنَّ قَدْ أُجِبْتُ دَعْوَتَكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ، وَلَكِنْ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ عُمَرَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ عُفُرٌ فِي جَبَلٍ وَعَرٍ، أَوْ عُمَرَ سَبْعَةِ أَنْسُرٍ، إِذَا مَاتَ نَسْرٌ تَبِعَهُ آخَرٌ، فَاخْتَارَ النَّسُورَ، فَعَاشَ عُمَرُ طَوِيلًا، وَكَانَ آخِرُ النَّسُورِ اسْمُهُ "لُبْدٌ" مَاتَ بِمَوْتِهِ، فَضَرَبُوا بِهِ الْأَمْثَالَ^(٦٤).

(٦١) فِي الْمَثَلِ: أَحْكَمُ مِنْ لَقْمَانَ: مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ج ١ ص ٢٢٢، وَجُمُورَةُ الْأَمْثَالِ ج ١ ص ٤٠٥، وَالْدُرَّةُ الْفَاحِرَةُ ج ١ ص ١٦٢.

(٦٢) أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِي: الْمَعْمُرُونَ وَالْوَصَايَا، مَطْبَعَةُ الْبَابِي الْحَلَبِيِّ، الْقَاهِرَةُ، ص ٢.

(٦٣) الْقِصَّةُ مُخْتَصَرَةٌ بِتَصْرِيفٍ عَنْ: الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ ج ١ ص ٤٨-٤٩، وَالْبِدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ١ ص ٢٨-٣٠، وَأَخْبَارُ الزَّمَانِ ص ١٠٤ وَمَرْجُوزُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٩٢ وَجُمُورَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ج ١ ص ٢٦، وَالْفَاخِرُ ص ٦٨ وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ج ١ ص ٢٢٣، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ ج ٤ ص ٥٩، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ج ١ ص ٦٠.

(٦٤) فِي الْمَثَلِ: "أَتَى أَبْدٌ عَلَى لُبْدٍ" وَ"أَعْمَرُ مِنْ لُبْدٍ" الدُّرَّةُ الْفَاحِرَةُ ج ١ ص ١٩٨، وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ج ٢ ص ٥١، وَتَمَثَالُ الْأَمْثَالِ ص ٢٣١، وَجُمُورَةُ الْأَمْثَالِ ج ٢ ص ٧٥ وَالْمُسْتَقْصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ ج ٢ ص ٢٥٤.

قال النابغة الذبياني (٦٥):

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّيِّدِ أَفُوتَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
أَمْسَتْ خَلَاءً فَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

فقد استغلَّ النابغة هذه الحكاية في تصوير دَمَارِ الدِّيارِ ومُحُولِها وأندثارِها، واستنقَطَبَ في هذا التصوير حكاية لقمان ونسوره، وفِعْلُ الزَّمنِ وتأثيره في المَوْجُودَاتِ، واستطاع أن يُحدِّدَ رُؤاه الشعرية لفِعْلِ الدَّهرِ وسَطُوتِهِ وبَطْشِهِ معتمداً على المَوروث الثقافي من حكاية لُقْمَانِ وَلُبْدِ.

وقال لبيد بن ربيعة العامري (٦٦):

وَلَقَدْ جَرَى لُبْدٌ فَأَدْرَكَ جَرِيَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ وَكَانَ غَيْرَ مُتَّقِلِ
لَمَّا رَأَى لُبْدُ النُّسُورَ تَتَابَعَتْ رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ
مَنْ تَحْتِهِ لُقْمَانٌ يَرْجُو نَفْعَهُ وَلَقَدْ رَأَى لُقْمَانٌ أَنْ لَمْ يَأْتَلِ (٦٧)

فالمرءُ يَهْرُبُ من الموت لكن الموت يُطَارِدُهُ، وَيَدُ الْمُنُونِ تَنَالُهُ أَيْنَمَا اتَّجَهَ، وقد أفاد الشاعر من هذه الأسطورة الشعبيَّة ووظَّفَها لخدمة المَعْنَى الذي يقصد إليه، فَلُبْدُ الذي يُمَثِّلُ الإنسانَ يَرَى النُّسُورَ قبله يَهْوِي الواحدُ تَلَوَّ الآخرَ، ولا يَتَّعِظُ من غيره

(٦٥) النابغة الذبياني، الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م، ص ١٦.

(٦٦) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه: إحسان عباس، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢، ص ١٦.

(٦٧) القوادِم: مُقَدَّم جناح النسر، الفَقِير: المكسور الفقَّار، الْأَعْزَلُ من الْخَيْلِ: المائل الذنب، لم يَأْتَلِ: لم يَقْصُرَ في استبقاء النسر والحرص عليها، لكن القَدْرَ غَلَبَهُ.

فَيَحَاوِلُ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ الْمَحْتَوَمِ، وَأَيِّنَ الْمَقَرَّ مِنْ رَبِّبِ الْمَتُونِ الَّذِي يُطِيحُ بِكُلِّ حَيٍّ. وَلُقْمَانَ وَنُسُورَهُ يُقَدِّمُهُمُ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ أَنْمُوذَجًا لِمَصِيرِ الْبَشَرِيَّةِ: الْفَنَاءُ الْمَحْتَوَمِ، وَالْمَوْتُ الْمُؤَكَّدُ.

وهذه الصورة يكررها طرفة بن العبد، فيقول (٦٨):

فَكَيْفَ يُرْجَى الْمَرْءُ دَهْرًا مُخْلَدًا وَأَيَّامُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تُحَاسِبُهُ
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ النُّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ

أَمَّا أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، فَيَرَى فِي "لُبْدٍ" مَثَلًا لِلصَّدَاقَةِ الْكَاذِبَةِ، وَالْخِيَانَةِ مِنَ الصَّدِيقِ، قَالَ (٦٩):

خَانَتْكَ مِنْهُ مَا عَلِمْتَ كَمَا خَانَ الْإِخْوَاءُ خَلِيلُهُ لُبْدُ

وَاسْتَحَالَ نَسْرُ لُقْمَانَ لَدَى الشَّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ رَمْزًا لِلسَّلَامَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ، وَعِنْدَمَا يَتَنَاولُونَ حِكَايَتَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ يَسْتَنْدُونَ إِلَى قِيَمٍ بِلَاغِيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِنَادِهِمْ إِلَى قِيَمٍ أُسْطُورِيَّةٍ، قَالَ سَهْلُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ الْخَزْرَجِيُّ يَصِفُ طُولَ عُمَرِ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ رَجَاءٍ (٧٠):

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمَرِهِ الْأَبْدُ

(٦٨) طرفة بن العبد، الديوان، حققه: لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م، ص ١٤١.

(٦٩) أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، الديوان، حققه: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م ص ٢٢.

(٧٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٢٣ و ج ٦ ص ٣٢٧.

قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاكْتَهَلَ الدَّ (م) هُرٌّ وَأَثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُّ

يَا نَسِرَ لَقْمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدُ

* * *

وَمَيَّزَ بَعْضُ الْإِخْبَارِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ بَيْنَ لُقْمَانَ عَادَ، وَلُقْمَانَ الْحَكِيمِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَزَعَمُوا أَنَّ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ عَاشَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ دَاوُدَ، قَالَ الْجَاهِظُ (٧١) "وَمِنَ الْقُدَمَاءِ مِمَّنْ كَانَ يُذَكَّرُ بِالْقَدْرِ وَالرِّيَاسَةِ، وَالْبَيَانِ وَالْخُطَابَةِ، وَالْحِكْمَةِ وَالذَّهَاءِ: لُقْمَانُ بْنُ عَادَ، وَلُقَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ .. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُعَظِّمُ شَأْنَ لَقْمَانَ بْنِ عَادَ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرَ، وَلُقَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ فِي النَّبَاهَةِ وَالْقَدْرِ، وَفِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ، وَفِي اللِّسَانِ وَالْحِلْمِ، وَهَذَا غَيْرُ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُفَسِّرُونَ".

وَيَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الْجَاهِظِ أَنَّ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ هُوَ نَفْسُهُ لَقْمَانَ عَادَ الْمَوْصُوفِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَاللِّسَنِ وَالْحِلْمِ وَالنَّبَاهَةِ. وَهَذَا مَا أَرِجُّهُ، وَإِنْ كَانَ الْمَفْسِّرُونَ يَنْكُرُونَهُ.

وَيَهْمُنَا هُنَا أَنَّ حِكْمَةَ لَقْمَانَ بَقِيَتْ مَحْفُوظَةً فِي كِتَابٍ إِلَى مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ سُؤِيدِ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ مَرَّ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَتْبَاعَهُ، فَقَالَ لَهُ: لَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلَ الَّذِي مَعِيَ، فَقَالَ: وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ سُؤِيدٌ: مَجْلَةُ لُقْمَانَ (يُرِيدُ كِتَابًا فِيهِ حِكْمَةُ لَقْمَانَ) فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: اغْرِضْهَا عَلَيَّ،

(٧١) الْجَاهِظُ، الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ج ١ ص ١٨٤ و ٣٦٥، وَالْبَرَصَانُ وَالْعَرَجَانُ، حَقَّقَهُ: مُحَمَّدٌ مَرْسِي الْخَوْلِي، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت ١٩٨٧م، ص ٢٠٢.

فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَكَلَامَ حَسَنٍ، وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ، قَرَّانَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ-
تَعَالَى-هُوَ هُدًى وَنُورٌ (٧٢).

وزعم وهب بن منبه أنه قرأ من حِكْمَةِ لُقْمَانَ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ بَابِ (٧٣).

وقد جمع أحد العُلَمَاءِ حِكْمَتَهُ وَأَمْثَالَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ "أَمْثَالُ لُقْمَانَ
الْحَكِيمِ" (٧٤) وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين نماذج من أَمْثَالِهِ وَحِكْمِهِ، قَالَ لِابْنِهِ:
أَيُّ بُنًى، إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ وَلَمْ أَتَدَمَّ عَلَى السُّكُوتِ (٧٥).

وقال له: يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَيْكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّكَ إِذَا كَسَلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا، وَإِذَا
ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى حَقٍّ (٧٦).

وقال له: ثَلَاثَةٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَوَاطِنَ: لَا يُعْرِفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ،
وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ، وَلَا تَعْرِفُ أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ (٧٧).

(٧٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عبدالسلام هارون، البابي الحلبي، القاهرة ج ٢ ص ٦٨.
والزمخشري: الفائق ج ١ ص ٢٠٦، واللسان، مادة (جلل).

(٧٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار
المعارف بمصر ١٩٦٩م ص ٢٥.

(٧٤) كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيد (ت ٢١١هـ) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه ص ٣٤١،
ونشر جالان الفرنسي أمثال لقمان سنة ١٧٠٨م ونشر أمثال لقمان الحكيم، جوزيف دير نبورغ، لندن
١٨٥٠م، وترجمها إلى الفرنسية دي برسفال ١٨١٨م وشربونو ١٨٤٧م ومارسيل سنة ١٧٩٩، ونشرها
في هولندا المستشرق أربيانوس، ونشرها في ألمانيا سنة ١٨٤٣ المستشرق الألماني فرايتاج.

(٧٥) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦٩.

(٧٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٤.

(٧٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٦ وانظر أنموذجاً آخر في البيان والتبيين أيضاً ج ٢ ص ١٤٩، وروى
المَقْرِي، أبو عبدالله محمد بن أحمد كتاب المختار من نواذر الأخبار، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، مؤسسة
الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٢٥- وصية مطولة للقمان الحكيم. وانظر كذلك غرر الخصائص
الواضحة للوطواط، دار صعب، بيروت، ص ٨٧.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى حكمة لُقْمَان، قال المسيب بن
عَلَس^(٧٨):

وَلَأَنْتَ أَبِينُ حِينَ تَتَطَّقُ مِنْ لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بِالْأَمْرِ

وقال لبيد بن ربيعة^(٧٩):

وَأَخْلَفَ قُصًّا: لِيَتَّبِعَنِي وَلَوْ أَنْتَنِي وَأَعْيَا عَلَى لُقْمَانَ حُكْمَ التَّدْبِيرِ

وقال أبو قيس بن الأسلت في مدح أبي أحيحة سعيد بن العاص^(٨٠):

وَكَانَ أَبُو أُحِيحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَزَمٍ ذَمِيمٍ
إِذَا شَدَّ الْعَصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْخُصُومِ
وَكَانَ الْبَحْثَرِيُّ غَدَاةَ جَمْعٍ يُدَافِعُهُمْ بَلْقَمَانَ الْحَكِيمِ

ويروون أَنَّ زِيَّانَ بْنَ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ رَحَلَ مَعَ النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي يَرِيدُ الْعَرَوَ، فَنَظَرَ
وَإِذَا عَلَى ثَوْبِهِ جَرَادَةٌ، فَتَطْيَّرَ وَرَجَعَ، وَمَضَى زِيَّانُ وَعَادَ بِالْغَنَائِمِ، فَقَالَ زِيَّانُ فِي
ذَلِكَ^(٨١):

تَخَبَّرَ طَيْرُهُ فِيهَا زِيَادٌ لَتُخْبِرُهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ
أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ

(٧٨) الجاحظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٩، وهو منسوب للأعشى، الديوان ص ٣٥١.

(٧٩) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٩. أي في تَمَنِّيهِ وقوله: ليتني .. ولو أنني.

(٨٠) المصدر السابق، ج ٣ ص ٩٧.

(٨١) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٤٧.

وقد أكثر الشعراء الإسلاميون من ذِكر لُقْمَانَ الحكيم ووصاياه ولَسَنَه
وفَصَاحَتَه وحِكْمَتَه^(٨٢):

وَضَرَبُوا الْمَثَلَ بِأَيْسَارِ لُقْمَانَ، قالوا: هم ثمانية رجالٍ من العمالِيقِ(*)، ما
فيهم أَحَدٌ إِلَّا جَمَعَ من الصِّفَاتِ الكريمة أَسْمَاهَا، فيهم الحِلْمُ، والطُّهْرُ، والكَرَمُ. وقد
اتَّخَذَهُم شعراء الجاهلية رمزاً للسَّمَّاحَةِ والرَّيَّاسَةِ والجُودِ وإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، والحِلْمِ
عن السُّقْمَاءِ، قال امرؤ القيس حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني^(٨٣):

إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَخِرًا فَقَاحِرُ بَيِّتٍ مِثْلَ بَيْتِ بَنِي سَدُوسَا
بَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤْسَاءَ فِيهِ قِيَامًا لَا تُتَّازَعُ أَوْ جُلُوسَا
هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ إِذَا مَا أَجْمَدَ الْمَاءِ الْقَرِيْسَا

وقال أوس بن حجر^(٨٤):

(٨٢) قال الصِّلَتَانِ العبدِي: "أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بَنِيهِ ... إلخ" شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٣
ص ١٢١٠، وقال أبو دلّامة الأَسَدِي: "فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمَ عَيْسَى وَلَمْ يَكْلِفْكَ لُقْمَانَ الْحَكِيمُ" ديوانه. تحقيق:
رشدي حسن، دار عمار ١٩٨٦، ص ٤٢، وقالت ابنة وثيمة بن عثمان: "بِلِسَانِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ وَفَصْلُ
خَطْبَتِهِ الْحَكِيمَةِ" البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٣.

(*) وهم: بيض وحممة (حممة) وطفيل، وذفافة، وملك (مالك) وثميل (نميل) وفروعة (فرزعة) وعمار.
(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠ م): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
المعارف بمصر ١٩٦٤ م ص ٣٤٤. الماء القريس: الجامد من شدة البرد.

(٨٤) أوس بن حجر، الديوان ص ٣٣. تخم لحامهم: يَدْخَرُونَهَا فَتَخَمُ وتفسد، الصولر: قطيع البقر،
الشول: جماعة الإبل التي ارتفع لبنها عند الحمل أو البرد أو الجوع. وجرت الناقة: لم تنتج.

وفتيان صدق لا تخم لحامهم إذا شبة النجم الصوار النوافرا
وأيسار لقمان بن عاد سامة وجوداً إذا ما الشول أمست جرائرا

وقال طرفة بن العبد^(٨٥):

فقداء لبني قيس على ما أصاب الناس من سر وضر
وهم أيسار لقمان إذا أغلت الشتوة أبدأ الجزر
لا يلحون على غارمهم وعلى الأيسار تيسير العسر

والى أيسار لقمان كانت إشارة النابغة الذبياني في مدح بني عسان، قال^(٨٦):

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس في اللاء والنعم
أحلام عاد وأجساد مطهرة من المعقة والآفات والإثم

وفي الشعر الجاهلي إشارات إلى قصص خرافية نسجها خيال القدماء عن قوم عاد، ولم يبق من هذه الحكايات إلا بقايا متناثرة، كحديثهم عن "كلب طسم" وكانوا يضربون به المثل في مكافأة المحسن بالإساءة، ويزعمون أن طسماً قوم من عاد، انقرضوا، وكان لهم كلب يحسنون إليه، ويبالغون في تكريمه حتى إنهم يسقونه

(٨٥) طرفة بن العبد، الديوان، ص ٧٢.

(٨٦) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٠١، وانظر أيضاً قول زهير بن مسعود:

كأنهم عاد حلوماً إذا طاش من الجهل القطاريب

ومعنى القطاريب هنا: السفهاء الجهال.

يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة. دار الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٩٤.

ومعنى اللاء في بيت النابغة: الشدة وسوء الحال، والمعقة: عقوق الرّحم.

الحليب أَيَّامَ الجَدْبِ بينما أولادهم مُسْعِجِينَ، (وقد يكون هذا التكريم من قبيل الطوطمية^(٨٧) عند الشُّعوب البدائية) ويزعمون أَنَّ هذا الكلب قد دَلَّ بنباحه العدو على مضارب طَسَم، فاستباحوهم وقتلوهم.

وقد أفاد طرفة بن العبد من هذه الأسطورة في تصوير إحسانه إلى ملوك المناذرة ومدحه لهم، وما جَرَّه هذا المدح وهذا الإحسان من شقاءٍ وبُؤس على فاعله، قال: (٨٨)

هَمْ عَرَانِي فِيتْ أَدَفَعَهُ دُونِ سُهَادٍ كَشُغَلَةِ الْقَبَسِ
كُنْتُ لَنَا وَالْدُّهُورِ آوَنَةِ تَقْنُلُ حَالِ النَّعِيمِ بِالْيُؤُسِ
كَكَلْبِ طَسَمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَغْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْعَلَسِ
إِنَّ شِرَارَ الْمُلُوكِ قَدْ عَلِمُوا طُرّاً وَأَدْنَاهُمْ مِنَ الدَّنَسِ
عَمُرُوْ وَقَابُوسُ وَابْنُ أُمِّهِمَا مَنْ يَأْتِيهِمُ لِلْخَنَاءِ فَمُحْتَبَسِ

ومن بقايا أساطير عاد أن رجلاً من العمالة اسمه "حِمَار" وقيل "عَيْر" كان له بنون وواد خصيب، فأصابته بنيه صاعقة فأحرقتهم، فَكَفَّرَ بالله، وقال: لا أعبد رباً أحرقت بني، وكان لا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلَّا دَعَاهُ إلى الكُفْرِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا قَتَلَهُ^(٨٩)، فضربوا بكُفْرِهِ المثل^(٩٠). فسَلَّطَ اللهُ على واديه ناراً - والوادي في لغة أهل اليمن

(٨٧) الطوطمية: كلمة أبجدية من لغة هنود أمريكا، دخلت اللغة الإنجليزية، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب تربطه بطوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه الذي يحترمه ويقدسه.

انظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، الهيئة المصرية العامة، مصر ١٩٧١.

(٨٨) طرفة بن العبد، الديوان ص ١٦٥.

(٨٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر).

(٩٠) في المثل: "أَكْفَر من حمار" الدرة الفاخرة ج ٢ ص ٣٦٧، مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٦٨.

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١٧٧، ولسان العرب، مادة (كفر) و(حمر).

يقال له جَوْف - فأحرقته فما بقي منه شيء، فضربوا به المثل في الإفقار وفي كل ما لا بقيّة له^(٩١)، وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله من معلقته: ^(٩٢)

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الدُّثْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ^(٩٣)

ورسم القدماء للقمان صوراً أسطورية في عمره الذي امتدّ مئات السنين، وزعموا أنه كان يَتَغَدَّى بِجُرُورٍ وَيَتَعَشَّى بِجُزُورٍ، وضربوا بأكليه المثل^(٩٤). وتخلّوه كبير الجنة، قويّ البنية، مُنْجَباً، كبير الرأس، وضربوا برأسه المثل^(٩٥). قال يزيد بن الصّعق الكلابي: ^(٩٦)

إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيٌّ بِزَادٍ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

ويروون أنّ أخت لقمان كانت مُحَمِّقَةً^(٩٧) وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لقمان: هذه ليلة طُهرِي، وهي ليلتك، فدعيني أنام في مضجعك، فإنّ لقمان

(٩١) في المثل: "أُخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ" الدرة الفاخرة ج ١ ص ١٨٠ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٢٥٧، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٣٥ والمستقصى ج ١ ص ١٠٩.

(٩٢) الأتباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠-٨١.

(٩٣) الخليع: المُقَامِر، المُعِيل: الكثير العيال.

(٩٤) في المثل: "أَكَلَ مِنْ لُقْمَانَ" الدرة الفاخرة ج ١ ص ٧٤ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٨٦، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٢٠١ والمستقصى ج ١ ص ٧.

(٩٥) ثمار القلوب ص ٢٥٧.

(٩٦) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٦٧ والبيان والتبيين ج ١ ص ١٩٠.

(٩٧) أي تُلِد الحمقى.

رجل مُنْجِب، فعسى أَنْ يَقَعَ عليَّ فَأُنْجِب. فوقع على أخته فحملت بلُقيْم، وفي ذلك يقول النَّمْر بن تَوَلَب: (٩٨)

لُقَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ أُخْتِيهِ وَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنَمَا
لِيَالِي حُمُقٍ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَعُورٌ بِهَا مُظْلَمَا
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمَا

ويروى أَنَّ لَقْمَانَ بْنِ عَاد قَتَلَ ابْنَتَهُ صُحْرًا لِأَنَّهُ كَانَ تَزَوَّجَ عِدَّةَ نِسَاءٍ كُلُّهُنَّ حُنَّةً فِي أَنْفُسِهِنَّ (٩٩).

وقد أفاد الشعراء من هذه الحكاية في تصوير براءتهم من ذنوبٍ لم يقتربوها، فكان جزاؤهم جزاء صُحْر ابنة لَقْمَانَ، قال خفاف بن ندبة: (١٠٠).

وَعِيَّاشُ يُدِبُّ لِي الْمَنَايَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ

وقال عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ: (١٠١)

أَتَجْمَعُ تَهْيَامًا بِلَيْلَى إِذَا نَأَتْ وَهَجَرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمْتُ صُحْرُ

(٩٨) النمر بن تولب، شعره، صنعة: نوري القيسي، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص ١٠٦-١٠٧.

(٩٩) يبدو أن قصة شهرزاد وشهريار قد استندت في مضمونها إلى هذه الحكاية.

(١٠٠) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢ وثمار القلوب ص ٢٤٥.

(١٠١) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢.

الخلاصة

(١) حاول هذا البحث تلمّس العلاقة بين الشعر الجاهلي والموروث الثقافي القديم في ضوء "قصة عاد" المذكورة في الذكر الحكيم والشعر الجاهلي. وأثبت أنّ الشعراء العرب قد اتخذوا من عاد- اعتماداً على موروثاتهم التاريخية والأسطورية- رموزاً محدّدة كالقِدَم، والأَصَالَة، والمُلْك، والهَلَاك، والزَّمَن، والحِكْمَة، والجِلْم، والجَزَاء.

وقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الرموز في قصائدهم واستقطبوا معلوماتهم الأسطورية وموروثاتهم الشعبية في الصورة الشعرية.

(٢) أثبتَ هذا البحث أنّ القصيدة الجاهلية تستوعب الحكايات الموروثة والأمثال والمأثورات الشعبية، وتعتمد "الإشارة و"الرّمز" أحياناً بدلاً من التصريح والخطاب المباشر. وتُصنّف فيها الثقافة والأساطير القديمة مع التجارب الشخصية والرؤى الشعرية.

(٣) تأثر الشعر العربي المعاصر بشعراء أوروبية الحديثة في استخدام التراث اليوناني والعالمي وما فيه من أساطير خرافية ورموز للحب والجمال والقهر والحكمة، والخير والشر ... مثل: فينوس، وأفروديت، وكيوبيد، وسيزيف...

وهذا البحث يُدلّل على أنّ العرب في الجاهلية قد استخدموا الرموز الأسطورية والتاريخية في قصائدهم قبل شعراء أوروبية، وأنّ ما يُظنّ جديداً في الشعر العربي الحديث، هو في واقعِهِ ليس كذلك.

المراجع

- الألوسي، محمود شكري - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري. دارالكتب العلمية، بيروت.
- أرسطو طاليس، ١٩٥٣ - فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأصمعي، عبدالملك بن قريب، ١٩٦٧م - الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ١٩٥٠م - الديوان، حققه: محمد محمد حسين. مكتبة الآداب، مصر.
- امرؤ القيس بن حجر، ١٩٦٤م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- الأنباري، محمد بن قاسم، ١٩٦٩ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، حققه: عبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.
- أوس بن حجر، ١٩٦٧ - الديوان. حققه: محمد يوسف نجم. دار صادر، بيروت.
- التيفاشي، ١٩٨٠م - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. حققه: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر ١٩٦٨م - البيان والتبيين، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي مصر، والحيوان، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي القاهرة. ١٩٨٧ - البرصان والعرجان، حققه. محمد مرسي الخولي. مؤسسة الرسالة، بيروت.

- جواد علي، ١٩٦٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت.
- خدّاش بن زهير العامري، ١٩٨٦م - شعره، صنعة: يحيى الجبوري. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- زهير بن أبي سلمى، ١٩٨٢م - شرح شعره، صنعة ثعلب، حققه: فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الزمخشري، ١٩٦٢م - المستقصى في أمثال العرب. حيدر آباد، الدكن، الهند.
- السجستاني، أبو حاتم - المعمرن والوصايا. مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- سحيم عبد بني الحساس، ١٩٦٨ - الديوان، حققه: عبدالعزيز الميمني. دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٩م - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، وطبعة المطبعة الحسينية بمصر.
- طرفة بن عبد البكري، ١٩٧٥م - الديوان، حققه: لطفي الصقال. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- الطرمّاح بن حكيم، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عزة حسن. طبعة دمشق.
- عبيد بن الأبرص، ١٩٥٧م - الديوان، حققه: حسين نصار. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- عدي بن زيد العبادي، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد. دار الجمهورية، بغداد.

- العسكري، ١٩٦٤م - جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة.
- عمرو بن قميئة، ١٩٦٥ م - الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ١٩٧٤م - شعره، حققه: مطاع الطرابيشي. دمشق.
- فريزر. سير جيمس، ١٩٧١م - الغصن الذهبي، ترجمة: أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- القالي، أبو علي، ١٩٧٠م - أفعل من كذا، حققه: محمد الفاضل بن عاشور. تونس.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ١٩٦٩م - المعارف، حققه: ثروت عكاشة. دار المعارف بمصر.
- لبيد بن ربيعة العامري، ١٩٦٢م - الديوان، حققه: إحسان عباس، مطبعة وزارة الإرشاد، الكويت.
- مجهول - قصة شداد بن عاد. مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد رقم ٩/٤٩٣٢ مجاميع.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، ١٩٦٨م - شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- المسعودي، علي بن الحسين - التنبيه والإشراف. مطبعة الصاوي. مصر.
- المفضل الضبي بن محمد بن يعلى، ١٩٧٩م - المفضليات، حققه: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون. دار المعارف بمصر.

- ابن منظور، محمد بن جلال الدين الخزرجي - لسان العرب. الدار المصرية للتأليف، القاهرة.
- الميداني، أحمد بن محمد، ١٩٥٥م - مجمع الأمثال، حققه: محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة السنة المحمدية، مصر.
- النابغة الذبياني، ١٩٧٧م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- النمر بن تولب، ١٩٦٨م - شعره، صنعة: نوري القيسي. مطبعة المعارف بمصر.
- ابن هشام، عبدالملك - السيرة النبوية، حققه: عبدالسلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٩٨٠م - الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوع. طبعة بغداد.
- ياقوت الحموي، ١٩٦٥م - معجم البلدان. دار صادر، بيروت.

ما وصل إلينا من شعر عباس بن فرناس

للدكتور صلاح جرار

نشرت في العدد الثامن والثلاثين من أعداد مجلة مجمع اللغة العربية الأردني دراسة عن عباس بن فرناس: سيرته وشعره، وقد اجتمع لديّ في أثناء إعداد هذه الدراسة جملة من قصائده ومقطوعاته الشعرية، ورأيت - استكمالاً للفائدة - أن أنقّب في المصادر التي عرضت لابن فرناس، بحثاً عما وصل إلينا من شعره، وسعيّاً إلى لملمة شعث ما تبعثر في هذه المصادر من البيت والبيتين والمقطوعة والقصيدة، لعلّ ذلك يساعد على توضيح خصائص هذا الشعر وسماته، ويثبت ما خلصت إليه من نتائج الدراسة السابقة عن هذا الشاعر الأندلسي.

وقد رتّبت ما وقع لي من شعر ابن فرناس حسب قوافي القصائد والمقطوعات. وأسأل الله أن ينفع الباحثين وينفعنا به.

قافية الباء

(١)

قال ابن فرناس في فلاة: [الكامل]

- (١) موسومةً بالبُعدِ تحسبُ سَهْلَهَا ألقى السماءَ بحولِهِ أطْنابَا
(٢) فكأنها دارٌ تقادَفُ^(١) صَحْنَهَا لم يجعل الباني لها أبوابَا

لتخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٧٧.

١. تقادَف: ترامى واتسع.

قافية التاء

(٢)

عمل عباس بن فرناس الآلة المسماة المنقانة لمعرفة الأوقات، فأحكمها
ورفعها إلى الأمير محمد^(٢) ونقش فيها هذه الأبيات: [الطويل]

- (١) ألا إنني للدين خير أداة إذا غاب عنكم وقت كل صلاة
(٢) ولم تَرِ شمسَ بالنهار ولم تُنر كواكب ليل حالِكِ الظلمات
(٣) بيمن أمير المسلمين محمد تجلّت عن الأوقات كل صلاة

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكي)، ص ٢٨٢-٣٨٣.

قافية الحاء

(٣)

ومن ذلك [المجتث]

- (١) بدّل لنفسِك روحا لعلّ أن تسـتـريحـا
(٢) ما زال قلبُك يهوى من لا يزال شـحـيحـا

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

قافية الدال

(٤)

جاء في المقتبس:

٢ . محمد بن عبدالرحمن بن الحكم، وقد أسلفنا التعريف به.

"وضر الزيد بها، ثم أمر بإحضار عباس بن فرناس، فذكر له ما أنكره من هذا القسم، وأمره بإبداله، فقال له على البديهة: [الطويل]

أباريقُ في حافاتها أَرْجُ الوردِ

فأعجب ذلك الأمير، ووصل عباساً، وغنّي به بعد كما غيره" (٣).

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٧.

قافية الراء

(٥)

وأُتشد ابن فرناس الأمير محمّداً من أبيات: [الطويل]

(١) رأيتُ أميرَ المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذُر المحبّة يُنْمِرُ

التخريج: المقري: نفح الطيب، ٣/٣٧٥.

(٦)

ومنها صوت^(٤): [الطويل]

(٣) علّق الدكتور محمود مكي على هذا النص بقوله: 'يبدو ممّا سيذكر بعد أن الأمير غني بشعر أبي الهندي غالب بن عبدالقدوس، وفيه قوله:

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزيد

فتأذى الأمير بكلمتي "وضر الزيد" في آخر البيت مما حمّله على استدعاء عباس بن فرناس واقترح عليه تغيير هذا القسم فغيّره الشاعر بما يرى.

٤ . من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمّد لتحلّنها جوارى الأمير وتغنيها، مقابل صلة يدفعها الأمير لابن فرناس (انظر: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

- (١) تحفّظ من الهجران إن كنت تُقدِرُ يموتُ الفتى في حبّه حين يُهجّرُ
 (٢) فأما إذا ما بان عنه حبيبُهُ فلا شكّ فيه ذلك اليوم يُقْبَرُ
 (٣) رأيتُ أمير المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذُرُ المجرة يُبَصَّرُ
 (٤) همامٌ كأن الشمس تلقى شعاعها على الخلق منه حين يبدو ويظهرُ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٦.

(٧)

ومن شعره في صفة روضة: [الطويل]

- (١) ترى وردّها والأقحوان كأنّه بها شفة لمياء ضاحكها تُغر

التخريج: الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨.

الضبي: بغية الملتبس، ص ٤٣١.

(٨)

وله شعرٌ أوله: [السريع]

- (١) الجهلُ ليلٌ ليس فيه نورُ والعلمُ فجْرٌ نورُهُ مشهورُ
 (٢) يا ابنَ الخلائف كم تسرّ قاعدُ عني ويُنْدىءُ سمعك المكسورُ
 (٣) وقد استبنت فسادَ ذاك وفي دُعا مولاك من إصلاحه تيسيرُ
 (٤) وأمور مُلكك كلّها موزونةُ قد حاطها الإحكام والتجبيرُ
 (٥) فأصيح لأصلٍ إن هزرت فروعهُ يسقطُ عليك اللؤلؤ المنثورُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٠.

(٩)

ولعبّاس بن فرناس قِرْنِ مؤمن ومناصبه في التهاجي في تهنة محمد أيضاً^(٥)
من شعر حسن له: [البسيط]

- (١) ما غابت الشمس حتى أشرق القمرُ
محمّد فارتضاه الله والبشرُ
(٢) يا ليلةً أسفرت قبل الصباح عن ال
مهديّ يفديك مني السمعُ والبصر
(٣) لتطبّقنّ على الدنيا خلافتَه
سماءَ جودٍ لها ماءُ الله مَطَرُ
(٤) ويهلك الشركُ في أقصى مداخله
حتى يغيب فلا يُدرى له أثر
(٥) بذاك تخبرنا غرّ النجوم كم
أوحى إليها بذاك الشمس والقمرُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ١٢٤.

قافية الرائ

(١٠)

في سنة ٢٤٤هـ هاجم الأمير محمد طليطلة، وحارب أهلها وهدم قنطرتها^(*)
"واشدّ سرور الأمير محمد بحربهم عليها، فقال شاعره عباس بن فرناس يغبطه بما
تهياً له في شعر مدحه به": [الكامل]

(١) يا ابن الخلائف يا محمد يا من سيفه في راحة النصر

(٥) عندما توفي الأمير عبدالرحمن الأوسط سنة ٢٣٨هـ خلفه على إمارة الأندلس ابنه الأمير محمد وقد أنشأ مؤمن بن سعيد قصيدتين يرثي فيهما الأمير المتوفى ويهنئ الأمير محمداً بتولي الأمر من بعده. (ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ١٢١-١٢٤)، وفي هذه المناسبة أشد عباس بن فرناس قصيدته هذه.

* ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٣٠٥-٣٠٦.

- (٢) ما إن تقوم لحر بأسك في الـ
 (٣) أضحت طليطلة معطّلة
 (٤) تُرَكَّتْ بلا أهلٍ تؤهلها
 (٥) ما كان يُبقي الله قنطرةً
 دُنْيا محصّنةً من الدهر
 من أهلها في قبضة الصقر
 مهجورة الأكناف كالقبر
 أضحت سبيلَ كتائب الكفر^(٦)

التخريخ: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ووردت
 الأبيات الثلاثة في المقرئ: نفح الطيب، ١/١٦٢.

(١١)

وقال في مدح الأمير محمد بن عبدالرحمن لدى اعتائنه بتفخيم المباني
 وإقامة قصر الخلافة في مدينة الرصافة^(٧): [الطويل]

- (١) الرصافة من والتبر
 (٢) والسحر
 (٣) وأعرافه الشّمّ التيلاح دونها نجومُ الثريا والسماكين والعُفَر^(٨)
 (٤) وإذْ بلغ النّضُرُ المكثُرُ فرَعَهَا وصوّبَ لم يبلغْ إلى الأرضِ في شَهْرٍ
 (٥) لها العُرفُ البيضُ التي يضحكُ الضحى وتلجفها من نُورها في سنا العُرِّ
 (٦) حنايا كأمثالِ الأهلّةِ رُكِّبَتْ على عَمَدٍ تُعَتَّدُ في جوهرِ البدرِ
 (٧) كأنّ من الياقوتِ قيسَت رؤوسُها على كلّ مسنونٍ مقيضٍ من السّدرِ

(٦) في النفح: نصبت لحمل كتائب الكفر.

(٧) ذكر ابن حيّان في المقتبس أن الأمير محمداً عندما أنشأ قصر الخلافة في منية الرصافة واعتنى بغراستها
 "استدعى أقوال شعرائه في وصفها وتهنئته بما حصل له منها". "قال في ذلك فحلهم الخنذير عباس بن فرناس
 ابن ورداس شاعره البديع الذي اتفقوا كلهم على أنه أحسن ما قيل في معناه" (ابن حيّان المقتبس (تحقيق: د.
 محمود مكي)، ص ٢٢٧-٢٢٨).

(٨) الغفر منزلٌ من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار وهي في الميزان (لسان العرب).

- ٨) كأن قُصور الأرض بعد تمامه
 ٩) وتنتشر الأبصار منها إلى مدى التتر
 ١٠) وأعجب من أفيائها الغرر التي
 ١١) ينم يأخى سرها غير كاتم
 ١٢) كأن الذي يخفي الحديث بنجوها
 ١٣) نؤوم الضحى ضافي العلى سجسج السنا
 ١٤) ويا حبذا أنبائها الخضر حولها
 ١٥) ترى الباسقات الناشرات فروعها
 ١٦) كأن صياغا^(١٠) صاغ فوق^(١١) غصونها
 ١٧) تبدلن حالات ثلاثاً لهن في
 ١٨) نشت لؤلؤاً ثم استحالت زمرداً
 ١٩) وقد يشتهى منها شراباً ألد من
 ٢٠) ومن أرجات في الغصون كأنها
 ٢١) ترى حمرة في بعض
 ٢٢) بواعث
 ٢٣) يغرّد فيها كل مختضب الشوى
 ٢٤) إلى كل سلتاء أضاعت خضابها
 ٢٥) إذا ما استهلّت في شجي غنائها
- نتوء الذرى أخفى شخوصاً من الدّر
 ه بالأطيّار والوحش والزهر
 يقيل بهنّ البرد في وغرة الحرّ
 صداها فأخفى السرّ فيها من الجهر
 على أخفض الأصوات يشدو على وثر
 تضيء بلا شمس عليها ولا بدر
 وأنهارها البيض التي تحتها تجري
 موائس فيها من مزولة الوفر^(٩)
 من الذهب الناري^(١٢) عراجين من تمر
 مصوغ الحلى شكل وفي الجوهر النضر
 يعود^(١٣) إلى العقيان بعد^(١٤) جنى البُسْرِ
 تضرع مشتاق إلى عاشق الكبر
 خدود عذارى في مقانعها الخضر
 محجلة

 موشى القرا^(١٥) قاني الطلى أخضر الصدر
 مدبجة الكشحين والبطن والظهر
 ينسبك ترجاع اليراع بلا زمر

(٩) في التشبيهات: مداولة الوفر.

(١٠) في التشبيهات: صناعاً.

(١١) في التشبيهات: بين.

(١٢) في التشبيهات: البادي.

(١٣) في التشبيهات: يؤول.

(١٤) في التشبيهات: قبل.

(١٥) القرا: وسط الظهر (لسان العرب: قرا).

٢٦) وما شئت من هفافةٍ قلميةٍ الغناءِ نايّةِ النّعْمِ والنّبْرِ

- ٢٧) وحابسةٍ في ذقنها درهمين ما يزولان فيما تشتريه وما تشري
٢٨) قد اشتهلت في يلمق^(١٦) وأعارها هناك غرابُ الماءِ حُقَيْهِ للأجر
٢٩) وكلُّ بديع فيه لم يُر مثله من الطيرِ والنينانِ والتّمْرِ والقُمري
٣٠) وراثّةِ آباءٍ تولّوا خلائِفَ بهاليلٍ أملاكٍ وخضارمةٍ زُهرِ
٣١) أبى الله إلّا أن يُنمَّ بناءه الر فيع الذي تمّت به غايَةُ الشكر
٣٢) سمّي النبي المصطفى وحميمه وخاتم مسطورِ النبوةِ في الذِكرِ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٨-٢٣٤. ما عدا
البيتين ٦، ٧؛ ووردت الأبيات ٦، ٧، ١٥، ١٦، ١٨، في الكتاني: التشبيهات،
ص ٧٠.

(١٢)

[إقال يخاطب الأمير محمداً من قصيدة] [الطويل]

- ١) ولا تتسينّ الدفترَ المحكمَ الذي هو الغايَةُ القصوى
٢) فيا أسفي أن نال مكنونَ علمه سواك من الأملاك في غير ذا العصرِ
٣) وزدني من الإدناء ما قد وعدتني فوعدك مضمون إلى حجّ عشر
٤) فليس محالاً أن أحلّ محلّةً أضيفَ لها قبلي المضافُ إلى شمرِ
٥) لقد كان من في رحمةِ الله همّ بي لهذا وما صار ابنُ شمرٍ إلى القبرِ

(16) اليلمق: القباء (لسان العرب: يلمق).

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨١-٢٨٢.

قافية السين

(١٣)

وفيه يقول مؤمن [البسيط]:

قعدتُ تحت سماءٍ لابنِ فرناسٍ فخلتُ أن رحيّ دارت على راسي

فلما بلغ ابنَ فرناس ذلك، قال: ليس كما قال ابنُ الزانية، كان ينبغي أن
يقول: [البسيط]:

قعدتُ من فوق عَرْدِ لابنِ فرناسٍ فخلتُ نائتاً شبراً على راسي

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

قافية الضاد

(١٤)

ومما له من المقاطيع قوله [المنسرح]:

(١) يا مَنْ لَعَيْنٍ خَلَّتْ من الغمضِ ومهجةٍ أشرفت على القبضِ

(٢) كلُّ هوىٍّ لا يميّتُ صاحبهُ فأصلُ ذاك الهوى من البغضِ

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

(١٥)

وقال معاوية بن هشام الشيبينسي^(١٧): كان عباس بن فرناس يصنع للأمير محمد قطعاً من رقيق الأشعار تنتظم بمدحه، وتصوغ قيانه فيها الألحان، فيغنيها بها، فيجزل عليها صلتها، منها أربعة أبيات كتبها بالذهب على تفاحة محجولة رفع بها إليه، وهي: [السريع]:

- (١) تَفَاحَةٌ مَصْفَرَّةُ الْبَعْضِ بِخَوْفِهَا مِنْ أَلَمِ الْعَضِّ
- (٢) أَمْنَتْهَا ذَاكَ وَكَتَبَتْهَا حُسْنًا بِذَا مِنْ ذَهَبٍ مُحَضِّ
- (٣) وَقُلْتُ فِيهَا الْحَقُّ مِنْ بَعْدِ ذَا - وَمَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْ نَقْصِ -
- (٤) مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ مَسْتَخْلَفٍ مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ

قال: فاستملح الأمير التفاحة، واستحسن الأبيات، فأمر أن يغني بها، وأمر لعباس بأربعمائة دينار بعددها صلةً. وقال: لو زادنا لزدناه.

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤-٢٨٥.

قافية العين

(١٦)

(١٧) هو أبو عبدالرحمن معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام بن عبدالرحمن الداخل المعروف بابن الشيبينسي، رحل إلى المشرق حاجاً سنة ٢٧٥، وكان أديباً عالماً وشاعراً مطبوعاً، وله تاريخ في دولة الأمويين ينقل عنه ابن حيان كثيراً. وتوفي سنة ٢٨٩ (ابن الأثير التكملة، ٢/٦٩٢).

ولما غنى ابن زرياب^(١٨) بقوله في مجلس محمود بن أبي جميل عامل شذونة أيام السلطان محمد بن عبدالرحمن:

(١) ولو لم يَشُقْنِي الضاعنون لشاقتني حَمَامٌ تَدَاعَتْ فِي الدِّيارِ وَفُوعُ
(٢) نَدَاعِيْنَ فَاسْتَبْكِيْنَ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَائِحَ مَا تَجْرِي لَهْنَ دَمُوعُ

ذيلها عباس بن فرناس يمدح محموداً بديهةً: [الطويل]:

(١) شَدَدْتُ بِمَحْمُودٍ يَدًا حِينَ خَانَهَا زَمَانٌ لِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ قَطُوعُ
(٢) بَنَى لِمَسَاعِي الْجُودِ وَالْمَجْدِ قُبَّةً^(١٩) إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأَجُودِينَ رُكُوعُ

التخريج: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، ١٣٣/٣.

قافية الفاء

(١٧)

قال يهنئ الأمير محمداً بعد إخماده ثورة طليطلة وانتصاره على النصارى في واقعة وادي سليط سنة ٢٤٠هـ^(٢٠): [الطويل]

(١٨) في نفح الطيب أن الذي غنى هو زرياب وليس ابنه.

(١٩) في نفح الطيب: قبلة.

(٢٠) ذكر ابن حيان أنه في سنة ٢٤٠هـ ثار أهل طليطلة على الأمير محمد واستجاشوا بالنصارى ضد المسلمين وأن الأمير قد تغلب عليهم واحتز رؤوس أحد عشر ألفاً منهم وقت صلاة الظهر وجمعت الرؤوس ووقف المؤذن على قمتها ينادي للصلاة، وقد هنأته الخطباء وامتنحته الشعراء، وكان من ذلك ما قاله عباس بن فرناس في قصيدته هذه (ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٩٥-٢٩٨). وقدم ابن عبد ربه في كتاب العقد (٢٢٠/٥) وابن عذاري في البيان المغرب (١١/٢) لهذه القصيدة بالقول: وكان الأمير محمد - رحمه الله - غزاةً لأهل الشرك والاختلاف، وربما أوغل في بلاد العدو الستة أشهر والأكثر يحرق وينسف، وله وقعة وادي سليط، وهي من أمهات الوقائع، ولم يعرف بالأندلس قبلها مثلاً، وفيها يقول عباس ابن فرناس وشعره يكفيننا من صفتها...

- (١) ومختلِف الأصواتِ مؤتلفِ الزحفِ
 (٢) إذا أومضتْ فيه الصوارمُ خلَّتْها
 (٣) كأنّ نرى الأعلامَ في سيلانهِ (٢٦)
 (٤) وإن طمحتْ أركائهُ كان قطبُهُ (٢٧)
 (٥) سميّ ختام الأنبياءِ محمد
 (٦) فمن أجله يومُ الثلاثاء غُدوةً
 (٧) بكى جبلا وادي سليلٍ فأعولا
 (٨) دعاهم صريحُ الحنينِ فاجتمعوا له
 (٩) يريّدون إرغاب الأُميرِ جهالةً
 (١٠) فما كان إلا أن رماهم ببعضِها
 (١١) كأن مساعيرِ الموالي عليهم
 (١٢) بنفسي تتانين (٣٥) الوغى حين صممتْ
 (١٣) يقول ابن بلّوش (٣٦) لموسى (٣٧) وقد دنا (٣٨)
- لهومِ الفلا عبلِ القنابلِ (٣٦) ملتفٌ
 بروقا تراءى في الجهام وتستخفي
 قراقيرُ (٣٣) يمّ قد عجزن عن القذفِ (٢٤)
 حجيّ ملكٍ نجِد (٢٦) شمائله عَفّ
 إذا وُصِفَ الأملاكُ جُلّ (٢٥) عن الوصفِ
 وقد نَقَضَ (٢٧) الإصباحُ جُلّ (٢٨) عرى السجفِ
 على النّقر العُبدانِ والعُصبة الغُلفِ
 كما اجتمع الجُعْلانُ للبعرِ القُفّ (٢٩)
 بسعرِ كلابِ الحزبِ في حشوة العَصْفِ (٣٠)
 فولّوا على أعقاب مهزولة (٣١) كُشِفَ
 زماميخُ (٣٢) حادث (٣٣) للغرانيقِ بالنّشفِ (٣٤)
 إلى الجبلِ المشحونِ صفّاً على صفّ
 أرى الموت قُدّامي وتحتى ومن خُلفي

(٢١) في العقد: القبائل.

(٢٢) في البيان المغرب: ميلانه.

(٢٣) في العقد: فراقده.

(٢٤) في البيان المغرب: قراقير في يمّ عجزن عن القذف.

(٢٥) في البيان المغرب: وإن طحنت ارجاؤها كان قطبها. وفي العقد: وإن طحنت أركانه كان قطبها.

(٢٦) في البيان المغرب: ندب.

(٢٧) في البيان المغرب: نفض.

(٢٨) في العقد: عَفْد. وفي البيان المغرب: حَبْل.

(٢٩) في العقد والبيان المغرب: للبعر في وقف.

(٣٠) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.

(٣١) في العقد: مهزومة.

(٣٢) في العقد والبيان المغرب: شواهين.

(٢٦) في العقد والبيان المغرب: جادت.

(٢٧) في العقد: بالسيف. وفي البيان المغرب: بالنسف.

(٢٨) في العقد: تتانير.

(٢٩) في العقد: ابن بليوس، وفي البيان المغرب: ابن يوليش.

(٣٠) لعله موسى بن ذي النون (انظر/ ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٣٤١.

(٣١) في البيان المغرب: ونى.

(١٤) قَتَانَاهُمْ أَلْفاً وَأَلْفاً وَمِثْلَهَا وَأَلْفاً وَأَلْفاً بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ
 (١٥) سَوَى مَا^(٣٩) طَوَاهِ النَّهْرِ فِي مُسَلَّحِيهِ^(٤٠) فَأَغْرَقَ فِيهِ أَوْ تَدَهَّدَ^(٤١) مِنْ جُرْفٍ
 (١٦) لَقَدْ نَعَمْتُ فِيهِ غَزَاةً نُسُورَنَا وَسَمِعَتِ الذُّبَابُ قَصْفاً عَلَى قَصْفٍ^(٤٢)
 (١٧) وَجَارَتْ ثَنَائِيَا قِيهِ أَغِيرَ مَا يَدٍ^(٤٣) غَدَاةً قَفْلُنَا مِنْ نُسُورِهِمُ الْعُجْفِ^(٤٤)

التخريج: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٢٠/٥-٢٢١ ما عدا الأبيات ٩، ١٦، ١٧،
 ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٩٨-٣٠١؛ ابن عذاري: البيان
 المغرب، ١١٢-١١١/٢ ما عدا الأبيات ٩، ١٦، ١٧.

قافية القاف

(١٨)

أورد كثير من الدارسين ومحققي المصادر التي اعتمدناها في هذا البحث، أن
 هنالك ترجمة لعباس بن فرناس في كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي
 منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م). وبعد الرجوع إلى مختلف طبعات هذا الكتاب لم
 أعرِث إلا على ثلاثة أبيات ينسبها الثعالبي لشاعر سماه "عباس بن قمراس".

وقد يبدو الأمر في البداية تصحيفاً لاسم عباس بن فرناس لا سيما أن الأبيات
 الثلاثة واسم قائلها وردت في القسم المخصص لشعراء الأندلس من كتاب اليتيمة، وأن
 الأبيات تحمل بعض السمات الفنية لشعر ابن فرناس مثل استخدام الألفاظ

(٣٦) علق الدكتور محمود مكي محقق المقتبس على هذا الشطر بقوله: كذا ورد هذا الشطر في الأصل، وقد
 يكون: وحازت ثنائيا على غير ما يد.

(٣٢) في البيان المغرب: سوى من.

(٣٣) في العقد: مستلجّه.

(٣٤) في العقد: تدأداً. وفي البيان المغرب تدأداً.

(٣٥) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.

(٣٧) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.

والمصطلحات الفلكية في مجال الغزل، ومع أن احتمال كون الأبيات الثلاثة من شعر ابن فرناس ليس بعيداً، إلا أن هناك ما ينفي هذا الاحتمال، وهو تصدير الثعالبي لهذه الأبيات بقوله: "أنشدني له"، وإذا كان من غير الممكن أن ينشد عباس بن فرناس المتوفى سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م شعراً للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، بحكم التباعد الزمني بينهما، فإن الجزم بنسبة الأبيات إلى ابن فرناس غير جائز. وفيما يلي نص ما ورد في كتاب اليتيمة^(٤٥):

عبّاس بن قمراس

أنشدني له [من الطويل]:

- (١) وَأَحْوَرَ مَا يُعْفِي الْعَيُونَ مِنَ الْعِشْقِ لَهُ كَذِبٌ فِي الْجَدِّ أَحْلَى مِنَ الصَّدْقِ
(٢) وَلِلْحُسْنِ فِي خَدَيْهِ شَمْسٌ مَقِيمَةٌ وَبَدْرٌ كَمَالٍ لَا يَحْوُرُ إِلَى مَحْقِ
(٣) وَمَا الْعِيشُ إِلَّا مَيْتَةٌ الْهَجَرِ وَالنَّوَى بِأَحْوَرَ مَا يَبْقَى هَوَاهُ وَلَا يَبْقَى

(١٩)

وقال عبّاس بن فرناس في كوز: [الكامل]

- (١) وَمَعَمِّمْ لَمْ يَبْقَ فِي جُثْمَانِهِ إِلَّا حُشَاشَةٌ مَهْجَةٌ لَمْ تُزْهَقِ
(٢) حَنِيتٌ عَلَى كَشْحِيهِ مِنْ بُرْحَائِهِ عَضُدَانِ فَهُوَ كَمَوْثِقٍ لَمْ يُطْلَقِ
(٣) حَلَّتْ عِمَامَةٌ رَأْسَهُ فَتَضَوَّعَتْ مِنْهُ مَفَارِقُهُ بِمَثَلِ الزَّنبَقِ

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ٩٨.

(٤٥) (الثعالبي: يتيمة الدهر، ١٨/٢.

(٢٠)

وقال عباس بن فرناس في السراب: [الكامل]:

- (١) يَفْقُنَ لَجَّةَ آلِهَ فَأَمَامَهَا حَادٍ وَآخِرُ خَلْفَهَا لَمْ يُلْحَقِ
(٢) فَكَأَنَّ ذَا مُوسَى وَذَاكَ بِإِثْرِهِ فَرَعُونَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَغْرَقِ

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٧٧.

قافية اللام

(٢١)

ونشأ بينه وبين مؤمن بن سعيد مهاجاة، فأفحش الاثنان، ومن قول ابن فرناس
فيه: [الطويل]:

- (١) ترى أثر الأعراد في جُحْرِ مؤمنٍ كآثار قضبٍ في رمادٍ مغربلٍ

التخريج: ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

(٢٢)

وقال عباس بن فرناس في انبلاج الصبح: [الطويل]

- (١) فبتتاً وأنواعُ النعيمِ ابتذالنا ولا غيرَ عينيها وعيني كالي
(٢) إلى أن بدا وجه الصباح كأنه جبينُ فتاةٍ لاح بين جبال

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ٢٧.

قافية الميم

(٢٣)

في سنة ٢٦١هـ قام عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بثورة في قرطبة سعيًا للإمارة، فاستولى على حصن الحنش، وكان الأمير محمد يضربهم بالمنجنيقات، مما اضطر عبدالرحمن إلى طلب الأمان ورحل إلى بطليوس^(٤٦) وأنشد الرازي(*) لعباس بن فرناس الشاعر في ذكر الحرب بقلعة الحنش ومصابرتها رجام المجانيق من شعر له في الأمير"^(٤٧).

[البسيط]:

- (١) يا ابن الخلائف من مروان أنجَبَكَ بيضُ الجهاضم والغُرُّ اللهاميمُ
- (٢) سَخَرْتَ للحَنَشِ المرجومِ ذا جَشَشٍ كُلُّ البريةِ مهزوم
- (٣) كأن أنفاسَهُ من سُمِّهِ لَهَبٌ فكلُّ ما مَسَّ ملدوغٌ ومغشومُ
- (٤) ما قلعةُ الحَنَشِ المرجومُ لجحفلٍ حرجتُ عنه الدياميمُ
- (٥) كاليمٍ تسمعُ في حافاته قصفاً من كلِّ أوبٍ له كالرعد هينومُ
- (٦) كأنما بين لُجِيهِ وقد دَرَجَت سفينه عَطَبَت في جوفها رومُ
- (٧) لله من ذلت الدنيا لصولته ومن له الدهرُ أعلى الفتحِ مقسومُ

(٤٦) ابن حيان: المتقبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٤٣-٣٥٦.

(*) سلفت الترجمة له.

(47) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٢٤)

"وغلّى أبو الحسن زريابُ يوماً بين يديّ الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل بهذين البيتين، هما لأبي العتاهية: [الكامل]
قالت ظلومٌ سَمِيَّةُ الظُّلَمِ مَالِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجَسَمِ
يَا مَنْ رَأَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْخَيْرُ بِمَوْقِعِ السَّهْمِ

فقال عبدالرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يصلهما لكان أبداع، فصنع عبيد الله بن فرناس^(٤٨) بديهاً: [الكامل].

(١) فَأَجْبَتْهُمَا وَالْدَمْعُ مُنْحَدِرٌ مِثْلَ الْجُمَانِ وَهِيَ مِنَ النَّظْمِ

فاستحسنه وأمر له بجائزة".

التخريج: المقرئ: نفح الطيب، ٦١٥/٣.

(٢٥)

قال عباس بن فرناس في الطرد: [الرجز]:

(١) قَدْ أَغْتَدِي وَاللَّيْلُ مَرْكُومُ الظُّلَمِ وَالصُّبْحُ فِي ثِيَابِ الظُّلَامِ مُكْتَنَمٌ
(٢) بِأَغْضَفِ مُعَلِّمٍ أَوْ قَدْ عَلِمَ كَأَنَّ شَقَّ الشَّدَقِ مِنْ فِيهِ الْقَضِمُ
(٣) كَافٌ أَجِيدَ مَطْهًا فِي حُسْنِ ضَمٍّ حَتَّى إِذَا كُنَّا عَلَى ظَهْرِ إِضْمٍ^(٤٩)
(٤) عَنَّتْ لَنَا أَرْنَبٌ مِنْ نَحْوِ سَلَمٍ^(٥٠) فَتَارَ مِنْهَا الْكَلْبُ كَالصَّفَرِ الشَّهْمِ

(48) هكذا ورد الاسم في نفح الطيب للمقرئ، وجميع المعطيات في هذه الرواية تنطبق على عباس بن فرناس، ولا أستبعد وقوع تصحيف في الاسم.

(49) إضْم اسم موضع، وهو وادٍ دون المدينة (الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥ وفي لسان العرب أنه جبل).

(50) السلم: شجر ومفردها سلمة (لسان العرب: سلم).

٥) حتى إذا ما كان منها في الأمم بينهما في الفوت مقدار القَدَم
٦) جادت له بعطفة لم تُثَنَّهُم كما انتفى في رَجْعِهِ مشقُّ القَلَم

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٢-١٨٣.

قافية النون

(٢٦)

ولعباس بن فرناس في ذلك^(٥١) أيضاً من كلمة: [البسيط]:

- ١) محمدٌ خيرٌ مُسْتَرْعَى ومُؤْتَمَنٌ للمسلمين جميعاً حيثُما كانوا
- ٢) بنى لهم مسجداً جَلَّتْ عجائبُهُ لولا السماء لما ضاهاه بُنيَانُ
- ٣) كذا يكون الإمامُ المرتضى أبداً أقوى صباباته تقوى وإيمانُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢٧)

ومنها صوت^(٥٢) [المنسرح]:

- ١) يا مَنْ لَصَبٌ يَظْلُ محزوناً بشادنٍ ما يزالُ مكنوناً
- ٢) صِبْغَتُهُ فما ينفك من يسطفيه مفتوناً
- ٣) هواه السماء محزوناً

(51) مناسبة هذه المقطوعة هي الزيادة التي زادها الأمير محمد بن عبدالرحمن في المسجد الجامع في قرطبة

وزخرفة ذلك الجامع وصلاته فيه ومثول الشعراء بعد خروجه إلى قصره ومنهم عباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وغيرهما (انظر خبر هذه الزيادة في المقتبس لابن حيان (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢١٩-٢٢٣.

(52) من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمد لكي تلحنها جوارى الأمير وتغنيها له مقابل

صلة يدفعها الأمير لابن فرناس (ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤-٢٨٥.

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٦.

(٢٨)

في سنة ٢٥٩ هـ حقق الأمير محمد مجموعة انتصارات في طليطلة وطلبيرة وبنبلونة^(٥٣) ولعبّاس بن فرناس كبير الجماعة في تهنة الأمير محمد لقفوله عن غزوته هذه وذكر اقترانه بحضور عيد الفطر من سنته قصيدة حسنة أولها^(٥٤) " [البسيط]:

- (١) إِنَّ الْقِفُولَ الَّذِي أَوْفَى بِعِيدَيْنِ مَكْرُمَيْنِ عَلَى الدُّنْيَا عَزِيزَيْنِ
- (٢) قَدُومُ أَكْرَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً قَدُومُ فَطْرٍ، فَكَانَا خَيْرَ عِيدَيْنِ
- (٣) طَابَا كَتَفَا حَتَّى خَدَّيْ مَنْعَمَةٍ تَوَرَّدَا فِي بِيَاضٍ بَيْنَ صُدْغَيْنِ
- (٤) مُعَفَّرَيْنِ كَنُوءِي كَاتِبٍ نَقْطَا فِقَابِلَا مِنْ مِدَادِ الْمَسْكِ رَاعَيْنِ
- (٥) أَوْ مَقَاتِي رَشَا فِي طَرْفِهِ حَوْرٌ مَكْحُولَتَيْنِ بِسَحْرِ الْبَابِلِيِّينِ^(٥٥)
- (٦) أَوْ كَاجْتِمَاعِ الْهُوَى وَالْوَصْلِ فِي قَرْنٍ لِعَاشِقٍ حَارٍ بَيْنَ الْهَجَرِ وَالْبَيْنِ
- (٧) دَلَّ اجْتِمَاعُهُمَا فِي الْأَرْبَعَاءِ عَلَى هَلَاكِ سَبْطَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ
- (٨) مِنْ الْعَبَاشِمَةِ الْغَرِّ الْأَلَى كَرَهُوَا فِيمَا شَرَى اللَّهُ بَيْعَ النِّقْدِ بِالذَّيْنِ

التخريج: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٢٩)

(٥٣) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٢٩-٣٣٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٥٥) البابليان هما السحر والخمر وينسبان إلى بابل.

[وقال (٥٦): [الكامل]

- (١) قد تمّ ما حملتني من آلةٍ أعيّا الفلاسفةَ الجهابذَ دوني
- (٢) لو كان بطليموسُ ألهمَ صنعةً لم ليثقل (٥٧) بجداول القانونِ
- (٣) فإذا رآته الشمسُ في آفاقها بعثتُ إليه بنورها الموزونِ
- (٤) ومنازل القمر التي حجبت معاً دون العيون بكلّ طالع حين
- (٥) يبدون فيها كالنهار كما بدت بالليل في ظلماتهنّ الجون

التخريج: عنان: تراجم إسلامية، ص ٢٦٧.

قافية الهاء

(٣٠)

ومن ذلك [الخفيف]:

- (١) إن تلك التي أحنُّ إليها وعذابي وراحتي في يديها
- (٢) نَظَرَ النَّاسُ فِي الْهَلَالِ لَفْطَرٍ فَتَبَدَّتْ فَأَفْطَرُوا إِذْ رَأَوْهَا
- (٣) ذاك في سبعةٍ وعشرين يوماً فذنوبُ العبادِ طُوراً عليها
- (٤) ولحيني بانَّت ولم تشفِ قلباً مُسْتَهاماً يطير شوقاً إليها

التخريج: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(56) ذكر محمد عبدالله عنان أنه قرأ هذه الأبيات في نسخة مخطوطة من كتاب المقتبس لابن حيّان، وذكر أن ابن فرناس بعث بهذه الأبيات برفقة الآلة المسماة ذات الحلق التي رفعها إلى الأمير عبدالرحمن بن الحكم. (٥٧) كذا في كتاب تراجم إسلامية، وتقديرها: يتقل.

ثبت المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلسي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م):
التكملة لكتاب الصلة ٢ج، عني بنشره وصحّحه ووقف على طبعه السيّد عزّت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
٢. ابن الأثير:
الحلة السيرة ٢ج، حقّقه وعلّق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
٣. ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م):
نزهة الألباء في طبقات الأدياء، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٤. الأوسي، الدكتور حكمة علي:
مظهران من مظاهر الأصالة المبكرة في الفكر العربي، بحث قدّمه في مؤتمر الحضارة الأندلسية الذي عقد في القاهرة في شهر آذار ١٩٨٥م.
٥. ابن بسّام، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤ أقسام في ٨ مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٦. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م): كتاب الصلة ٢ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٧. الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٥ج، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٨. الجزّاري، عبدالله بن العباس.

تقدّم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيّتهم لأوروبا، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٩- حميد، الدكتور بدير متولّي:

قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

١٠- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١١- الحميري، محمد بن عبدالمنعم:

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حقّقه الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

١٢- ابن حيّان، أبو مروان حيّان بن خلف بن حيّان (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م):

- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشور م. أنطونية، باريس، ١٩٣٧م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حقّقه وقَدّم له الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٣- ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ج، حقّقه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٤- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م):

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

١٥- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٨م):

المغرب في حُلّى المغرب ٢ج، حقّقه وعَلّق عليه الدكتور شوقي ضيف، طبعة ثانية منقّحة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

١٦- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤ م.

١٧- شلبي، الدكتور سعد إسماعيل:

الأصول الفنيّة للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٢ م.

١٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

كتاب الوافي بالوفيات:

- الجزء الثالث عشر، باعتناء محمّد الحجيرى، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م.

- الجزء السادس عشر، باعتناء وداد القاضي، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.

- الجزء الثامن عشر، باعتناء أيمن فؤاد سيّد، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن - شتوتغارت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م.

١٩- الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م):

بغية المتمسّس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧

٢٠- عبّاس، الدكتور إحسان:

تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، طبعة ثانية منقحة مزيّدة، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٦٩ م.

٢١- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م):

العقد الفريد ٨ ج، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠ م.

٢٢- ابن عذاري المراكشي:

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤ ج، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.

٢٣- عنان، محمد عبدالله:

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٢٤- ابن الفرسي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م).

تاريخ علماء الأندلس ٢ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٢٥- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م):

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، حققه محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٦- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٦م):

إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٧- الكتاني، أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (٤٢٠هـ/١٠٢٩م):

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٦م.

٢٨- الكتبي، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

فوات الوفيات والذيل عليها ٥ج، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٩- لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م):

تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

٣٠- المقرئ، الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م):

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨ج، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٣١- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

معجم البلدان ٥ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الوجدان الجماعي

في الشعر الجاهلي

للدكتور عبدالغني زيتوني

مدرس الأدب القديم بجامعة حلب

إنّ مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي، بعلاقاته ونظمه وعاداته وأعرافه، هو المجتمع الذي يولد فيه العربي، ثم ينشأ متشرباً بنظمه وعاداته وأعرافه التي تبني على دعامة أساسية هي النسب، وحينما يفتح الفرد عينيه على ما حوله يجد أنّ كل امرئ في قبيلته يتغنّى بانتمائه، ويعتدّ بأرومته، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاءً إلى رهطه وعشيرته، فجنسيته جنسية القبيلة المنحدر منها، و"هويته" التي يحملها دائماً، في حله وترحاله، اسم قبيلته، ذلك الاسم الذي يميزه بين أفراد القبائل الأخرى، والذي يعصمه أن يتيه بينهم.

فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الشعر الجاهلي يبرز الإنسان العربي متعصباً لقبيلته أشد التعصب، ملتحمًا بها ألصق الالتحام، لأنه يعي ويدرك أن وجوده، مرتبط بوجودها، وفناءه مقرون بفنائها. ولا أدعى لهذه العصبية، وهذا الالتحام من شعوره بوحدة النسب، أي وحدة الدم التي تربطه بأفراد القبيلة جميعاً، والتي تجعله يحس أنه عضو في جسم القبيلة، يصيبه ما يصيب القبيلة، فيفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، ويظعن لظعنها، وينزل لنزولها، وإذا أُغِير عليها هبّ لنجدتها، ذائداً عن حياضها، وشعاره صيحات قوية تعلن انتسابه إليها، وإذا اعتدى على فرد منها

انطلق إلى الثأر من القبيلة المعتدية. وفضلاً عن ذلك كله فإنه ينقاد لسيدها، ويخضع لما تمليه عليه نظمها وأعرافها.

فالنزعة العصبية تعني تمسك العربي بنسب قبيلته تمسكاً شديداً، وخضوعه التام لشريعة القبيلة. وهذه العصبية هي التي تهب الأفراد القوة والتأزر في مواجهة الأعداء. وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الأمر في قوله: "ولا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبيةً وأهل نسبٍ واحدٍ، لأنهم بذلك تشتدّ شوكتهم، ويخشى جانبهم، إذ نُعِرَ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصَبِيَّتِهِ أَهَمٌّ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنُّعْرَةَ عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَقُرْبَاهُمْ موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم"^(١).

١ - الالتزام القبلي:

لا غرو، بعد أن عرفنا مدى عصبية الفرد، أن يقف الإنسان العربي موقف الملتزم بقضايا القبيلة وحقوقها وواجباتها، لا يكاد يخرج عن هذا الالتزام. ولما كان الشاعر فرداً من أفراد القبيلة فقد اتخذ الموقف نفسه، بل إنه تحمل أعباء أكثر، لما له من أهمية في الحياة الجاهلية، لذلك حمل لواء الشعر مدافعاً عن قبيلته أشد الدفاع، ومفتخراً بمآثرها وأمجادها أعظم الافتخار. وإذا كانت المهمة التي يقوم بها الشاعر، في أي مجتمع كان، هي الكشف عن العقلية المنتشرة في ذلك المجتمع، إذ يشعر بها ويعبر عنها^(٢)، فإن هذه المهمة تنطبق تماماً على ما قام به الشاعر الجاهلي، فقد جعل من شعره مرآة صادقة تعكس قضايا القبيلة في حالتي الحرب والسلم، فضلاً عن وقوفه مع قبيلته، مدفوعاً بنزعة العصبية تجاهها، فإذا هو يرى أن نسبها أشرف الأنساب، وأن شجاعتها ما بعدها شجاعة، وأن فضائلها وخلالها الحميدة تربو على ما عداها من فضائل القبائل الأخرى وخلالها.

وتلك الرؤية ليست قصراً على الشاعر وإنما يشترك فيها معظم أفراد القبيلة، وما الشاعر إلا لسان حال القبيلة، يعبر في شعره عن انفعالات أفرادها وأحاسيسهم وطموحاتهم، فينقلها إلى الآخرين، فشعره لا يعكس شعوراً ذاتياً فقط، وإنما يعكس شعور جماعته أيضاً.

وهكذا نجد في كثير من الشعر الجاهلي ذلك التعبير عن طغيان الروح الجماعية على الإنسان العربي، وقد جُلِّيت هذه الروح في نزعته العصبية التي جعلته لا يكاد يخرج عن مجتمع القبيلة والالتزام به؛ ذلك أن الفرد في القبيلة عليه أن يتبعها في أمورها كلها سواء أكانت مصيبة أم مخطئة، فما تقرر هو القرار النافذ الذي لا ينبغي لأحد أن يخرج عليه، على الرغم من ظهور فساد أحياناً، وقد عبّر عن مثل ذلك الموقف ثريد بن الصَّمّة حين قال⁽³⁾:

أمرتهمُ أمري بمُنْعَرَجِ اللَّوَى فلم يستبينوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فلما عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدِي
وما أنا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرَشُدِ

إنّ فئمة مصير واحد لجميع أفراد القبيلة، والالتزام بها يحتّم على الفرد العربي أن يكون مع قومه في السراء والضراء، وقد تحول تمسك الفرد بمصير القبيلة إلى أسطورة يتناقلها العرب جيلاً بعد جيل عن وفد عاد، حين خُيروا من السماء، وكانوا ثلاثة، فاختر اثنان منهم ما يحقق آمالهما، أما الثالث، وهو قَيْل بن عَتْر، فقال: "أختار أن يُصيّبني ما أصاب قومي، فقيل: إنه الهلاك. قال: لا أبالي؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم"، فأصابه ما أصاب عاداً من العذاب فهلك⁽⁴⁾.

إنّ من أهم مظاهر نزوع الفرد نحو قبيلته، كما يبدو من الشعر، حرصه الشديد على النسب والاعتزاز به، ولم لا؟ وهو أقوى صلة تربطه بقومه، وتشد أواصر العصبية معهم. فلا غرابة بعد ذلك أن يطمح إلى أن يجعل نسبه في الذروة

من الشرف والرفعة، وأن يجعل الأجداد والآباء الذين ينتمون إليه في مقام السادة العظماء. ونجد صدى ذلك في قول معاوية بن مالك^(٥):

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُسْبَةِ مَشْهُورَةٍ حُشِدَ لَهُمْ مَجْدٌ أَشْمُ تَلِيدُ
أَلْفُوا أَبَاهُمْ سَيِّدًا وَأَعَانَهُمْ كَرَمٌ وَأَعْمَامٌ لَهُمْ وَجُدُودُ
إِذْ كُلُّ حَيٍّ نَابَتْ بِأَرْوَمَةٍ نَبَتْ الْعَضَاهُ فَمَا جِدُّ وَكَسِيدُ
وَإِذَا نَوَافِقُ جُرْأَةً أَوْ نَجْدَةً كُنَّا، سُمِّيَ، بِهَا الْعَدُوُّ نَكِيدُ

فالشاعر يؤكد انتماءه إلى قومه الذين يشكلون عصبه قوية ملتحمة الأطراف، تشمخ متطاوله بأمجادها نحو السماء، قد رعاها الآباء والأعمام والأجداد حتى جعلوها كشجرة وارفة الظلال تتضح عبيراً فواحاً من المجد والسيادة، وتقف صامدة راسخة أمام زعزعة الرياح، لما لها من قوة الأغصان وصلابة الفروع. وعلى هذه الشاكلة ينزع سلامة بن جندل السعدي إلى الفخر بانتسابه إلى قومه الذين يجمعون إلى شرف المحند شجاعة في القتال، ورأياً صائباً في حل قضايا القبيلة، وإحلال الوفاق والوثام بين أفرادها^(٦):

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُسْبَةِ سَعْدِيَّةٍ ذَرَى الْأَسَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ تَلَاقِي
لَا يَنْظُرُونَ إِذَا الْكُتَيْبَةُ أَجَحَمَتْ نَظَرَ الْجَمَالِ كُرِينَ بِالْأَوْسَاقِ
يَكْفُونَ غَائِبَهُمْ وَيُقْضَى أَمْرُهُمْ فِي غَيْرِ نَقْضٍ مِنْهُمْ وَشِقَاقِ
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ مَنْ يَبْلُ نَحْوَهَا بَدَمٍ كَمَاءِ الْعَنْدَمِ الْمُهَرَّاقِ

وشبيه بذلك أيضاً فخر الأعشى بعصبيته القيسية، وبشبابها الذين يفوقون الآخرين شجاعة وجمالاً، فضلاً عن اتصافهم بالأنفة والعزة والكرم^(٧).

إن اعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلو في بعض الأحيان، فلا يرى نسباً يضاهي نسب قبيلته نبلاً وشرفاً، ولا يرضى أن يتناول أحد من القبائل الأخرى،

فيظن نفسه أعلى نسباً وأشرف أرومة، وما الرواية الآتية إلا صورة واضحة لذلك الغلو.

فقد ورد أن بدر بن معشر من بني مُدْرِكة وقف في الجاهلية، بسوق عُكاظ، يفخر بنسبه، ويقول:

نحن بنو مُدْرِكة بن خندف من يطعنوا في عينيه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يُعْطِف كأنه لُجّة بحرٍ مُسِف

ثم مدّ رجله، وقال: "أنا أعزُّ العرب، فمن زعم أنه أعزُّ مني فليضربها". فلم يطق الأحمر بن مازن الهوازني عنجهيته ورفع نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستل سيف، وضرب رجله، فأندرها من الركبة، غير مبال بحرمة الشهر الحرام وقد كاد الشر يستفحل بين قبيلتي الرجلين، لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم.

وقد سجل الأحمر تلك الحادثة في شعره، فقال^(٨):

إنّي وسيفي حليفاً كلّ داهية من الدّواهي التي بالعمد أجنيها
إنّي نقيمت عليه الفخر حين دعا جَهراً وأبرز عن رجلٍ يُعريها
ضربتها أنفاً إذ مدّها بطراً وقلتُ دونكما، خُذها بما فيها
لَمَّا رأى رجله بانّت بركبتها أوَمى إلى رجله الأخرى يُقديها

وتلك، لا شك، صورة للغلو الشديد في التعصب القبلي، ولم تكن هي الصورة السائدة في العصر الجاهلي؛ إذ لكل قبيلة مكانتها في مدارج النسب والشرف، تعرفها لها القبائل الأخرى وتضعها موضعها فيها. أمّا إذا حدث، أحياناً، إفراط من فرد ينتمي إلى قبيلة ما، فإن إفراطاً آخر يقابله من الطرف الآخر على الأغلب، وتكون عاقبته شبيهة بماحدث لساق بدر بن معشر بسوق عُكاظ.

لقد نهل الإنسان العربي من حب قبيلته حتى غدا لا يلهج إلا بذكرها، وفي كثير من الأحيان لم يكن يرى في قبيلته إلا نموذجاً مثالياً للكمال والرفعة والسؤدد؛ فإن هو ينحت لها تمثالاً بديعاً يجمع فيه أفضل الصفات الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة. وليس أدل على ذلك الحب من معلقة عمرو بن كلثوم التي لم يدع فيها فضيلة من الفضائل إلا جعلها لصيقة بقومه بني تغلب، ولا صفة من صفات البطولة إلا أسبغها عليهم. ولم يكتف بذلك فقد تضخمت في نفسه تلك الفضائل والصفات حتى فاضت في قوله^(٩):

لنا الدنيا وَمَنْ أَضْحَى عليها ونَبِطِشُ حِينَ نَبِطِشُ قَادِرِينَا
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلُوهُ سَفِينَا

إنَّ نفس الشاعر قد امتلأت بعظمة القبيلة حتى ذابت فيها ذوباناً تاماً، فلم تعد تعبر إلا بلسانها، وغابت "أنا" الشاعر لتحل محلها "نحن" القبيلة، وظهر ذلك واضحاً في استخدام ضمائر الجمع في الأفعال والأسماء، ولم يقتصر استخدامهما على الأبيات السابقة، وإنما شمل أكثر أبيات المعلقة. فلم يعد مستغرباً، بعد أن استحوذت القبيلة على كيان الشاعر، أن نراه يجعلها مالكة الدنيا، ومسيطرة على مَنْ فيها من القبائل.

وقد نهج الشاعر عامر المُحَارِبِي نهجاً مثلاً تجاه قبيلته؛ إذ جعله التزامه نحوها ينطلق إلى رفعها إلى مكانة عالية من الشجاعة في القتال، وإلى الدَّروَّة الشامخة من السيادة والمهابة^(١٠):

أولئك قومي إِنْ يُلْدُ ببيوتهم أخو حَدَثَ يوماً فلن يَنْهَضَ مَا
وكَمْ فِيهِمْ مَنْ سَيِّدٍ ذِي مَهَابَةٍ يُهَابُ إِذَا مَا رَأَى الْحَرْبَ أَضْرَمَا
لَنَا الْعِرْزُ الْقَعْسَاءُ نَخْطِمْ الْعِدَى بها ثم نَسْتَعِصِي بِهَا أَنْ نُخْطَمَا

هُمُ يَطْدُونَ الْأَرْضَ لَوْلَاهُمْ ارْتَمَتْ بِمَنْ فَوْقَهَا مِنْ ذِي بَيَانٍ وَأَعْجَمَا

إن طغيان الروح الجماعية على الشاعر والتزامه القبلي جعلاه لا يرى في الوجود غير قبيلة، فهي المحور الذي تدور عليه حياة الآخرين، فإذا ما زالت انتهت الحياة بمن فيها، ومن هنا نجد أن حياة الشاعر قد اندمجت في حياة القبيلة وغدت حياة واحدة، لأنه ربط ربطاً سببياً بين وجوده ووجودها، فأَيُّ وجود ينتهي فإن الوجود الآخر ينتهي أيضاً، فهي عِلَّةُ الحياة وعِلَّةُ الوجود ولولاها لما كانت حياة ولما كان وجود.

وهكذا أوضح لنا الشعر جلياً التزام الإنسان العربي بقبيلته؛ فقد ظهر ذلك الالتزام في خضوعه التام لها، وفي فخره بالانتماء إلى نسبها، وفي رؤيته المثالية لمآثرها وأمجادها. وسنجد أن نزعة العصبية جعلته أيضاً ينفاد لسيدها انقياداً تاماً، ويرفع من مكانته إلى أعلى المراتب.

٢- سيد القبيلة:

إن نزوع الفرد نحو قبيلته وميله المفرط تجاهها دفعاه إلى أن يرى في سيدها المثل الأعلى، وأن يرى في صفاته صفات فريدة تميّزه من سائر الأفراد الآخرين؛ إذ إن قضايا القبيلة وواجباتها نحو أفرادها، ونحو القبائل الأخرى كثيرة ومختلفة، فكان لا بد لرئيسها أن يتحمل عبء القيام بالتوجيه والإرشاد وحمل المسؤولية أمام مجتمع القبيلة، الذي يعيش، غالباً، حياة غير مستقرة في مواجهة طبيعة قاسية، تجبره على التنقل والارتحال، وفي مواجهة أعداء أولي بأس وقوة يجبرونه على التيقظ والحذر.

وذلك كله يجعل الإنسان العربي يطلب في سيده خلافاً وشمائل كثيرة، تحوِّله قيادة القبيلة في تلك الحياة الشاقة. وقد أمدتنا الروايات والنصوص الشعرية بمعظم صفات الرئاسة، مما يجعلنا نكون رؤية واضحة لسيد القبيلة. فقد ورد أن أهل

الجاهلية كانوا: "لا يُسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال، السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان"^(١١). كما ورد: "أنه قيل لقيس بن عاصم: بِمَ سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى ونُصرة المولى، وتعجيل القرى"^(١٢).

وفضلاً عن تلك الصفات لا بد لسيد القبيلة من أن يتحلّى بالعقل والرأي الصائب، وأن يكون ذا حيلة وفطنة للتخلص من المعضلات في الحرب والسلم. كما لا بد له أن يكون شجاعاً مقداماً مُلماً بفنون القتال وقيادة المعارك، يمتلك جسمًا قوياً قادراً على الصبر والتحمل في الشدائد، وهذا ما وُصِفَ به عامر بن الطفيل، سيد قبيلة جعفر بن كلاب، إذ قيل عنه: "كان لا يَضَلُّ حتى يَضِلَّ النَّجْمُ، ولا يعطش حتى يعطش البعيرُ، ولا يهابُ حتى يهابَ السَّيْلُ، كان، والله خير ما يكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً"^(١٣).

وذهب قسم من الشعراء إلى أن الرأي الحكيم والشجاعة الفائقة هما أهم ما يتطلبه الفرد في قائد قبيلته ورئيسها، وآية ذلك أنه حينما علم لقيط بن يعمر الإيادي بحشد كسرى جيوشه للإغارة على قومه بعث إليهم شعراً يحذّرهم فيه، ويطلب منهم أن يتخيروا قائداً يتصف بصفات السيادة، وفي مقدمتها شجاعة القتال وحكمة التفكير^(١٤):

فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ، لِلَّهِ دَرْكُكُمْ	رَحَبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِّعًا
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ	وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعًا
مُسَهَّدَ النَّوْمِ تَغْنِيهِ تَغْوَرُكُمْ	يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطَّلَعًا
مَا أَنْفَكَ يَحْلِبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ	يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا
وَلَيْسَ يَشْغُلُهُ مَالٌ يَنْمَرُهُ	عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْغِي لَهُ الرِّفْعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزٍ مَرِيرَتُهُ	مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا

فالقائد الذي يطلبه لقيط يتصف بالشجاعة ومعرفة فنون الحرب، والرأي الحكيم، والخبرة التامة بحلو الحياة ومرها، همه أمن القبيلة والمحافظة عليها، كما يفضل أن يكون قوي الجسد متين البنية، تام الرجولة، فلا هو شيخ كبير ولا هو حدث صغير.

ويبين لنا الشعر أن مهام سيد القبيلة تتعدى القيادة والتوجيه إلى تكفله، في أكثر الأحيان، بسد عوز الفقراء من أفراد قومه، وغالباً ما يكون له بيت خاص يأتون إليه فيجدون فيه ما يقضي حوائجهم، ويشبع بطونهم كما يرتاده أيضاً الأضياف وعابرو السبيل، فيلقون فيه الطعام والمأوى، ذلك أن سجية الكرم والجود والعطاء من أبرز الصفات التي ينبغي أن تكون في سيد القبيلة، وقد رأينا أن قيس ابن عاصم افتخر بأنها هي التي جعلته سيد قومه. كما وجدها الأعشى أظهر خصال قيس بن كرب سيد كندة حين مدحه، فقال^(١٥):

وسعى لِكِنْدَةٍ، غيرَ سَعْيٍ مُوَاكِلٍ،	قَيسٌ، فَضَرَ عَدُوَّهَا وَبَنَى لَهَا
وَأَهَانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا	وَأَسَى، وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا، وَسَعَى لَهَا
وَتَرَى لَهُ ضُرّاً عَلَى أَعْدَائِهِ	وَتَرَى لِنِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ نَالَهَا
أَثَرًا مِنَ الْخَيْرِ الْمُزَيْنِ أَهْلَهُ	كَالْغَيْثِ صَابَ بِلَدَةٍ فَأَسَالَهَا

وفضلاً عن ذلك فإن سيد القبيلة كان يقوم، غالباً، باحتمال الديات عن أفراد قومه، إذا لم يقدروا على دفعها، وقد ورد أن رئيس القبيلة إنما قيل له "السيد المُعَمَّم" لأن كل جناية يرتكبها رجل من عشيرته تكون معصوبة برأسه، كما تعصب به العِمامة^(١٦). ومعروف أن هَرَم بن سنان والحارث بن عَوْف سيدي بني مُرَّة قد حملا الديات بغية إنهاء الحرب بين عبس وذبيان، مما جعل زهير بن أبي سلمى يمدح صنيعهما في معلقته، وذلك في قوله^(١٧):

يَمِيناً لَنَعْم السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمَا
تَدَارَكْتُمَا عَبَسَا وَذِيَّانَ بَعْدَمَا
وَقَدْ قَلْتُمَا: إِنَّ نُدْرِكَ السَّلَامَ وَاسْعَا
وَأَصْبَحَ يُحْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ
تَعَفَّى الْكَلُومَ بَلْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْشَمٍ
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نِسْلَمَ
مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمٍ
يُنَجِّمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ
وَلَمْ يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمٍ

ويبدو أن كثرة تلك الأعباء المالية التي يتحملها سيد القوم كانت دافعا كبيرا
حدا بالعربي أن يخصه بامتيازات وحقوق تفوق امتيازاته وحقوقه هو، ومن ذلك ما
يفرد له من الغنائم، كالمرباع والنشيطه والصفايا والفضول.

فأما المرباع فهو ربع الغنيمة، وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط، عند
قسمة المتاع، العلق النفيس فيأخذه، وأما الصفايا فهو ما يصطفيه لنفسه من
الغنيمة قبل القسمة، وأما الفضول فهو ما فضل عن القسمة بعد توزيع الغنائم. وقد
ذكر تلك الحقوق جميعها عبدالله بن عَمَّة في رثائه لبسطام بن قيس، سيد بني
شيبان^(١٨):

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّافَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

هذا عدا عن التقدير والتجلة والاحترام التي يبديها الإنسان العربي لسيد
القبيلة، فضلاً عن الطاعة والخضوع لتوجيهه وإرشاده، فقله القول الفصل في حل
النزاعات والخلافات بين أفراد القبيلة وفروعها، لعل في قول ابن خلدون الآتي في
مشايخ البدو ما يصدق كثيراً على سادة القبائل في العصر الجاهلي: "وأما أحياء
البدو فيزعُ بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من
الوقار والتجلة"^(١٩):

ويبدو من الشعر أن سعي سيد القوم في حلّ الخلافات لا يقتصر على قبيلته نفسها، وإنما قد تأتي إليه قبائل أخرى تحكّمه في خصوماتها، كما جرى لقبيلتي عبس وذبيان، حين وقع الشر بينهما وأرادتا الصلح، فطلبتا من سُبَيْع التغلبيّ، وهو سيد تغلب، أن يحكم بينهما، وقد أرسل إليه سَلَمَة بن الخُرْشُب الأثماريّ شعراً، يسأله فيه أن يعدل في الحكم، فلا ينحاز إلى أحد الطرفين، شأن سيد القبيلة المنصف^(٢٠):

أَبْلَغُ سُبَيْعَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا	قَدِمَا، وَأَوْفَى رِجَالِنَا ذِمَمَا
أَنْ بَغِيضَا وَأَنَّ إِخْوَتَهَا	ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَا
نُبِّئْتُ أَنْ حَكَمُوكَ بَيْنَهُمْ	فَلَا يَقُولَنَّ بئْسَ مَا حَكَمَا
أَنْ كُنْتَ ذَا خِبْرَةٍ بِشَأْنَهُمْ	تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ	حُكْمًا وَعِلْمًا وَتُخْضِرُ الْفَهَمَا
فَاحْكُمْ، وَأَنْتَ الْحَكِيمُ، بَيْنَهُمْ	لَنْ يَعْدَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتًا صَتَمًا
حَتَّى تُرَى ظَاهِرُ الْحُكْمَةِ مِثْلَ	لِ الصُّبْحِ جَلَّى نَهَارِهِ الظُّلُمَا
هَذَا وَإِنْ تُطِيقَ حُكُومَتَهُمْ	فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا

ولكن لا ينبغي أن يذهب بنا الظن إلى أن الإنسان العربي كان يسلم أموره كلها لسيد القبيلة، من دون قناعة أو فهم أو محاسبة له، وإنما كان، في بعض الحالات كما يبين لنا الشعر، إذا شعر بأنه لا يحقق مصالح القبيلة تماماً، أو أنه غير كفء لقيادتها وتوجيهها، خلع عنه السيادة وجردّه من حقوقها. وهذا ما جرى لسيد بني سليم بن قيس، فإنهم كانوا قد نصّبوا عليهم سيّداً، فلما خالفهم في بعض الأمور وثبوا عليه، وأخرجوه من ديارهم، فقال يزيد بن الصّعيق يهجوهم بفعلتهم^(٢١):

وَأَنَّ اللَّهَ ذَاقَ حُلُومَ قَيْسٍ	فَلَمَّا ذَاقَ خِفَّتْهَا قَلَاهَا
رَأَاهَا لَا تَطِيعُ لَهَا أَمِيرًا	فَخَلَّاهَا تَرَدَّدُ فِي خَلَاهَا

ولهذا كان حرص سادة القبائل ورؤسائها على مشورة ذوي الرأي في معظم الأمور، ولا يكاد ينفرد سيد القبيلة بأرائه، وإنما كان يشاور مجلساً يضم أشرف قبيلته، وقد يُعَبَّر عنه أحياناً بالملأ^(٢٢). وهذا المجلس شهد لدى قريش تطوراً بارزاً حين أضحي له دار خاصة بمكة تعرف بدار الندوة، حيث كان يجتمع فيها سادتهم وكبرائهم للتشاور في أمور السلم والحرب^(٢٣).

ويشير الشعر في بعض المواضع إلى أن عدم التشبث بالرأي، وجعل الأمر شورى في القبيلة، صفتان هامتان في سيد القبيلة، لأن أي خطأ يرتكبه قد يعرض القبيلة كلها للخطر أو الهلاك. وهذا ما جعل لقيط بن يعمُر، في وصيته لقومه، ينبههم على اختيار رئيس يتصف بها الصفتين^(٢٤):

ما انفكَّ يحلب دَرَّ الدهرِ أشطرَهُ يكون مُتَّبِعاً طَوَراً ومُتَّبِعَا

كما وجد الأعشى أن من كمال سيادة قيس بن معد يكرب الكندي أنه لا يعتد برأيه، وإنما يشاور أفراد قبيلته، ويجعلهم، دائماً، قريبين منه لهذا الأمر^(٢٥):

فإنَّ الإلهَ حباكُم به إذا اقتسمَ القومُ أمراً كُبارا
فإنَّ لكم قرَـهُ عِزَّةً ووسَّطَكم ملكهُ واستشارا

لقد حرص الجاهليون على السيد حرصاً جعلهم يهتمون بتتصيب أبنائه سادة بعده؛ فكان إذا نبه ابن سيد القبيلة وعلا شأنه ورث رئاسة القبيلة بعد أبيه، وكانت هذه الورثة شائعة في العصر الجاهلي، فمن ذلك أن حصن بن حذيفة أوصى ابنه كي يكون رئيساً لقومه بني فزارة، من بعده^(٢٦).

وقد سجل لنا ذلك الشعر، فحينما ورث بشامة بن الغدير السيادة عن أبيه افتخر بتقلده إياها وراثته، فقال^(٢٧):

وجدتُ أبي فيهم وجدِّي كليهما يُطاع ويُؤتى أمرُهُ وهو مُحْتَبَى
فلم أتعَمَل للسيادة فيهم ولكن أنتني طائعا غير مُعَبِّ

ويبدو أن سيد القبيلة كان إذا حضر الموت، ورأى ابنه جديراً بالسيادة، أوصاه
بوصايا ترشده في رئاسته القادمة، وقد زُعم أن الحارث بن كعب، سيد القبيلة التي
تُسَمَّى باسمه، أوصى ابنه، فقال^(٢٨):

أَبْنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ يَوْمًا هَالِكٌ فاحفظُ أباك رئاسةً وتَقَلُّبًا
وَإِذَا لَقِيتَ كَتِيبَةً فَتَقَدَّمَنَّ إِنَّ الْمُقَدَّمَ لَا يَكُونُ الْأَخْيَا
تَلْقَى الرِّئَاسَةَ أَوْ تَمُوتُ بِطَعْنَةٍ وَالْمَوْتُ يَأْتِي مَنْ نَأَى وَتَجَنَّبَا

لكن لا يعني ما تقدم أن سيد القبيلة كان يتلقى الرئاسة وراثته دائماً، وإنما كان
يُنصَّب فيها من هو كُفُوُّ لها، ومُتَّصِفٌ بصفاتها؛ سواء أكان من بيت سيادة أم لم
يكن.

وبذلك بيَّن لنا الشعر أن الإنسان العربي كان يهمله، قبل كل شيء، أن يكون
سيد القبيلة جديراً بحمل أعباء السيادة، موضحاً أنه إذا تحقق له ذلك رفعه إلى
المكانة العليا في نفسه، فدافع عنه، وخضع له، ووهبه أفضل ما فاز به من
الغنائم، وجعله المثال الأعلى الذي يحتذى في الحياة.

٣- الدفاع عن القبيلة:

إنَّ من أهم مظاهر النزعة العصبية، كما صورها لنا الشعر، أن يقف الفردُ
نفسه مدافعاً عن القبيلة، ولا ريب أن ظروف العيش قد هيأت له ذلك، إذ جعلته حياة
الصحراء فارساً يُلَمَّ بفنون الإغارة والقتال، فهو غالباً ما يتوقع غزواً من عدو، أو
غارة خاطفة من موتور، أو صيحة حرب في القبيلة استعداداً لهجوم على حيٍّ من
أحياء القبائل الأخرى.

بَيَدَ أَنْ بَعْضَ الشَّعْرَاءِ أَلْمَحَ إِلَى احْتِمَالِ تَخَاذُلِ أَفْرَادِ مِنَ الْقَبِيلَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا، وَتَتَأَقْلَهُمْ عَنْ نَصْرَتِهَا، مِمَّا يَدْعُو إِلَى غَضَبِهَا عَلَيْهِمْ وَسَخَطِهَا مِنْهُمْ. وَلَا شَكَّ لَدَيْنَا فِي أَنَّ حَدُوثَ ذَلِكَ قَلِيلٌ، وَفِي حَالَاتٍ تَكَادُ تَكُونُ نَادِرَةً، كَمَثَلِ الَّذِي جَرَى فِي حَرْبِ "الْبَسُوسِ" بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبَ، فَإِنَّ بَعْضَ أَشْرَافِ بَكْرِ لَمْ يَشْتَرِكُوا فِي الْمَعَارِكِ الْأُولَى، وَلَعَلَّهُمْ رَجَوْا أَنْ تَتَصَالِحَ الْقَبِيلَتَانِ، وَتَعُودَا عَنِ الْقِتَالِ إِلَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ وُدٍّ وَوئَامٍ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْحَارِثُ بْنُ عَبَادٍ الَّذِي اعْتَزَلَ الْحَرْبَ مَعَ أَرْهَاطِ بَنِي لُجَيْمٍ، فَانْبَرَى سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، جَدُّ طَرْفَةِ الشَّاعِرِ، يَحْضُهُ، وَيَغْمِزُ مِنْ جَانِبِهِ، لَوْقُوفِهِ مَوْقِفَ الْخِذْلَانِ لِقَوْمِهِ^(٢٩):

يَا بُؤْسَ الْحَرْبِ التِّي وَضَعْتَ أَرْهَاطَ فَاسْتَرَاخُوا
وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا حَبْهَا النَّخْيُ لُ وَالْمِرَاخُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدِ جَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

فَالجَبَانِ الرَّعِيدِ هُوَ الَّذِي يَتَخَلَّى عَنْ قَبِيلَتِهِ فِي حَرْبِهَا، أَمَّا الْفَارِسُ الشَّجَاعُ فَيَهْرَعُ لِنَجْدَتِهَا مَخْلَفًا وَرَاءَهُ حَيَاةَ الرَّاحَةِ وَاللَّهُوِ.

وَلَكِنْ حَتَّى فِي حَالَةِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ فَإِنَّ النُّزْعَةَ الْعَصَبِيَّةَ عَادَتْ تَدْفَعُهُ إِلَى مِشَارَكَةِ الْقَبِيلَةِ فِي الْقِتَالِ وَالِدِّفَاعِ عَنْهَا كَبَقِيَّةِ الْأَفْرَادِ الْآخَرِينَ، وَخَاصَّةً أَنَّ ابْنَهُ بُجَيْرًا كَانَ قَدْ قُتِلَ، وَهُوَ يَسْعَى فِي الصِّلْحِ لَدَى بَنِي تَغْلِبَ، وَقَدْ سَجَلَ مَوْقِفَهُ الْجَدِيدَ فِي شَعْرِهِ حِينَ قَالَ^(٣٠).

قَرِّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ - وَائِي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى فَتِيلاً وَلَا رَهْطُ - كُلَّيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ

فالدفاع عن القبيلة وحماها من واجبات الفرد الأولى، بل هو مفخرته الكبرى التي يعتدّ بها، وما الدفاع عن القبيلة إلّا دفاع عن شخصه وشرفه وعرضه. وقد صوّر المُتَلَمَّسُ الضُّبَعِيُّ ذلك أبرع تصوير، في رده على شخص زعم أن الشاعر سيتخلّى عن قبيلته ويفارقها لخلاف شجر بينه وبينها^(٣١):

أَمُنْتُ قَلًّا مِنْ آلِ بُهْثَةَ خِلْتَنِي أَلَا إِنَّنِّي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْنَمَا
أَلَا إِنَّنِّي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذِي الْأَنْفِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُكْشَمَا

لقد بلغ الشاعر ذروة التعبير عن محاماته عن القبيلة، حين جعلها في منزلة الأنف، وجعل الدفاع عنها كدفاع الإنسان عن أنفه، إذا خاض حرباً أو شهد قتالاً، وإذا علمنا أن الأنف رمز الشرف والعزة والكبرياء لدى العربي أدر كنا مدى ما يبذله لصونه والحفاظ عليه.

ويتبع الدفاع عن القبيلة الدفاع عن أرضها وحماها، ذلك أن الاعتداء عليهما اعتداء على القبيلة نفسها، والذود عنهما ذود عن شرفها ومكانتها بين القبائل الأخرى. وهذا ما رآه عمرو بن يربوع الغنوي وعبر عنه في شعره، مفتخراً بأنه زاد مع قومه عن نجد بفرسان أشداء، وخيل قوية، وسلاح شائك^(٣٢).

وفضلاً عن الدفاع عن القبيلة وحماها فإن من شأن الشاعر ذي النزعة العصبية أن يفتخر بقوتها وشجاعة فرسانها، الذين في مقدورهم خوض المعامع والحروب، وشن الغارات، وقتل الأبطال أو أسرهم، وهزيمة الأعداء والخصوم.

وهو في هذا يعلي من القبيلة وسطوتها، ويباهي بتصوير فتكها وسلبها ونهبها، واختراق حمى أعدائها، على نحو ما صوره لنا عمرو بن قميئة من مشهد لغارة شنتها قبيلته نعلبة بن عكابة، على أعدائها، حين قال^(٣٣):

وَمَلْمُومَةٌ لَا يَخْرِقُ الطَّرْفُ عَرْضَهَا لَهَا كَوْكَبٌ فَخْمٌ شَدِيدٌ وَضُوحُهَا
تَسِيرُ وَتُرْجِي السَّمَّ تَحْتَ نَحْوِهَا كَرِيَّةٌ إِلَى مَنْ فَاجَأَتْهُ صَبُوحُهَا

على مُفَذَّحَاتٍ وهنَّ عوابِسُ ضَبَائِرُ مَوْتٍ لَا يُرَاحُ مُرِيحُهَا
نَبَذْنَا إِلَيْهِمْ دَعْوَةً، يَا آلَ مَالِكٍ، لَهَا إِرْبَةٌ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُرِيحُهَا
فَسُزْنَا عَلَيْهِمْ سَوْرَةً ثَعْلَبِيَّةً وَأَسْيَافُنَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ نُضُوحُهَا
وَأَرْمَاخُنَا يَنْهَزُنْهُمْ نَهْرَ جَمَّةٍ يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَرْدُنَا فَنَمِيحُهَا
فَمَا أَتَلَفْتُ أَيْدِيَهُمْ مِنْ نَفُوسِنَا وَإِنْ كَرَّمْتُ فَإِنَّنَا لَا نُنُوحُهَا
فَقُلْنَا: هِيَ النَّهْيُ وَحَلَّ حَرَامُهَا وَكَانَتْ حِمَى مَا قَبَلْنَا فَنُيِّحُهَا

لقد أبان الشاعر عن أن أقوى مظاهر العصبية تبرز في أشد الظروف وأقساها، وهل يكون ذلك إلا عند القتال ومواجهة الفرد للموت في ساحة المعركة؟ وقد جُليت تلك العصبية أكثر جلاء في هذه الصيحات باسم القبيلة، وكأن الفارس كان يحاول أن يحتمي بعصبيته من طعنات الرماح وضربات السيوف، أو كأنه كان يريد أن يؤكد لنفسه أنه ليس وحيداً في المعركة، وإنما هو من الجماعة التي ينادي باسمها.

لقد انتشى الشاعر العربي زهواً بقوة قبيلته وعزتها ومنعتها، فكان يعلن انتصاراتها على القبائل المعادية بأشعار تلهب حماسة، وسرعان ما تنتقلها الركبان، ويغدو صداها مدوياً في أرجاء الجزيرة العربية كلها، فترهب العدو والخصم، وتفرح الصديق والحليف. وعلى شاكلة تلك الأشعار قول عامر بن الطفيل^(٣٤):

صَبَحْنَا الْحَيَّ مِنْ عَيْسٍ صَبُوحاً بكَأْسٍ فِي جَوَانِبِهَا الثَّمِيلُ
وَأَبْقَيْنَا لِمُرَّةٍ يَوْمَ نَحْسٍ وَإِخْوَتِهِمْ فَقَدْ ذَهَبَ الْغَلِيلُ
فَذَلَّ الْأَبْلَحُ الْمُخْتَالُ إِنَّا نَحِيسُهُ وَعَزَّ بَنَا الدَّلِيلُ

وليس أبعث لفخر الفرد من انتصار قبيلته، وعودتها إلى أحيائها محملة بالغنائم تجر وراءها الأسرى، وخاصة سبايا النساء؛ إذ إن سبيهن مظهر لمدى قوة القبيلة وسطوها، ولمدى ضعف العدو وتخاذله، لأن القبيلة لا تتخلى عن نسائها إلا بعد أن تهزم هزيمة منكرة، ثم إن بقاء السبايا بأيدي القبيلة المنتصرة يذكرها دائماً بفوزها، ويبقى لظى محرقاً في قلوب أعدائها، وعاراً مشيناً لاصقاً بهم أمام القبائل الأخرى. ولهذا وجدنا بشر بن أبي خازم الأسدي يفخر بانتصار قومه على بني عامر وسبي نسائهم^(٣٥):

لحوناَهُمْ لَحَوَ الْعُصِيِّ فَأَصْبَحُوا عَلَى آلَةٍ يَشْكُو الْهَوَانَ حَرِيْبُهَا
تَبَيَّتْ النِّسَاءُ الْمُرْضِعَاتُ بَرَهْوَةَ تَقَرَّأَ مِنْ هَوْلِ الْجَنَانِ قَلْبُهَا
بَنِي عَامِرٍ إِنَّا تَرَكْنَا نِسَاءَكُمْ مِنْ الشَّلِّ وَالْإِجَافِ تَدْمَى عُجُوبُهَا
عَضَارِيظُنَا مُسْتَحَقِّبُو الْبَيْضِ كَالدُّمَى مُضَرَّجَةٌ بِالزَّرْعِ فَرَانِ جِيوبُهَا

فهم قد أغاروا على بني عامر فهزموهم شر هزيمة، ثم سطوا على أموالهم ومتاعهم فانتهبوها، أما نساؤهم فقد سُبِيت مع رُضْعَها، وُجِّمَتْ في منخفض من الأرض، وقلوبها واجفة خائفة، تكاد تُقَطَّع من فزعها وجزعها، ثم حملت على متون الخيل مردفات خلف العبيد، وأخذت الخيل تسرع بهن، وهن يعولن ويصرخن، بعد أن كن حرائر ممتنعات في بيوتهن. لقد أذلّوا بني عامر مرتين: مرة حين هزموهم في أرض المعركة، ومرة أخرى حين سبوا نساءهم مع أطفالهن، وتركوا للعبيد والأجراء أمرهن كي يحملوهن مع الغنائم والأسلاب والأمتعة.

وشبيه بذلك أيضاً ما يصوره لنا عوف بن عطية التميمي لمشهد نسوة قد أغير عليهن فهن يتراكضن فزعات جزعات قد حُسِرَتْ رؤوسهن؛ وسقطت الخُمُر عن وجوههن، وتهللت ثيابهن وذلك كله خشية السبي والعار اللذين سيلحقان بهن^(٣٦).

إن اعتداد العربي بقوة قبيلته، واعتزازه بمقدرتها، وتعصبه الشديد نحوها، جعلته لا يرى قوة فوق قوتها، ولا مقدرة تفوق مقدرتها، ويبين لنا الشعر أن رؤيته هذه لا تقتصر على القبائل التي حوله فقط، وإنما تتعداها لتشمل الملوك أيضاً، فمهما كانت عظمة الملك وهيبته وسيطرته فإنها لا تتال من مكانة القبيلة في نفسه؛ إذ هي عنده أعظم منزلة وأرقى شأنًا، لأنها تمنع أي ملك كان من أن يتناول عليها، أو يحاول إخضاعها.

وذلك ما رآه عامر بن جُوَيْن الطائي في قبيلته، حين شرع المنذر بن النعمان الأكبر ملك الحيرة، بتهديده وتهديد قومه، فرد عليه عامر قائلاً^(٣٧):

تَعْلَمُ، أُنَيْتَ اللَّعْنَ، أَنْ قَنَاتْنَا تَرِيدُ عَلَى غَمَزِ النَّفَافِ تَصَعُّبًا
أَتَوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ، أُمُّكَ هَابِلٌ، رَوَيْدَكَ بَرْقًا، لَا أَبَا لَكَ، خُلْبًا
إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَا وَحَامَتُ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحْدُبًا
أُبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا

إن قوة طيئ لتضاهي قوة النعمان وتفوقها، لهذا فإن وعيده لهم ما هو إلا كبرق لامع خادع لا غيث وراءه، وخاصة إذا اجتمع حيائها، جديلة والغوث، وامتنطى أبطالها صهوات الخيول وأشهروا السيوف والرماح، وارتصت صفوفهم كبنيان مرصوص، فعندئذ لا يجد الملك لديهم إلا أسلحة تجلب الموت الأسود له. لقد رأى الشاعر في قبيلته درعاً حصيناً يمنع أشد الملوك من اختراق حماه أو زعزعة أركانها.

وقد يحس الشاعر أن ملكاً ينوي بقبيلته شراً، وأنه يتحين سانحة للغدر بها والقضاء عليها، عند ذلك ينبري للدفاع عنها مظهراً ما تتصف به من عزة قعساء وشرف تليد ونسب عريق، وما تتميز به من قوة وشدة وبأس في المعارك والحروب، لعله بذلك يرهب الملك وينذره عاقبة غدره وخيانتته. وهذا ما نراه عند

الشاعر يزيد بن الخدّاق الأسديّ، حين شعر أن النعمان بن المنذر يضمّر العداء لقبيلته، وأنه ينوي الغدر بها والإغارة عليها، فأنشأ يخاطبه^(٣٨):

نُعْمَانُ إِنَّكَ خَائِنٌ خَدِعْ	يخفي ضميرك غير ما يُبدي
فإذا بدا لك نَحْتُ أَتَلَّتْنَا	فعليكها إن كُنْتَ ذا حَزْدٍ
يَأْبَى لَنَا أَنَّا دَوُوْ أَنْفٍ	وأصولنا من مَحْتَدِ المجدِ
إِنْ تَغَرُّ بِالْخَرْقَاءِ أُسْرَتْنَا	تَلَقَ الكَتَائِبِ دوننا تَرْدِي
أَحْسِبْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضَمٍ	أَمْ خِلْتَنَا فِي الْبَأْسِ لَا تُجْدِي
وَمَكَّزْتَ مَعْتَلِيًّا مَخْنَتْنَا	والمكرُ منك علامة العَمْدِ
وهزرت سيفك كي تحارِبَنَا	فانظر بسيفك من به تُرْدِي

ولا يقف الأمر عند تهديد الشاعر للملوك وإنما يتعداه إلى التناول عليهم، أحياناً، والنيل منهم؛ إمّا بإذلالهم كالذي تُسب إلى هشام بن خَلَف الكِنَانِي من فَعْلَة شنعاء، تهدف إلى إهانة النعمان بن المنذر في حجه إلى مكة^(٣٩). وإمّا بالتعدي عليهم وضربهم، كما رُعم من ضرب مَعْبَد بن عُصْم التغلبيّ للملك شُرْحِبِيل الكِنْدِي بقوسه وشجّه بها، لأنه نال من قبيلته^(٤٠).

وإمّا بقتلهم كما هو مشهور عن قتل عمرو بن كلثوم للملك عمرو بن هند. وقد أشار إلى تلك الحادثة جابر بن حُنَيّ التغلبيّ في قوله^(٤١):

ألا تستحي منا ملوكٌ وتَنَقِّي	محارمنا لا يَبُوءُ الدَّمُ بالدَمِّ
نعاطي الملوك السَّلَمَ ما قصدوا بنا	وليس علينا قتْلهم بِمَحَرَّمٍ
وكائن أَرْزَأَ الموتَ من ذي تحية	إذا ما اَزْدَرَأْنَا أو أَسَفَ لمَأُثْمٍ

وهكذا صور الشعر لنا موقف الإنسان العربي من قبيلته تصويراً أبان فيه عن مدى حبه لها ومشاعره تجاهها، وقد جُلِّي ذلك في دفاعه عنها ومناجزته لأعدائها،

وفي نظرته إليها على أنها قوة ضاربة، لا يستطيع الملوك الأقوياء أن ينالوا منها. ويبدو أن هذه الرؤية هي التي تثبت الروح الجماعية والعصبية القبلية في كيانه، فجعلته أكثر التحاماً بالقبيلة وأشد نزوعاً إليها.

٤ - الحنين إلى موطن القبيلة:

لا شك في أن معظم القبائل العربية، التي توزعت في أرجاء الجزيرة العربية، كانت في حركة مستمرة وسعي دائم وراء الماء والمرعى. بيد أن تنقل القبائل وارتحالها لا يعنيان أنها كانت تتأى بعيداً عن أرضها، فلا يُعرف لها موطن، ولا يُحد لها مكان، ذلك أن أغلب تلك القبائل في العصر الجاهلي كان لها أماكن معروفة ومواقع تختص بها من دون غيرها. وحتى إذا دفعتها السنة والحاجة إلى أن تنتجع بلاداً أخرى حيناً من الزمن فإنها لا تلبث أن تعود إلى أراضيها ومنازلها.

وقد حفل الشعر، في مواقع لا تحصى منه، بذكر أماكن القبائل، وكثيراً ما يكتفي بذكر اسم الموضع للدلالة على القبيلة التي تقيم فيه، وكان الأخنس بن شهاب التغلبي من الشعراء الذين قرنوا عدداً من القبائل بأماكنها^(٤٢).

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدٍ عِمَارَةٌ	عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجؤونَ وَجَانِبُ
لُكَيْزٍ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ	وَإِنَّهُ يَأْتِيهَا بِأَسْ مِنْ الْهِنْدِ كَارِبُ
وَبُكُزٍ لَهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ	يَحِلْ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبُ
وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفٍّ وَرَمْلَةٍ	لَهَا مِنْ حَبَالٍ مَنَتَأَى وَمَذَاهِبُ
وَكَلْبٌ لَهَا حَبَتْ فَرَمْلَةٌ عَالِجٍ	إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ
وَبَهْرَاءَ حَيٍّ قَدْ عَلِمْنَا مَكَانَهُمْ	لَهُمْ شَرْكٌ حَوْلَ الرُّصَافَةِ لِاحِبُ
وَعَارَتْ إِيَادٌ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَا	بِرَازِيقٍ عُجْمٍ تَبْتَغِي مِنْ تُضَارِبُ

وكما هو واضح في الأبيات فإن الشاعر قد خص القبائل بأمكنة رحيية، ولم يقيدها بمواقع محددة، مما يدل على أنها، مهما تنقلت وارتحلت، تعود في نهاية

المطاف إلى مواطنها. ذلك أن منازل القبيلة واضحة معروفة لا تتبدل إلا لدواعي قاهرة وأسباب قوية، كأن تغزوها قبائل كثيرة العدد أقوى منها، وأن يصيبها القحط سنين متتالية، فعندئذ تضطر إلى ترك ديارها للبحث عن ديار جديدة. وهذا ما حدث لإياد إذ أزاحها بنو القيس عن مواطنها في البحرين، ثم شنت الفرس شملها في العراق^(٤٣). وقد ألح الأخنس في البيت الأخير إلى ما أصاب إياداً من تشتت على أيدي الفرس.

ونحن بذلك إنما حاول أن نعطي صورة عامة عن القبائل وأمكنتها لنمهد الحديث عن حنين الشعراء إلى مواطن قبائلهم التي رحلوا عنها راضين أو مضطرين لذلك الرحيل.

فضلاً عن القبائل السابقة ومواطنها، التي وردت في شعر الأخنس، فإننا نجد، من القبائل العدنانية، قريشاً قد نزلت بمكة وما جاورها، وثقيفاً بالطائف، وهذيلاً بقرب جبال السّراة بالحجاز، وكنانة بأرض تهامة. كذلك كان بنو عامر بن صعصعة يستقرون غالباً، غربي نجد، وعبس وذبيان وسائر غطفان كانوا ينزلون بنجد شرقي يثرب. كما نزلت بنجد أيضاً ضبة وتميم، وانحدر قسم منهما إلى اليمامة وهجر. وكانت معظم قبائل ربيعة تنتشر في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، بين عُمان حتى أطراف العراق والجزيرة.

ونجد، من القبائل القحطانية، قبائل حمير باليمن وجنوبي الجزيرة العربية، ثم من القبائل التي هاجرت من الجنوب واستقرت في أنحاء مختلفة الأوس والخزرج بيثرب وما حولها، وطىء بين جبلي أجأ وسلمى، والمناذرة بالحيرة، والغساسنة ببلاد الشام. ولا يخفى أن شعر الأطلال زاهر بالإشارات إلى تلك الأمكنة، مفصلاً فيها تفصيلاً واسعاً.

ومما لا ريب فيه أن الشعر الجاهلي صورّ شدة تعلق الإنسان العربي بمواطن القبيلة ومرايعها، وبين فيه الشعراء أن القبيلة كلها تظل ملتصقة بأرضها التي

تعدّها حمىً لها، لا تستطيع القبائل الأخرى الاعتداء عليه، حتى إذا أصابها أمر اضطرها إلى مغادرة منازلها والبعد عن ديارها فإنها تبقى تحن وتصبو إلى تلك المعاهد، ويبقى الفرد فيها مشوقاً إلى الأرض القبيلة الأم، يشعر نحوها بحنين طاع وشوق جارف.

وقد عبّر عن مثل ذلك الشعور ثعلبة بن عيلان الإياديّ أبدع تعبير، حين أثارته ذكرى مواطن قبيلته إياد في البحرين، وكانوا، كما مر بنا، قد فارقوها إلى سواد العراق، وابتعثه الشوق والحنين إلى مراتع الطفولة فيها، وتالت مشاهد الماضي على مخيلته بمختلف الصور المحببة، فاهتزت نفسه ألماً وحرقة لما آل إليه مع قبيلته من غربة دائمة، حافلة بضروب الذل والهوان^(٤٤):

تَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْمُعَمَّسِ نَاقَتِي	وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرَ الْجُرَيْبِ فَرَائِسُ
بِهَا قَطَعْتُ عَنَا الْوَدَمَ نَسَاؤُنَا	وَحَرَسَتْ الْأَبْنَاءَ فِيهَا الْخَوَارِسُ
إِذَا شِئْتُ غَنَّانِي الْحَمَامُ بِأَيْكَةٍ	وَلَيْسَ سِوَاءَ صَوْتِهَا وَالْعَرَانِسُ
فِيَا حَبِّذَا أَعْلَامُ بَيْشَةٍ وَاللَّوَى	وَيَا حَبِّذَا أَخْشَافُهَا وَالْجَوَارِسُ
أَقَامْتُ بِهَا جَسْرُ بَنٍ عَمْرٍو وَأَصْبَحْتُ	إِيَادُ بِهَا ذَلٌّ مِنْهَا الْمَعَاطِسُ

وقد يضطر الشاعر بفرده إلى مفارقة القبيلة وموطنها، وتتأى به الغربة بعيداً عن مراحها ويطيح به الفراق إلى أرض لا يجد فيها قريباً أو حبيباً، عند ذلك تشتد به المواجه، وتتتابه الحسرات، وتتسعّر به الأشواق إلى رؤية المهد الأول، فتجيش النفس أسى وحسرة، وتنزع متلهفة نحو موطن القبيلة. وهذا ما أصاب زامل بن عُقَيْر الطائيّ الذي نأت به ديار الغربة حتى حطته عند الحارث الأكبر الغساني، فمدحه ونال عنده منزلة ومقاماً كريماً، لكن وطن القبيلة ظل يجذبه إليه، وظل يجد نفسه غريباً في قوم غرباء^(٤٥):

أَبْلَغِ الْحَارِثَ الْمُرَدَّدَ فِي الْمَكِّ
 أَنَّنِي نَاطِرٌ إِلَيْكَ وَدُونِي
 آزِلٌ نَازِلٌ بِمَثْوَى كَرِيمٍ
 غَيْرَ أَنَّ الْأَوْطَانَ يَجْتَذِبُ الْمَرْ
 وَتَأْبِي بِالْشَّامِ مُفِيدِي
 لَيْسَ يَسْتَعِزُّبُ الْغَرِيبُ مَقَامَا
 رُمَاتٍ وَالْمَجْدِ جَدًّا فَجَدًّا
 عَاتِقَاتٍ غَاوِرْنَ قَرِيباً وَبُعْدَا
 نَاعِمُ الْبَالِ فِي مَاحٍ وَمَغْدَى
 ءَ إِلَيْهَا الْهَوَى وَإِنْ عَاشَ كَدًّا
 حَسَرَاتٍ يَفْقِدُنَ قَلْبِي قَدًّا
 فِي سَوَى أَرْضِهِ وَإِنْ نَالَ جَدًّا

أما المتلمس، فإنه حين حرم عليه عمرو بن هند العودة إلى بلاده في أرض العراق، نازعته نفسه شوقاً وتحناناً إلى موطن القبيلة، وملّت تجوَاب البلدان والآفاق على متن الناقة، فإذا هي تخلع مشاعرها على صاحبة حلها وترحالها، وتتدمج معها في وحدة القلق والمعاناة، وإذا صوت النفس وصوت الناقة يغدوان صوتاً واحداً يعبر عن ألم الغربة وقسوة البعد^(٤٦):

حَنَنْتُ قُلُوصِي بِهَا وَاللَّيْلُ مُطَّرِقٌ
 أَنَّنِي طَرِبْتُ وَلَمْ تُلْحِي عَلَى طَرَبٍ
 حَنَنْتُ إِلَى نَخْلَةِ الْقُصُوصِ فَقَلْتُ لَهَا:
 أُمِّي شَامِيَّةٌ، إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا،
 لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْبَوَايَةِ مُنْجِدَةً
 بَعْدَ الْهُدُوءِ وَشَاقَتْهَا النَّوَاقِيسُ
 وَدُونَ الْإِفْكِ أَمْرَاتٌ أَمَالِيسُ
 بَسَلْتُ عَلَيْكَ أَلَا تَلْكَ الدَّهَارِيسُ
 قَوْمًا نَوْدُهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ
 مَا عَاشَ عَمْرُو وَمَا عُمِرْتَ قَابُوسُ

وشبيه بهذا ما أصاب دَوْسَرَ بْنَ ذُهَيْلٍ الْفُرَيْعِيَّ حين فارق موطنه نجداً، وامتدَّ زمن غربته، لكن نفسه ظلت أمانة لعهداها القديم كما ظلت ناقتة تطرب كلما لقيت قلاصاً آتية من مراتعها الأولى^(٤٧).

ونرى في الشعر أن المرأة لم تكن أقل تعلقاً بموطن القبيلة من الرجل، فقد عانت رامة بنت حُصَيْن الأَسَدِيَّة معاناة شديدة حين شحطت بها النوى بعيداً عن ديار قومها، وألقتها في قرية من الحضر. لقد اشتدت بها نوازع الحنين إلى مراتعها، ومرتاع صباها، فطفحت نفسها بفيض من الشوق إليها، وهفت إلى النساء الجنوبية التي تهب عليها، وشامت ببصرها إلى لمعان بروقها، وتذكرت بأسى وحسرة خضرة مراتعها وتجاوب صفير طيورها في هدأة الليل وقارنته بصياح الديكة ونقيق الضفادع التي تسمعها في غربتها، فإذا البون شاسع والفرق كبير، وإذا قلبها ينبض بحب مواطن القبيلة ومناخها وحيوانها وكل ما يمت إليها^(٤٨):

أَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ يَكُ ذَا هَوًى	بَنَجْدٍ يَهْجُهُ الشَّوْقُ شَتَّى نَزَائِعُهُ
تَهْجُهُ الْجَنُوبُ حِينَ تَغْدُو بَنَشْرِهَا	يَمَانِيَّةً وَالْبَرْقُ إِنْ لَاحَ لَامِعُهُ
وَمَنْ لَامَنِي فِي حَبِّ نَجْدٍ وَأَهْلُهُ	فَلَيْمٌ عَلَى مِثْلِ وَأَوْعَبَ جَادِعُهُ
لَعَمْرُكَ لِلْغَمْرَانِ غَمْرًا مُقْلَدٍ	فَذُو نَجَبٍ غُلَّائُهُ وَدَوَاعِيُهُ
وَحَوٍّ إِذَا حَوٍّ سَقَتُهُ ذَهَابُهُ	وَأَمْرَعٌ مِنْهُ تَيْئُهُ وَرِيَائِعُهُ
وَصَوْتُ مَكَائِي تَجَاوَبُ مَوْهِنَا	مِنْ اللَّيْلِ، مَنْ يَأْرَقُ لَهُ فَهَوٌ سَامِعُهُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ فَرَارِيحِ قَرْيَةٍ	تَرَاقَى وَمَنْ حَيٍّ تَتَّقُ ضَفَادِعُهُ

وهكذا أوضح لنا الشعر عن أن تعلق الإنسان العربي بالقبيلة ارتبط بتعلقه بمواطنها وديارها، فأضحى حبه لها ممزوجاً بحبه لأرضها، ونزوعه نحوها مقروناً بنزوعه إلى منازلها، ومن ثَمَّ أظهر الشعر أن دفاعه عن القبيلة يضاهي دفاعه عن موطنها، ذلك الموطن الذي يقترب في ذهنه بالقبيلة، ولا يمكنه بأية حال أن

يفصل بينها وبين ديارها، لأنهما يشكلان معاً حماه الذي يبذل نفسه وماله دفاعاً عنه.

٥ - رثاء أفراد القبيلة:

إن الأشعار السابقة صورت الإنسان العربي وقد تغلغل في نفسه حب قبيلته حتى غدا هو والقبيلة كياناً واحداً، يسره فرحها، ويؤلمه حزنها. ولعل مرد ذلك يعود إلى شمول الروح الجماعية بين الأفراد وإحساسهم بالمصير المشترك، فضلاً عن شعورهم بارتباط وجودهم بوجود القبيلة وحياتهم بحياتها. وإذا كان الشعراء قد جَلَّوا ذلك في تصويرهم لتمسك الفرد بنسب القبيلة والخضوع لها ولسيدها، وللدفاع عنهما، ثم لحنينه الجارف إلى ديارها، فإن رثاءهم لقتلاها ولمنْ فقد من أبنائها كان مظهرًا أكثر تعبيراً عما تكنه عواطف الفرد من ميل شديد تجاه قومه ونزوع قوي إليهم.

ولعل ما زاد في إظهار صورة رثاء أفراد القبيلة في الشعر أن الحياة التي عاشوها كانت غالباً عرضة لخطر الهلاك، وكان الواحد منهم يجزع جزعاً شديداً أن يسمع، بعد كل غارة يقوم بها قومه أو تقوم بها قبيلة أخرى عليهم، صوت النعي يدوي بأسماء رجال عشيرته الذين جُدِّلوا على أرض المعركة، حينئذ تنتزى نفسه حزناً، ويفعم قلبه أسى، فيحرّم على نفسه اللهو واللذائذ، ويعكف على نديهم والنواح عليهم. ولا ريب في أن نفسه تمتلئ حقداً وبغضاً وضغينة على الأعداء، تتبدى فيما يؤلي على نفسه أحياناً من الأيمان المغلظة من أنه سينتقم لقومه أشد الانتقام.

ولنا في شعر الرّبيع بن زياد العبسي أفضل شاهد على ذلك، فقد أتاه نعي مالك بن زهير، وهو أحد أشراف بني عبس، وعلم أن بني قُرَارة غدرت به، وقتلته، فثار به الغضب، وهاجت كوامن الثأر في نفسه، فألى على نفسه أن يعتزل النساء، وأن يعدّ ما لديه من قوة وعدة وعتاد حتى يثأر له من قاتليه^(٤٩):

إِنِّي أَرَفْتُ فَلَمْ أُعَمِّضْ حَارِ مِنْ مِثْلِهِ تُمِسي النساءِ حواسِراً
 وَتَقُومُ مُعُولَةً مَعَ الْأَسْحَارِ أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهِيرٍ
 تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَذْوِي الْقُوَى
 إِلَّا الْمَطْيَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفاً
 يَقْذِفْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
 فَكَأَنَّمَا تُطَلَّى الْوُجُوهُ بِقَارِ

وقريب من هذا ما عبّر عنه في شعره دريد بن الصَّمّة الذي كبر عليه
 مقتل أفراد قومه على يد بني الحارث بن كعب، فانبرى يرثيهم رثاء ينطوي على
 تهديد ووعد لبني الحارث بانتقام ما بعده انتقام^(٥٠). وكان عبدالله بن ثور العامري
 قد أثاره ما رأى من عيون تذرف حزناً على من صرّع في المعركة من قبيلته، فدفعه
 الحزن والغضب إلى التأهب والإعداد لجولة أخرى يثار لهم فيها^(٥١).

وأولئك الأفراد الذين صرّعوا، وفقدتهم القبيلة، ليسوا في نظر الشاعر إلا أناساً
 في منتهى البطولة والسؤدد والشرف؛ فهم يجمعون الخلال الحميدة كلها، ويتصفون
 بأنبال الصفات وأفضلها. أليسوا هم الذين قد ضحوا بأنفسهم فداء لقبيلتهم وإعلاء
 لشأنها؟ أليسوا هم قد جادوا بدمائهم فبزّوا أكرم الكرماء؟ وقد عكس لنا هذه الرؤية
 شدّاد بن الأسود في رثائه لقتلى قومه يوم بدر^(٥٢).

تُحَيِّي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامٍ؟
 فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبَ بَدْرٍ مِنَ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرِبِ الْكَرَامِ
 وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبَ بَدْرٍ مِنَ الشُّيْزَى تُكَلَّلُ بِالسَّنَامِ
 وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الْحَوَمَاتِ وَالنَّعَمِ الْمَسَامِ
 وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الْغَايَاتِ وَالْدُّسْعِ الْعِظَامِ
 وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَقِيلٍ وَأَصْحَابَ النَّثِيَّةِ مِنْ نَعَامِ

إِذَا لَظَلَّتْ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِمْ كَأُمِّ السَّقْبِ جَائِلَةِ الْمَرَامِ

لقد تزاхمت الأشجان في نفس الشاعر، وتفاقم فيها الحزن، وخيم اليأس الأسود على قلبه، وأخذت التساؤلات تطرق عقله وفكره، كيف يعيش، وقد قتل سادة القبيلة وعظماؤها؟ وأية قيمة لوجوده، وقد تلاشى وجود أشراف قومه؟ لا نبالغ إذا قلنا إن الشاعر جعل أفول حياة قومه في منزلة أفول حياته هو، ولم تعد الحياة لديه جديرة بالمسرة والمتعة واللهو، بعد أن أصابت المنايا أفراد العشيرة وطواهم الردى.

ولعل ما كان يلهب ثائرة الشعراء، ويدفعهم إلى التعبير في أشعارهم عن مزيد من الحزن على أفراد القبيلة، ومزيد من الغضب لمقتلهم، هو الحياة القبلية وما كان شائعاً فيها من اجتماع الحي لبكاء القتلى وندبهم والنواح عليهم، ثم إعلان مظاهر الحزن والأسى أمام القبائل الأخرى. وهذا ما فعلته قريش عقب يوم بدر؛ إذ ورد أنها "ناحت على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكة إلا فيها نوحٌ، وجَزَّ النساءُ شعَرَ الرؤوس". وكان يُؤتى براحلة الرجل منهم، فتوقف بين أظهرهم، فينوحون حولها^(٥٣). ويبدو أن إطالة مدة الحزن كانت تهدف إلى تأجيج نيران الانتقام في صدور أبناء القبيلة لكي يتأروا لقتلهم من الأعداء.

وتشير الأشعار، في هذا المجال، إلى أن النساء كنَّ يقمن بالرتاء أيضاً على أفراد القبيلة فضلاً عن ندبهن ونواحيهن، وذلك لما لهن من رقة شعور ولطف إحساس، ولما ينتابهن من ألم المصاب بفقد الأحباب والأزواج والأقرباء، الذين هم عمادهن في معاشهن، ودرعهن في حياة خطيرة تعرضهن للسبي والاختطاف.

وقد عبرت الخُرَيْق بنت بدر عن ذلك خير تعبير حين أتاها نَعْيُ أفراد عشيرتها ينبئها بأن سهام المنايا قد أردتهم صرعى في معركة دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم؛ فإذا هي لا ترى فيهم إلا فرساناً أقوياء، وأجوداً كرماء، وأشرافاً نبلاء، قد حازوا كل

مكرمة؛ فأيديهم سخية بالعطاء، وذيلهم طاهر من الأدران، وشجاعتهم مضرب
الأمثال، وعطف بعضهم على بعض لا يقف عند حد، حتى يمتنع على المرء أن
يميز غنيهم من فقيرهم وموسرهم من معسرهم^(٥٤):

لَا يَبْعُدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مُعَاقِدَ الْأَزْرِ
قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا سَمِعَتْ لَهُمُ لَعَطَاءٌ مِنَ التَّائِيهِ وَالزَّجْرِ
وَالخَالِطُونَ نَحِيَّتَهُمْ بَنُضَارِهِمْ وَذَوِي الْغَنَى مِنْهُمْ بِذِي الْفَقْرِ
هَذَا ثَنَائِي مَا بَقِيَْتُ لَهُمُ فَإِذَا هَلَكْتُ أَجَنَّتْ بَنِي قَبْرِي

ونستدل من بعض الأشعار على أن الرثاء لم يكن مقتصرًا على أفراد القبيلة
الذين قتلوا في المعارك والحروب، وإنما قد يرثي الشاعر قبيلته إذا أَلَمَتْ بها
المصائب، وأحدثت بها الأخطار فمزقتها كل ممزق، وأهلكت كثيرًا من أبنائها.
كالذي نجده لدى أبي دُوَادٍ الإياديّ من رثاء حار على قبيلة إياد، التي، كما أشرنا
من قبل، قد أُجْلِيَتْ عن ديارها بالبحرين إلى سواد العراق، ثم فني كثير من أفرادها
في قتال القبائل والأعاجم هناك، مما أحدث أعظم الأثر في نفس أبي دُوَادٍ، عبر
عنه في قوله^(٥٥):

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ
مِنْ رِجَالٍ مِنَ الْأَقَارِبِ قَادُوا مِنْ حُذَاقٍ هُمْ الرُّؤُوسُ الْعِظَامُ
فَهُمْ لِلْمَلَأِثِمِينَ أَنْوَاةٌ وَعُورَامٌ إِذَا يُرَادُّ الْعُورَامُ
وَسَمَاحٌ لَدَى السِّنِينَ إِذَا مَا قَطَطَ الْقَطْرُ وَاسْتَقَلَّ الرَّهَامُ
وَشَبَابٌ كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ غِيلٍ خَالِطَتْ فَرَطَ حَدِّهِمْ أَحْلَامُ
وَكَهُولٌ بَنَى لَهُمْ أَوْلَاهُ مَا أَثْرَتْ يَهَابُهَا الْأَقْوَامُ
سُلْطَ الدَّهْرُ وَالْمَنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامُ

فَعَلَىٰ إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ وَذَكَرُهُمْ لِي سَقَامٌ

وهكذا نجد أن رثاء الأفراد لدى الشعراء كان مظهرًا من مظاهر النزعة العصبية؛ إذ عبروا فيه عن مدى الرابطة التي تشد ما بين أفراد القبيلة من أواصر المحبة والتعاطف والتناصر، حتى إذا أصيب واحد منهم، وأودت به إصابته، تداعى له سائر الأفراد بالحزن والأسى من جهة، وبالغضب والتأهب للانتقام من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن الشعر أبرز لنا العصبية القبلية لدى الإنسان العربي متجلية في أشكال عدة، من التزام قبلي، ومن ولاء للقوم وسيدهم، ومن دفاع عنهم، وحنين إلى ديارهم، ورثاء لأفرادهم. وهذا ما يجعلنا نعتقد، معتمدين في ذلك على ما قدمناه من أقوال الشعراء أنفسهم، أن النزعة العصبية كانت أهم المقومات التي استندت إليها الحياة القبلية في العصر الجاهلي، والتي كانت تتحكم في علاقة الفرد الاجتماعية بقبيلته، وكلما كانت تلك النزعة طاغية عليه اشتد التزامه بالقبيلة وأفرادها، وقوي ارتباطه بديارها وجماعها.

الحواشي والمصادر والتعليقات

- (١) مقدمة ابن خلدون: ص ١١٦، ط دار الشعب، القاهرة.
- (٢) بحث في علم الجمال: ص ٢٤، لجان برتليمي، ترجمة أنور عبدالعزيز، ط القاهرة، ١٩٧٠.
- (٣) الأصمعيات: ص ١٠٧، للأصمعي، تحقيق شاکر وهارون، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٧.
- (٤) تاريخ الطبري: ٢٢٣/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٠.
- (٥) المفضليات: ص ٦٩٥-٦٩٦، للمفضل الضبي، شرح الأنباري، ط بيروت ١٩٢٠.
- (٦) ديوان سلامة بن جندل: ص ١٥٣-١٥٤، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط حلب ١٩٦٨.
- وذو بن الأسنة: محدثها، أو أنها أُشريت سماً. والأوساق: الأجمال. والعندم: نبات يُصَبَغ به.
- (٧) ديوان الأعشى الكبير: ص ١٣١، تحقيق محمد محمد حسين، ط القاهرة ١٩٦٠.
- (٨) المؤلف والمختلف: ص ٤٢، للآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط القاهرة ١٩٦١.
- (٩) شرح القصائد العشر: ص ٣٦٥-٣٦٦، تحقيق د. فخر الدين قباوة، شرح التبريزي، ط حلب ١٩٧٣.

(١٠) المفضليات: ص ٦٢٦. والقساء: الثابتة. ونختطم العدى: نضرب

خطمهم، والخطم الأنف، ويطدون الأرض: يشدونها ويثبتونها.

(١١) خزانة الأدب: ٩٠/٣، للبغدادى عبدالقادر، تحقيق عبدالسلام هارون، ط القاهرة.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٣) الحيوان: ٤٧١/٣، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط البايي الحلبي، مصر ١٩٦٥.

(١٤) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي: ص ٤٦-٤٨، تحقيق خليل إبراهيم العطية، ط بغداد ١٩٧٠.

والشزر: فتل الحبل مما يلي اليسار، وهو أشد لفته. والمريرة: من "المِرَّة" وهي إحكام الفتل ثم أريد بها القوة. والقحم: الشيخ الكبير. والضُرْع: العَمَر الضعيف.

(١٥) ديوان الاعشى الكبير: ص ٣١.

(١٦) عيون الأخبار: ٢٢٦/١، لابن قتيبة، ط دار الكتب، مصر ١٩٢٥.

(١٧) شرح القصائد العشر: ص ١٧٤-١٧٨.

(١٨) الحيوان: ٣٣٠/١، والشرح عن الجاحظ.

(١٩) مقدمة ابن خلدون: ص ١١٦.

(٢٠) البيان والتبيين: ٢٣٩/١، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٨.

والصتم: الصحيح القوي.

(٢١) الحيوان: ٣٠/٥. وخَلَّاهَا: من "الخَلَى" وهو الرطب من النبات؛ أي جعلها كالسوائم تزداد المرعى بدون قائد.

(٢٢) تاج العروس: مادة (مأ) للزبيدي، ط مكتبة الحياة، بيروت.

(٢٣) السيرة النبوية: ١/١٢٥، لابن هشام عبد الملك، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط مصر ١٩٥٥.

(٢٤) ديوان لقيط بن يعمر: ص ٤٧.

(٢٥) ديوان الأعشى الكبير: ص ٤٩.

(٢٦) أمالي المرتضى: ١/٥٣١، للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٩٦٧.

(٢٧) الحيوان: ٩٦/٢.

(٢٨) المعمرّون والوصايا: ص ١٢٢، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط مصر ١٩٦١.

(٢٩) الأغاني: ٤٦/٥، لأبي الفرج الأصفهاني، ط دار الكتب المصرية.

وفرس وقاح: أي ذو حافر صلب، أو هو صلب قوي.

(٣٠) الأصمعيّات: ص ٧١. والنَّعامة: فرس الحارث بن عباد. ولقحت:

حملت. وعن حيال: بعد حيال، وحالت الناقة: لم تحمل، وهذا مثل ضربه لشدة الحرب.

(٣١) ديوان الملتَمِّس الضُّبَعيّ: ص ١٩-٢١، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠.

وبُهِنَّة: بطن من ضُبَيْعة، وهم عشيرة المتلمس. وأينما: أراد في أي مكان كنت فأُنني أنتمي إلى قومي.

(٣٢) الحماسة البصرية: ٩٧/١، لصدر الدين البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، ط حيدر آباد الدكن ١٩٦٤.

(٣٣) ديوان عمرو بن قميئة: ص ٣٢-٣٧، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥.

وملمومة: مجتمعة، وأراد كتيبة مجتمعة، والكواكب: هنا، معظم الشيء. والمقذحات: المتهيبات للقتال، والضمير يعود إلى الخيل. والضبائر: الجماعات ونهزجمة: أي انتزاع ما فيها. والجمة: كثرة الماء، وأراد بئراً جمّة.

(٣٤) ديوان عامر بن الطفيل: ص ٩٤، شرح الأنباري، ط بيروت ١٩٦٣. والشميل: السم.

(٣٥) ديوان بشر بن خازم: ص ١٨، تحقيق عزة حسن، ط دمشق ١٩٧٢. والآلة: الحالة. والحريب: المسلوب المال والمتاع. والشل: السوق والطرْد. والإيجاف: السير الشديد. والعُجوب: جَمْع العَجَب، وهو مؤخر كل شيء، وأراد بها الأعجاز. والعُضاريط: جمع العُضْرُوط، وهو الأجير الذي يخدم على طعام بطنه.

(٣٦) المفضليات: ص ٦٣٧.

(٣٧) ذيل الأمالي والنوادر: ص ١٧٨، لأبي علي القالي، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦.

وأخرج: يقال: ظليم أخرج، أي فيه سواد وبياض. وأكهب: يقال: بغير أكهب، أي في لونه غبرة مشربة سواداً.

(٣٨) المفضليات: ص ٥٩٤-٥٩٦. والأثلة: الشجرة، وهذا مثل.

والحرد: القصد أو الغضب. والخرقاء: الجهل. والمخنة: الأنف.

(٣٩) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: ٥٥٢/١، للبكري عبدالله، تحقيق

عبدالعزیز الميمني، ط القاهرة ١٩٣٦.

(٤٠) المحبر: ص ٢٠٥، لابن حبيب، تحقيق إيلزة ليختن شتير، ط حيدر

آباد الدكن ١٩٤٢.

(٤١) المفضليات: ص ٤٢٦. ويؤء: من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفوءاً

أن يُقتل به، وقد ترك إعلال الفعل ضرورة. وذو تحية: أراد الملك.

وأسف: دنا.

(٤٣) المفضليات: ص ٤١٤-٤١٧. والسيف: ضفة البحر. وقف ورملة:

موضعان.

وحبال: أراد بها حبال الرمال، وهي معازمها. وخبت والحرّة: موضعان.

والرجلاء: الغليظة. والشرك: موضع تشعب الطرق. والبرازيق: جمع البرزق، وهو

الموكب، وأراد به هنا الكتيبة.

(٤٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٢٢/٤، لجواد علي، ط بغداد

١٩٧٦.

(٤٤) معجم ما استعجم: ٧٦/١، للبكري عبدالله، تحقيق مصطفى السقا، ط

القاهرة ١٩٤٥.

والمغمّس والحريب وراكس أسماء مواضع. والوديم: ما تُعلّق به التمايم من

خيط أو ما شابهه. والخوارس: النسوة اللواتي يطعمن الناس في ولادة المرأة، واسم

الطعام الخرس. والعرانس: طيور تشبه الحمام. بيشة واللوى: موضعان.

والأخشاف: جمع الخشف، وهو ولد الظبي. والجوارس: الطيور المصوّتة.
والمعاطس: الأنوف.

(٤٥) معجم البلدان: مادة (شأم) لياقوت الحموي، ط بيروت ١٩٥٥.

وعانقات: جمع عاتقة، وهي الفرس الكريمة. وغاورن: نزلن الغور.

وآزل: من "أزل الفرس" إذ قصر حبله ثم سيّب؛ فكأنه لمّا غادر قومه صار
في منزلة الفرس المسيّب. وتآبّي: من "تآبّي" والياء للمتكلم.

(٤٦) ديوان المتنمّس الضبي: ص ٨٢-٩٣. وأمّرات: جمع مَرّت، وهي
الأرض التي لا نبت فيها.

وأماليس: جمع إمليس، وهي الأرض المستوية أو التي لا نبات فيها. والسبل:
الحرام. والدهاريس: الواهي، وأمّي شامية: أي اقصدي ناحية شامية. وشوس: من
"الشّوس" وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً. والبوابة: موضع بنجد.

(٤٧) الأصمعيّات: ص ١٥٠.

(٤٨) فرحة الأديب: ص ١٣٩، للفنّدجاني، تحقيق د. محمد علي سلطاني، ط
دمشق ١٩٨١.

وانظر معجم البلدان: مادة (غمران). وأوعب: استأصل. والجادع: قاطع
الأنف خاصة. والغمران، وذو نجب: مواضع في بلاد بني أسد.

والغلان: الوديان الغامضة في الأرض. والدوافع: الأراضي السهلة التي تدفع
فيها الأودية. والخو والتين والربائع: مواضع في بلاد بني أسد.

ومكاكي: جمع مكاء، وهو طائر أبيض كثير الصغير.

(٤٩) شرح ديوان الحماسة: ٢ / ٩٩١-٩٩٤ للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين
وعبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٥١.

وعواقب الأطهار: أي مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء بعقب أطهارهن.
والأكوار: جمع الكور وهو الرجل بأداته. والمجنّبات: هي الخيل التي كانوا
يجنبونها فلا يركبونها إلا في الإغارة. والعذوف: أدنى الأكل. والمساعر: هو
الذي يُسعر الحرب ويوقدها.

(٥٠) الأغاني: ٣٤/١٠.

(٥١) قصائد جاهلية نادرة: ص ١٥٨، مختارات من (منتهى الطلب) لابن
ميمون، تحقيق د. يحيى الجبوري، ط بيروت ١٩٨٢.

(٥٢) السيرة النبوية: ٢٩/٢. والقليب: البئر. والشرب: جماعة القوم الذين
يشربون. والشيزى: الجفان تصنع من الخشب. والسنام: لحم ظهر البعير.
الحومات: جمع الحومة، وهي القطعة من الإبل. والمسام: المرسل في المرعى
من دون راع. والثنية: الفرجة بين جبلين. وتعام: موضع والسّقب: ولد الناقة.

(٥٣) المغازي: ١/ ١٢٢، للواقدي، تحقيق بارسدن جونس، ط جامعة أكسفورد
١٩٦٦.

(٥٤) ديوان الخرنق بنت بدر: ص ٢٩-٣٢، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة
١٩٦٩. والتأبيه: الصوت.

(٥٥) الأصمعيات: ص ١٨٧. وفادوا: ماتوا. وحُذاق: حي من إياد. واستقل:
رحل. والزّهام: جمع الرّهمة: وهي المطر الضعيف. والهام: جمع الهامة، وهي
طائر صغير، تزعم العرب أنه يخرج من الميت.

صُنْعُ دَاوِينَ الشُّعْرَاءِ

وَنَظَرُهُ فِي شِعْرِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْمَجْمُوعِ

للمهندس حاتم غنيم

تمهيد:

ظَهَرَ فِي عَدَدٍ سَابِقٍ مِنْ مَجَلَّةِ مِجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُرْدُنِيِّ^(١) بَحْثٌ لِلأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ رُضْوَانَ مُحَمَّدٍ النَّجَّارِ، (صَنَعَ) فِيهِ شِعْرُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ. تَوَقَّفْتُ عِنْدَمَا طَالَعْتُهُ وَفَقَّةَ الْمُتَأَمِّلِ، لِعِلْمِي أَنَّ الأُسْتَاذَ الدُّكْتُورَ نُورِي حَمُودِي الْقَيْسِيَّ كَانَ جَمَعَ شِعْرَ زُفَرٍ هَذَا وَنَشَرَهُ فِي مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ^(٢) قَبْلَ مَا يُنِيفُ عَلَى أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، وَتَسَاءَلْتُ عَنْ سَبَبِ تَكَرُّرِ الْجُهِودِ، وَكَيْفَ تَقَبُّلِ مَجَلَّاتٍ مُحْكَمَةٍ نَشَرَ أَعْمَالٍ مَطْرُوقَةٍ مُعَادَةٍ، وَبِخَاصَّةٍ إِنَّ الأُسْتَاذَ النَّجَّارَ كَانَ نَشَرَ شِعْرَ خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ^(٣) بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ الأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْكَرِيمِ يَعْقُوبُ فِي مَجْمُوعِهِ لِأَشْعَارِ الْعَامِرِيِّينَ الْجَاهِلِيِّينَ^(٤)، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ إِلَّا الْأَبْيَاتَ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْ مَخْطُوطَةٍ "مُنْتَهَى الطَّلَبِ"، وَلَمْ يُدْرِكْ شَأْوَهُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ لِنَفْسِي، لَعَلَّ الأُسْتَاذَ وَقَفَ عَلَى قُصُورٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي عَمَلٍ مَنْ تَقَدَّمَ، فَأَضَافَ شَيْئاً دَفَعَهُ إِلَى إِعَادَةِ نَشْرِهِ، أَوْ لَعَلَّهُ سَلَكَ مَحَجَّةً أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي اخْتَارَهَا الْمُتَقَدِّمُ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَجْمُوعَيْنِ أَنْظُرُ فِيهِمَا، دَارِساً لهُمَا، مُقَارِناً بَيْنَهُمَا، ثُمَّ أَعَدْتُ تَصَفِّحَ كِتَابِ "شُعْرَاءِ وَدَاوِينَ"^(٥)

(١) العدد (٣٣) تموز - كانون الأول سنة ١٩٨٧، ص ٢١٥ - ٢٨٢.

(٢) المجلد (٣٥) الجزء الأول - كانون الثاني سنة ١٩٨٤، ص ١٤٢ - ١٧٢.

(٣) مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العددان ١٤/١٣ سنة ١٤٠٣ - ١٤٠٤ هـ ص ٥٤٣ - ٦٢٣.

(٤) "أشعار العامريين الجاهليين" دار الحوار - اللاذقية سنة ١٩٨٢.

(٥) مكتبة دار الشرق - بيروت سنة ١٩٧٨، وقد استعرض فيه المؤلف ما وقف عليه من الدواوين المنشورة.

لِلأُسْتَاذِ عَبْدِوَهَّابِ الصَّابُونِيِّ، فَوَصَلْتُ إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الْإِفْتِتَاحِ بِأَنَّ الْكَثْرَةَ الْكَاثِرَةَ مِنْ عُلَمَائِنَا الَّذِينَ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى خُطَّةِ عَمَلِ دَوَاوِينِ شُعْرَانِنَا الْقُدَامَى تَنَاطَلُوا الْأَمْرَ مِنْ أَمِّمْ، وَسَلَكُوا الْجَدَدَ الْمُطْمَئِنِّ فَانْكَنَفُوا بِالْجَمْعِ، وَهُوَ سَبِيلٌ بَعِيدٌ عَنِ الْمَزَالِقِ وَالْعَوَاقِقِ، نَاءٍ عَنِ الزَّلَلِ وَالْعِثَارِ، وَإِنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ نَصَبٍ وَعَنَاءٍ وَكَدٍّ، فَلَا غَرْوَ أَنَّ اسْتَسْهَلَهُ الشُّدَّةُ، وَطَرَفَهُ الْعَامِلُونَ، لِقُرْبِ مَرَامِهِ وَيُسْرَ مَطْلَبِهِ. وَلَا ضَيْرَ فِي ذَلِكَ مَتَى كَانَ الْعَمَلُ ابْتِدَاءً، فَجَمْعُ الشَّعْرِ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ، أَمَّا الْإِقْتِضَاءُ دُونَمَا زِيَادَةً أَوْ إِنَافَةً، فَخَيْرٌ مِنْهُ الْاِكْتِفَاءُ بِمَا سَيَقُ، ثُمَّ اسْتِدْرَاكُ النَّقْصِ وَسَدُّ الْخَلَلِ وَإِصْلَاحُ الْفَاسِدِ، فَتَنَمُّ بِذَلِكَ الْفَائِدَةُ، وَلَا يَضِيعُ الْجَهْدُ فِيمَا لَا طَائِلَ فِيهِ وَلَا غَنَاءَ. عَلَى أَنَّ الْخِدْمَةَ الْحَقَّةَ لِهَذِهِ الدَّوَاوِينِ تَتَطَلَّبُ أُمُورًا أُخْرَى غَيْرَ الْجَمْعِ، تُوَطَّى وَعَرَهَا، وَتُدَلُّ صَعْبَهَا، وَتُيَسَّرُ الْاِئْتِفَاعُ بِهَا، وَلَقَدْ نَهَضَ عُلَمَاؤُنَا الْقُدَمَاءُ بِكَثِيرٍ مِنْهَا، وَصَرَفُوا فِيهَا عِنَايَتَهُمْ. وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا أَوفَى مِنَّا بِهَذَا الْعَمَلِ وَأَغْنَى، فَمَا عَلَيْنَا لَوْ اتَّبَعْنَا قَصْدَهُمْ فِيمَا طَرَقُوا، وَتَصَدَّقْنَا لِأَشْيَاءَ مِمَّا تَرَكَوا، فَمَا أَغْفَلُوا إِلَّا لاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا، عَلَى حَاجَتِنَا إِلَيْهَا فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَأَنَا مُبَيِّنٌ - بِعَوْنِ اللَّهِ - فِي بَحْثِي هَذَا. الْأُسُسَ الرَّئِيسَةَ لِلْمُنْهَجِ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ اتِّبَاعُهُ فِي صُنْعِ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ، لِيَقْرُبَ مَأْخَذُهَا وَتَسْهَلَ الْإِفَادَةُ مِنْهَا.

جَمْعُ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ:

يَقُولُ عَبْدُ الْكَرِيمِ النَّهْسَلِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ^(٦): "لَمَّا رَأَتْ الْعَرَبُ الْمُنْثَوْرَ يَبْدُ عَلَيْهِمْ، وَيَنْفَلِتُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ أَفْعَالَهُمْ، تَدَبَّرُوا الْأَوْزَانَ وَالْأَعَارِضَ، فَأَخْرَجُوا الْكَلَامَ أَحْسَنَ مُخْرَجٍ، بِأَسَالِيبِ الْغِنَاءِ، فَجَاءَهُمْ مُسْتَوِيًّا، وَرَأَوْهُ بَاقِيًّا عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ، فَأَلَّفُوا ذَلِكَ وَسَمَّوْهُ شِعْرًا، وَالشَّعْرُ عَنْدهُمْ: الْفِطْنَةُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: لَبِثَ

(٦) "المتع في علم الشعر وعمله" تحقيق د. منجي الكعبي - الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - سنة ١٩٧٨، ص ٣٠.

شُعْرِي: أَي لَيْتَ فِطْنَتِي. وَالشَّعْرُ أُنْبَلِغُ الْبَيَانَيْنِ، وَأَطْوَلُ اللَّسَانَيْنِ، وَأَدْبُ الْعَرَبِ
المأثور، وَدِيوانُ عِلْمِهَا المَشْهُورُ..".

وَيَقْتَفِي ابْنُ رَشِيقٍ أَثَرَ شَيْخِهِ النَّهْشَلِيِّ، فَيَرَدُّ آراءَهُ بِعَيْنِهَا ثُمَّ يَقُولُ^(٧): "وَقِيلَ:
مَا تَكَلَّمَتِ الْعَرَبُ بِهِ مِنْ جَيْدِ الْمَثُورِ أَكْثَرَ مِمَّا تَكَلَّمَتْ بِهِ مِنْ جَيْدِ الْمَوْزُونِ، فَلَمْ
يُحْفَظْ مِنَ الْمَثُورِ عُسْرُهُ، وَلَا ضَاعَ مِنَ الْمَوْزُونِ عُسْرُهُ ..".

هَكَذَا فَسَّرَ النَّهْشَلِيُّ، وَابْنُ رَشِيقٍ مِنْ بَعْدِهِ، ظَاهِرَةَ حِرْصِ الْعَرَبِ عَلَى قَوْلِ
الشَّعْرِ: بِنَقَائِهِ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ، وَسُهولةِ حِفْظِهِ، فَلَا عَجَبَ أَنْ اهْتَمَّ بِهِ الْعَرَبُ مُنْذُ
الْقَدَمِ وَحَرِصُوا عَلَى حِفْظِهِ وَاعْتَنَوْا بِرِوَايَتِهِ، فَقَدْ مَكَّنَتْهُ صِفَةُ الْبَقَاءِ وَسُهولةُ الْحِفْظِ
مِنْ أَنْ يُصْبَحَ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَسِيلَةَ الْإِعْلَامِ^(٨) الْوَحِيدَةَ الْمُتَاحَةَ، يُعَبَّرُونَ
بِوَسَاطَتِهَا عَنْ تَطَلُّعَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ، وَيُشِيدُونَ بِمَفَاخِرِهِمْ وَانْتِصَارَاتِهِمْ، وَيَتَهَدَّدُونَ
وَيَسْتَعْطِفُونَ، وَيَسْتَرْضُونَ وَيُعَاتِبُونَ، وَيَمْدَحُونَ وَيَذُمُّونَ. وَلَمْ تَكُنِ الْخُطَابَةُ فِي ذَلِكَ
الْعَصْرِ تَنَافُسُ الشَّعْرِ فِي دَوْرِهِ هَذَا، فَإِنَّ الْقَلِيلَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْخُطَبِ الَّتِي
كَانَتْ تُقَالُ فِي "الْأَسْوَاقِ" - كَسُوقِ عُكَاظٍ - لَمْ يَكُنْ يَرْقَى مَرَاقِيَ الْوَسِيلَةِ الْإِعْلَامِيَّةِ
الرَّئِيسَةِ: الشَّعْرِ. لِذَلِكَ رَأَيْنَا الْقَبَائِلَ تُجَلِّلُ شُعْرَاءَهَا وَتُعْنِي بِأَشْعَارِهِمْ وَتُهَنِّئُ بِظُهُورِهِمْ
وَتُبْغِوْغِهِمْ. وَقَدْ كَانَتْ حَنِيفَةً - مَثَلًا - مِنْ أَكْثَرِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِأَسَاءٍ
وَعَدَدًا وَرَخَاءً، وَكَانَتْ مُظْفَرَةً فِي مَعَارِكِهَا، غَنِيَّةً فِي مَوَارِدِهَا، لَكِنَّهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا بَيْنَ
الْقَبَائِلِ الذَّكَرِ الَّذِي كَانَ لِشَيْبَانَ وَتَغْلِبَ، وَعَامِرَ وَتَمِيمَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِقِلَّةِ حَظِّهَا مِنَ
الشَّعْرِ^(٩)، فَأَدَّى افْتِقَارُهَا إِلَى "المَصَادِرِ الْإِعْلَامِيَّةِ" أَنْ تُتَوَسَّيْتُ مَاتَرُهَا وَجُهِلَتْ

(٧) "العمدة" تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي - القاهرة سنة ١٩٣٤، ص ٧، ٨.

(٨) كان هذا في الجاهلية، قبل أن تصبح الخطابة (في الإسلام) وسيلة الإعلام الرسمية. ولنا مقالة - ستُنشر قريباً
بإذن الله - تبحث في الدور الإعلامي لكل من الشعر والخطابة.

(٩) يذكر الجاحظ في كتابه "الحيوان" - تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة (المصورة)، دار الكتاب العربي،
بيروت سنة ١٩٦٩، ص ٣٨٠ - أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ شُعْرًا.

مَكَارِمُهَا وَمَفَاخِرُهَا، فَقَنِعَتْ بِالذِّكْرِ الضَّنِيلِ فِي عَصْرِ كَانَ الصَّيْتُ فِيهِ أَنْفَذَ مِنَ الْفِعْلِ وَالسُّمْعَةُ أَقْوَى مِنَ الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى أَثَرِ الشَّعْرِ فِي تَنْشِيرِ الْمَكَارِمِ وَحِفْظِ الْمَفَاخِرِ فَقَالَ^(١٠): "وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ عَلَى شَرْفِهِ وَمَا يَدَّعِيهِ لِسَلَفِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَعَالِ الْحَمِيدِ بَيَّتَ مِنْهُ - أَيِ الشَّعْرِ - شَدَّتْ مَسَاعِيهِ وَإِنْ كَانَتْ مَشْهُورَةً، وَدَرَسَتْ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ وَإِنْ كَانَتْ جِسَاماً. وَمَنْ قَيَّدَهَا بِقَوَافِي الشَّعْرِ، وَأَوْثَقَهَا بِأَوْزَانِهِ، وَأَشْهَرَهَا بِالْبَيْتِ النَّادِرِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ وَالْمَعْنَى اللَّطِيفِ، أَخْلَدَهَا عَلَى الدَّهْرِ، وَأَخْلَصَهَا مِنَ الْجَحْدِ ..".

كُلُّ هَذَا يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِلتَّبَعِيرِ عَنِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ وَالرَّغَبَاتِ وَالْأَمَالِ وَالتَّجَارِبِ وَالْمُعَانَاةِ لَدَى الشَّاعِرِ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَ أَيْضاً "مِهْنَةً" أَوْ "صِنَاعَةً" يَحْتَرِفُهَا الشَّاعِرُ، تَهْدَفُ إِلَى الْإِعْلَانِ عَنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ أَوْ نَظَرِ الْقَبِيلَةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا فِي أُمُورِ كَانَتْ الْحَيَاةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ بُنِيَتْ عَلَيْهَا. وَكَانَ لِمِهْنَةِ "الإعلام" هَذِهِ مِنَ الضَّرُورَاتِ وَالْاِحْتِيَاجَاتِ وَالْمَهَارَاتِ مَا أَوْجَبَ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ "يَتَدَرَّبَ" عَلَى يَدِ مُعَلِّمٍ خَبِيرٍ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِيَتَهَيَّأَ لَهُ الْقِيَامُ بِالْمِهْنَةِ الْمُتَوَطَّئَةِ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، فَجَاءَتْ ظَاهِرَةُ "الشُّعْرَاءِ الرُّوَاةِ" بَيَاناً لِهَذَا الْاِتِّجَاهِ، إِذِ التَّحَقَّ كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ رَغِبُوا فِي احْتِرَافِ الشَّعْرِ بِأَسَاتِذَةٍ كَانَتْ لَهُمْ بَاعٌ فِي النِّظْمِ وَشُهْرَةٌ، يَجْمَعُونَ أَشْعَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَهَا وَيُرَدِّدُونَهَا، فَسَمِعْنَا أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ كَانَ رَاوِيَةً أَبِي دَاوُدَ الْإِيَادِيَّ، وَزُهَيْراً رَاوِيَةً أَوْسَى بْنِ حَجَرٍ، وَكَعْباً رَاوِيَةً أَبِيهِ زُهَيْرٍ، وَالْحُطَيْيَّةَ رَاوِيَةً زُهَيْرٍ وَابْنِهِ كَعْبٍ، وَهَذْبَةَ بْنَ الْخَشْرَمِ رَاوِيَةً الْحُطَيْيَّةِ وَجَمِيلاً رَاوِيَةً هَذْبَةَ، وَكَثِيراً رَاوِيَةً

(١٠) "عيون الأخبار" - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة سنة ١٩٦٣ - ج ٢

جَمِيلٍ^(١١)، فَلَعَلَّ أَفْذَمَ صُورٍ جَمَعَ دَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ كَانَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حِفْظِهَا وَإِذَاعَتِهَا مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ الْمُتَتَلِمِينَ لَهُمْ، عَلَى أَنَّ الرُّوَاةَ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّاعِبِينَ فِي اخْتِرَافِ الشُّعْرِ، بَلْ نَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ رَوَى لَشَاعِرٍ مَا حُبًّا فِي شِعْرِهِ وَإِعْجَابًا، مِثْلَ يَحْيَى بْنِ مَتَى^(١٢) رَاوِيَةَ الْأَعَشَى الَّذِي كَانَ عِبَادِيًّا مِنْ نَصَارَى الْحِيرَةِ، وَلَمْ يَجْمَعْهُ وَالْأَعَشَى مِنْ صِلَةٍ سِوَى إِعْجَابِهِ بِمَا يَقُولُ، وَمَا سَمِعْنَا لَهُ بِشِعْرِ وَلَا عَرَفْنَا أَنَّهُ قَالَ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا خَيْرًا لِلدَّوَاوِينَ، لِأَنَّ جَمْعَهُمْ لَهَا غَايَةٌ لَا وَسِيلَةَ، وَالْوَسِيلَةُ تُتْبَذُّ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ. وَمَا أَظُنُّ امْرَأَ الْقَيْسِ - بَعْدَ إِثْقَانِهِ قَوْلَ الشُّعْرِ وَشُهْرَتِهِ بِهِ - حَافِظَ عَلَى رِوَايَةِ شِعْرِ أَبِي دَاوُدَ، وَلَا فَعَلَ ذَلِكَ زُهَيْرٌ لِأَوْسٍ. كَمَا لَا أَرَى مَنْ جَمَعَ قَوْلَ شَاعِرٍ إِعْجَابًا بِهِ وَرَغْبَةً فِيهِ تَارِكًا رِوَايَتَهُ إِلَّا لِحَادِثَةٍ أَوْ لِعَلَّةٍ. عَلَى أَنَّ مَا يَهْمُنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ أَسْبَابَ الرُّوَايَةِ تَعَدَّدَتْ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى حِفْظِ دَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ الْفُحُولِ.

ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّ الْقَبَائِلَ كَانَتْ تَحْفَظُ الْقَصَائِدَ الَّتِي قَالَهَا الشُّعْرَاءُ تَمَجِيدًا لَهَا وَفَخْرًا بِانْتِصَارَاتِهَا وَمَذْحًا لِرُعْمَائِهَا وَإِسَادَةً بِأَبْطَالِهَا وَهَجَاءً لِأَعْدَائِهَا^(١٣). وَمَعَ أَنَّنَا قَدْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعُدَّ هَذَا جَمْعًا لِدَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ، إِذْ رُبَّمَا أَهْمَلَتِ الْقَبَائِلُ الْأَشْعَارَ مَا لَمْ تَكُنْ دِعَايَةً لَهَا وَإِعْلَانًا عَنْ فَضَائِلِهَا وَأَمْجَادِهَا، إِلَّا أَنَّنَا نَقِفُ أَمَامَ صُورَةٍ أُخْرَى مِنْ صُورِ جَمْعِ الشُّعْرِ؛ هِيَ الدَّوَاوِينُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ مَوَاضِيَعٍ مُحَدَّدَةٍ. وَكَانَ أَفْذَمُ مَا

(١١) انظر: "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام - تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني سنة ١٩٧٤ - ص ٩٧، ١٠٤. و"الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني - طبعة دار الثقافة ببيروت سنة ٥٥ - ١٩٦٤ - ج ٨ ص ٩١، ج ٢١ ص ٢٧٧ و"العمدة" ج ١ ص ١٧٢.

(١٢) اختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل يونس وقيل عبيد، ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد في "مصادر الشعر الجاهلي" - الطبعة الخامسة، دار المعارف سنة ١٩٧٨، ص ٢٤٠ - أنها أسماء ثلاثة لرجل واحد.

(١٣) نكاد نجزم أن هذا كان أصل مجموعات أشعار القبائل التي وصل إلينا منها مجموع أشعار هذيل، والمنتدبر لهذا المجموع يجده ربما حوى لشاعر بضعة أبيات فقط، ولم يلم بكامل شعره.

وَصَلَ إِلَيْنَا عَنْ تَدْوِينِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ ابْنُ سَلَامٍ^(١٤) مِنْ أَنَّهُ "كَانَ عِنْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ مِنْهُ دِيْوَانٌ فِيهِ أَشْعَارُ الْفُحُولِ وَمَا مُدِحَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ بِهِ، صَارَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي مَرْوَانَ، أَوْ صَارَ مِنْهُ..". وَلَعَلَّ هَذِهِ أَوَّلُ إِشَارَةٍ صَرِيحَةٍ عَرَفْنَاهَا عَنْ تَدْوِينِ الْمَجَامِيعِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ.

ثُمَّ تَتَوَالَى أَخْبَارُ حِفْظِ الشَّعْرِ وَرَوَايَتِهِ. فَنَرَى مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى تَوْضِيحِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ لَا يُفَسِّرُ آيَةً إِلَّا اسْتَشْهَدَ عَلَى قَوْلِهِ بِشِعْرِ جَاهِلِيٍّ، وَنَرَى مَنْ حَفِظَهُ تَأْدِيبًا وَتَضَرُّفًا، مِثْلَ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، وَمَنْ رَوَاهُ تَوْسَعًا فِي الْعِلْمِ وَاسْتِزَادَةً، مِثْلَ الشَّعْبِيِّ وَقَتَادَةَ، بَلْ نَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُنَالَ بِهِ حُظْوَةً لَدَى الْخُلَفَاءِ، مِثْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِي رَوَى الشَّعْرَ لِمَا عَرَفَهُ مِنْ حُبِّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَهُ^(١٥). لَكِنَّا لَمْ نَسْمَعْ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْأَشْعَارَ وَدَوَّنُوهَا، وَإِنَّمَا حَفِظُوهَا وَاسْتَشْهَدُوا بِهَا، فَهُمْ إِذَنْ لَيْسُوا مِمَّنْ تَقَصَّدَ جَمَعَ الدَّوَابِّ، وَلَا عِلَاقَةً لَنَا بِهِمْ فِي بَحْثِنَا هَذَا.

ثُمَّ نَعُودُ فَنُطَالِعُ إِثْرَ ذَلِكَ أَخْبَارَ اهْتِمَامِ الْقَبَائِلِ بِشِعْرِ شُعْرَائِهَا الْقُدَامَى، وَأَنَّ مِنْهَا مَنْ وَجَدَتْ مَا قِيلَ فِي "الدَّعَايَةِ" لَهَا نَزْرًا فَأَصَافَتْ إِلَيْهِ وَزَادَتْ فِيهِ^(١٦)، وَهَذَا يَنْقُلُنَا إِلَى نَظَرِيَّاتِ الشَّعْرِ الْمُنْحُولِ، وَصِحَّةِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ بِخَاصَّةٍ. وَلَا يَهْمُنَا هَذَا الْأَمْرُ هُنَا فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَلَنْ نَتَطَرَّقَ إِلَى تَرْجِيحِ رَأْيٍ أَوْ رَفْضٍ آخَرَ^(١٧)، فَمَا هَذَا مَوْضُوعُ الدِّرَاسَةِ، وَأَنْ كُنَّا قَدْ نَمَسُّ الْمَسْأَلَةَ مَسًّا رَفِيقًا عِنْدَ التَّحَدُّثِ عَنِ التَّوْتُقِّ فِي رِوَايَةِ الشَّعْرِ.

(١٤) "طبقات فحول الشعراء" ص ٢٥.

(١٥) "الحيوان" ج ٥ ص ١٩٤.

(١٦) "طبقات فحول الشعراء" ص ٤٦.

(١٧) تناول كتاب "مصادر الشعر الجاهلي" - ص ٢٨٧ إلى ٤٧٨ - موضوع الشك في هذا الشعر بما لا مزيد عليه.

ثُمَّ تَصِلُ إِلَيْنَا بَعْدَ أَخْبَارِ الْعُلَمَاءِ الرُّوَاةِ، كَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَخَلْفِ الْأَحْمَرِ وَحَمَادِ الزَّائِيَةِ، فَتَعْرِفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ جَمَعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَرَوَوْهُ وَدَوَّنُوهُ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ تَلَامِيذُهُمْ كُلُّ هَذَا الَّذِي جَمَعُوهُ وَرَوَوْهُ وَدَوَّنُوهُ، فَيُمَثِّلُ ذَلِكَ لَنَا وَجْهًا آخَرَ مِنْ وَجْهِ جَمْعِ الشَّعْرِ.

وَيَخْلُصُ لَدَيْنَا - مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ - سُبُلٌ ثَلَاثٌ عَرَفْنَاهَا لِجَمْعِ الشَّعْرِ قَدِيمًا: أَوَّلَاهَا مَا سَلَكَهُ الرُّوَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَشْعَارَ أَسَاتِدَتِهِمْ أَوْ مَنْ أُعْجِبُوا بِشِعْرِهِ فَرَوَوْهُ. وَثَانِيَّتُهَا مَا انْتَهَجَهُ رُوَاةُ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ اهْتَمَّوْا بِجَمْعِ الْقَصَائِدِ الَّتِي تُمَجَّدُ عَشَائِرُهُمْ وَتُشِيدُ بِمَآثِرِهَا وَوَقَائِعِهَا، وَلَعَلَّ مِنْهُمْ مَنْ زَادَ فِيهَا وَتَكَثَّرَ، لَكِنَّ ذَلِكَ يَبْقَى صُورَةً مِنْ صُورِ جَمْعِ الشَّعْرِ. وَثَالِثَتُهَا مَا اسْتَنَتْهُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ اهْتَمَّوْا بِرِوَايَةِ الشَّعْرِ لِمَا رَأَوْا مِنْ رَوَاجِ سَوْقِهِ أَوْ لِمَا تَقَصَّدُوهُ مِنَ الْحِفَاطِ عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ، لِأَنَّهُ أَسَاسٌ لِفَهْمِ اللُّغَةِ، وَمَصْدَرٌ لِمَعْرِفَةِ الْأَخْبَارِ وَالْوَقَائِعِ وَالْأَمَاكِنِ، أَوْ لِعَبْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

مِيزُ صَحِيحِ الشَّعْرِ مِنْ زَائِفِهِ:

يَقُولُ ابْنُ سَلَّامٍ^(١٨): "وَلَيْسَ يُشْكِلُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ زِيَادَةُ الرُّوَاةِ وَلَا مَا وَضَعُوا، وَلَا مَا وَضَعَ الْمُؤَلَّدُونَ، وَإِنَّمَا عَضَلَّ بِهِمْ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْ وَلَدِ الشُّعْرَاءِ، أَوْ الرَّجُلُ لَيْسَ مِنْ وَلَدِهِمْ، فَيُشْكِلَ ذَلِكَ بَعْضَ الْإِشْكَالِ". ثُمَّ يُخْبِرُنَا بَعْدَ^(١٩) أَنْ جَرِيرًا رَفَدَ هِشَامًا الْمُرِّيَّ - وَكَانَ يُهَاجِي ذَا الرُّمَّةِ - بِأَبْيَاتٍ أَوَّلُهَا:

غَضِبْتَ لِرَهْطٍ مِنْ عَدِيٍّ تَشَمَّسُوا وَفِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ تَشَمْسَ رِحَالُهَا

(١٨) "طبقات فحول الشعراء" ص ٤٦-٤٧.

(١٩) "طبقات فحول الشعراء" ص ٥٥٧-٥٥٨.

وَأِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ جَرِيرٌ لِتُهْمَتِهِ ذَا الرُّمَّةِ وَمِثْلِهِ إِلَى الْفَرَزْدَقِ. فَلَمَّا بَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ ذَا الرُّمَّةِ قَالَ: "وَاللَّهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ هِشَامٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ ابْنِ الْأَتَانِ.. هُوَ وَاللَّهِ شِعْرُ حَنْظَلِيِّ عَدَوِيٍّ...". وَيُعِيدُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ^(٢٠) قَصَّ هَذَا الْخَبَرِ، وَيَزِيدُ فِيهِ أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ عَتَبَ عَلَى جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ وَذَكَرَهُ خُوَوْلَةً لَهُ فِي بَنِي عَدِيٍّ - رَهْطِ ذِي الرُّمَّةِ - وَتَبَرَّأَ لَهُ مِنْ مُمَالَأَتِهِ لِلْفَرَزْدَقِ، فَرَفَدَهُ بِأَبْيَاتٍ ثَلَاثَةً أَوَّلُهَا:

يَعُدُّ النَّاسِ بُنُونٌ إِلَى تَمِيمٍ يُبَوِّتُ الْمَجْدَ أَرْبَعَةً كِبَارًا

فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ قَصِيدَةً طَوِيلَةً - عَدَدُ أَبْيَاتِهَا فِي دِيْوَانِهِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ بَيْتًا - أَلْحَقَ الْأَبْيَاتَ بِهَا، فَلَمَّا سَمِعَهَا الْمَرْئِيَّ جَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ: "مَالِي وَلِجَرِيرٍ!!". ثُمَّ يَذْكُرُ الْأَصْفَهَانِيُّ أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ أَنْشَدَ الْفَرَزْدَقَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ الطَّوِيلَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَبْيَاتِ اسْتَعَادَهَا ثُمَّ قَالَ: "كَذَبَ فُوكٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَحَلَّكَهَا أَشَدُّ لَحْيَيْنِ مِنْكَ. هَذَا شِعْرُ ابْنِ الْأَتَانِ".

وَيُشِيرُ أَبُو بَكْرِ الصُّوْلِيُّ^(٢١) إِلَى هَذَا الْخَبَرِ وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: "فَانْظُرْ إِلَى نَفْسِ الْفَرَزْدَقِ وَنَمَيِّزِهِ لِأَبْيَاتٍ تُشَبِّهُ أَبْيَاتًا لِشَاعِرٍ مُفْلِقٍ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى مَيَّزَهَا" وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ رَفَدَ عَمْرَ بْنَ لَجَأٍ بِبَيْتَيْنِ، زَادَهُمَا فِي قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ - تَعْدَادُهَا فِي دِيْوَانِهِ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ بَيْتٍ - فَعَرَفَ جَرِيرٌ أَنَّهُمَا لِلْفَرَزْدَقِ^(٢٢).

(٢٠) "الأغاني" ج ٨ ص ٥٦، ج ١٧ ص ٣٢١-٣٢٢.

(٢١) "ديوان أبي نواس" برواية الصولي - تحقيق د. بهجت الحديشي، دار الرسالة للطباعة بغداد سنة ١٩٨٠ - ص ٦١-٦٣.

(٢٢) المصدر نفسه ص ٦٤، و"الأغاني" ج ٢١ ص ٣٤٩-٣٥٠.

وَيَقُولُ ابْنُ سَلَامٍ (٢٣) عَنْ عُبَيْدَةَ أَنَّ دَوَادَ بْنَ مُتَمِّمٍ بِنِ نُؤَيْرَةَ "قَدِمَ الْبَصْرَةَ فِي بَعْضِ مَا يَفْدَمُ لَهُ الْبَدَوِيُّ مِنَ الْجَلْبِ وَالْمِيرَةِ، فَزَلَّ النَّحِيتَ، فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَابْنُ نُوْحِ الْعَطَارِدِيِّ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ شِعْرِ أَبِيهِ مُتَمِّمٍ وَقُمْنَا لَهُ بِحَاجَتِهِ وَكَفَيْنَاهُ ضَيْعَتَهُ، فَلَمَّا نَفَدَ شِعْرُ أَبِيهِ، جَعَلَ يَزِيدُ فِي الْأَشْعَارِ وَيَصْنَعُهَا لَنَا، وَإِذَا كَلَامٌ دُونَ كَلَامٍ مُتَمِّمٌ، وَإِذَا هُوَ يَحْتَذِي عَلَى كَلَامِهِ، فَيَذْكُرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي ذَكَرَهَا مُتَمِّمٌ، وَالْوَقَائِعَ الَّتِي شَهِدَهَا. فَلَمَّا تَوَالَى ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَفْتَعِلُهُ".

وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الْخَبَرُ - عَلَى إِيجَازِهِ - أُمُورًا كَثِيرَةً لَافِتَةً لِلنَّظَرِ:

أَوَّلُهَا أَنَّ دَاوِدَ هَذَا حَفِظَ شِعْرَ أَبِيهِ، وَهَذَا جَمْعٌ.

وِثَانِيهَا أَنَّهُ زَادَ فِيهِ مُحْتَذِيًا كَلَامَهُ، وَهَذَا تَكْثِيرٌ وَنَحْلٌ وَافْتِعَالٌ.

وِثَالِثُهَا أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي ذَكَرَهَا مُتَمِّمٌ، لِكَيْ يَجُوزَ شِعْرُهُ الْمَنْحُولُ عَلَى الشُّدَاةِ.

وِرَابِعُهَا أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ الْوَقَائِعَ الَّتِي شَهِدَهَا مُتَمِّمٌ، لِلِسَبَبِ نَفْسِهِ.

وَخَامِسُهَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِالشَّعْرِ لَاحِظُوا أَنَّ الْكَلَامَ الْمُفْتَعَلَ كَانَ دُونَ كَلَامٍ مُتَمِّمٍ، وَلَمْ يَجْزِ عَلَيْهِمْ.

وَالْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ تَشْرُحُ لَنَا بَعْضَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي مَيَّزَ الْعُلَمَاءُ بِهَا مَنْحُولَ الشَّعْرِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْوَقَائِعِ، وَمَعْرِفَةُ لُغَةِ الشَّاعِرِ وَأُسْلُوبِهِ وَ"كَلَامِهِ".

(٢٣) "طبقات فحول الشعراء" ص ٤٧-٤٨.

فَهَذِهِ أَخْبَارٌ تُقِيدُنَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِالشَّعْرِ كَانُوا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ قَوْلِ شَاعِرٍ وَآخَرَ، وَبَيْنَ الْأَصِيلِ وَالْمَوْضُوعِ، وَالصَّحِيحِ وَالزَّائِفِ، وَالْعَثِّ وَالسَّمِينِ. وَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ عَفْوَاً وَحَدْساً بَلْ تَمَّ وَفَّقَ أُسُسٍ وَقَوَاعِدَ عِلْمِيَّةٍ، مَعَ مِرَانٍ وَذُرِّيَّةٍ وَمُمَارَسَةٍ وَمَلَكَةٍ، وَفَهُمْ عَمِيقٌ لِلْأَنْمَاطِ الْكَلَامِ وَأَسَالِيهِ، وَطُرُقِ التَّعْبِيرِ وَمَنَاحِيهِ، وَلُغَاتِ الْقَبَائِلِ وَلَهْجَاتِهَا، وَخَوَاصِّ الْمَدَارِسِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَمُمَيِّزَاتِهَا. أَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مَعْرِفَةٌ وَاسِعَةٌ بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ، وَمِيَاهِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَأَدْيَانِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَابِدِهِمْ، وَأَسْوَاقِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، وَأَخْلَافِهِمْ وَمُنَافَرَاتِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ، وَمَا يَحْمَدُونَ وَيَذْمُونَ وَبِمِ يَنْفَعَالُونَ وَيَتَشَاءَمُونَ وَمَا يَقْبَلُونَ وَيَرْفُضُونَ وَقَدْ كَوَّنَ هَذَا لَدَيْهِمْ أَدَاةً نَفْدٍ فَعَالَةٍ، لَا نَكَادُ نَطْمَعُ نَحْنُ - فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ - أَنْ يَتَوَقَّرَ لَدُنَا مِثْلُهَا.

صُنْعُ الدَّوَاوِينِ الشَّعْرِيَّةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ:

يَقَعُ الْمُتَدَبِّرُ لِمَا حَفَلَتْ بِهِ الْمَظَانُّ مِنْ أَخْبَارٍ عَنْ رِوَايَةِ الشَّعْرِ وَلَمْ شَعَثِهِ عَلَى أَشْيَاءَ تَسْتَرَعِي النَّظَرَ لِمَا حَظِيَ بِهِ هَذَا الشَّعْرُ مِنْ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ مُنْذُ الْقَدَمِ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ رِوَايَةَ الْأَعْشَى^(٢٤) سَأَلَهُ عَمَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ:

وَمُدَامَةً مِمَّا تُعْتَقُّ بِأَبْلِ كَدَمِ الدَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

فَقَالَ الْأَعْشَى: "شَرِبْتُهَا حَمْرَاءَ وَبُلْتُهَا بَيْضَاءَ فَسَلَبْتُهَا لَوْنَهَا". وَمَعَ أَنَّ نَرَى تَفْسِيرَاتٍ لِهَذَا الْبَيْتِ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ^(٢٥)، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهُ شَرِبَهَا حَمْرَاءَ

(٢٤) "الشعر و الشعراء" لابن قتيبة - طبعة دار الثقافة ببيروت - سنة ١٩٦٤، ص ١٨١، و"المعرب" للجوالقي -

تحقيق أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية - دار الكتب سنة ١٩٦٩، ص ١٥١.

(٢٥) "المعرب" ص ١٥١، و"لسان العرب" لابن منظور (جرل).

فَأَنْتَقَلَ احِمَارُ لَوْنَهَا إِلَى وَجْهِهِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْمَلَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا التَّوَقُّفُ قَلِيلاً أَمَامَ هَذَا الْخَبَرِ لِمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ - صَرَاحَةً - مِنْ أَنَّ الرَّأْيِيَّةَ لَمْ يَكْتَفِ بِحِفْظِ الشَّعْرِ بَلْ اِهْتَمَّ بِشَرْحِهِ أَيْضاً.

وَتُخْبِرُنَا الْمَظَانُّ أَنَّ حَمَاداً الرَّأْيِيَّةَ "كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَسَاقَ أَحَادِيثَهَا"^(٢٦)، فَهَذِهِ سِيَاقَةٌ لِأَحَادِيثِ الْأَشْعَارِ، عِلَاوَةً عَلَى الْجَمْعِ.

وَتَسْمَعُ أَنَّ رُؤَاةَ الْفَرَزْدَقِ كَانُوا "يُعَدِّلُونَ مَا انْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ" وَكَذَلِكَ كَانَ رُؤَاةُ جَرِيرٍ "يُقَوِّمُونَ مَا انْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ السَّنَادِ"^(٢٧)، فَهَذَا تَقْوِيمٌ لِلشَّعْرِ وَتَصْحِيحٌ. وَكُلُّهَا اتِّجَاهَاتٌ فِي "خِدْمَةِ" الشَّعْرِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى شَرْحِهِ بَلْ تَعَدَّتْهُ إِلَى نَوَاحٍ أُخْرَى بِقَصْدِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى فَهْمِ الشَّعْرِ وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ. وَيُمْكِنُ تَلْخِيصُ مَا قَدَّمَ الرُّؤَاةُ الْأَوَائِلُ لِذَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ - إِضَافَةً إِلَى الْجَمْعِ - بِمَا يَلِي:

أ - التَّفْسِيرُ وَبَيَانُ مُشْكِلِ الْمَعَانِي.

ب - سِيَاقَةُ أَحَادِيثِ الْأَشْعَارِ وَمُنَاسَبَاتِهَا.

ج - التَّعْرِيفُ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَشْعَارِ.

د - وَصْفُ الْمَوَاقِعِ وَالْمِيَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا وَتَحْدِيدُهَا.

ه - تَقْوِيمُ النَّصِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ.

(٢٦) "طبقات فحول الشعراء" ص ٤٨.

(٢٧) "الأغاني" ج ٤ ص ٢٦٠، ٢٦١. ولا نجد سناداً فيما وصل إلينا من شعر جرير، والنص يشير إلى وجوده وتقويم الرواة له.

وَنَحْسَبُ أَنَّ بِاسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نُضَيِّفَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ تَرْتِيبَ الدِّيَوَانِ بِحَسَبِ التَّسْلُسِلِ الزَّمَنِيِّ، فَإِنَّ رَوَاهُ الشَّعْرُ غَالِباً مَا كَانُوا يَحْفَظُونَهُ قَوْرَ نَظْمِهِ، فَتَأْتِي رَوَايَتُهُمْ لَهُ تَبَعاً لِذَلِكَ كَأَنَّمَا رَوَعِيَ فِيهَا التَّرْتِيبَ الزَّمَنِيِّ، وَلَكِنْ دُونَمَا تَوَخَّ لِهَذَا أَوْ قَصْدٍ. أَمَّا جَمْعُ الشَّعْرِ بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ فَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا أَنَّهُ تَمَّ إِلَّا فِي عُهُودٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُنَا اعْتِبَارُ مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ جَمْعِ الْقَبَائِلِ أَوْ الْأَفْرَادِ لِشَعْرِ الْمَدِيحِ الَّذِي قِيلَ فِيهِمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ حَصْراً لِجُزْءٍ مِنْ شَعْرِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ، وَلَيْسَ تَصْنِيفاً لِلشَّعْرِ كُلِّهِ. كَذَلِكَ مَا نَظَنُّ أَحَدًا مِنَ الْأَوَائِلِ رَتَّبَ دِيَوَانَ شَعْرِ بِحَسَبِ قَوَافِيهِ، وَإِنَّمَا تَمَّ ذَلِكَ بِأَخَرَةٍ.

هذا ما كَانَ مِنْ أَمْرِ جَمْعِ الشَّعْرِ فِي الْقَدِيمِ إِلَى أَوَاخِرِ عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ. أَمَّا مَا عَقَّبَ ذَلِكَ فَقَدْ افْتَقَى خُطَا مَنْ سَبَقَ، وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ - وَقَدْ وَجَدُوا الشَّعْرَ قَدْ حُفِظَ وَدُونَ وَرُويَ - اخْتَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِمَعَايِيرَ وَمَنَاهِجَ لِلْجَمْعِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الرِّجَالِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَعْرَاضِ، فَوَجَدْنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَشَدَّدُ كَثِيراً فِي اخْتِيَارِ مَا يَجْمَعُ وَتَمْحِصِهِ، فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا رَوَاهُ عَنِ الثَّقَاتِ بَلْ مَا صَحَّ لَدَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ الْأَصْمَعِيُّ فِي عَمَلِهِ لِدَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ السَّنَّةِ، إِذْ رَفَضَ كُلَّ مَا سَاوَرَهُ أَذْنَى شَكٍّ فِيهِ وَلَمْ يُدْرِجْ سِوَى مَا ثَبَتَ لَدَيْهِ صِحَّتُهُ مِنْ شَعْرِهِمْ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى صِغَرِ حَجْمِ الدَّوَاوِينَ الَّتِي صَنَعَهَا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ قَبُولاً عِنْدَ الْكَثِيرِينَ، بَلْ اعْتَبَرُوهُ قُصُوراً وَتَقْصِيراً، فَنَرَى صَاحِبَ الْفَهْرَسْتِ يَقُولُ^(٢٨): "وَعَمِلَ الْأَصْمَعِيُّ قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ بِالْمُرْضِيَةِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ لِقَلَّةِ غَرَبَتِهَا(٢٩) وَاخْتِصَارِ رَوَايَتِهَا". وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِمَا تَرَكَ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ شَعْرِ كَثِيرٍ لَمْ يَتَّقِ بِصِحَّتِهِ، لَا لِقَلَّةِ مَا حَفِظَ وَجَمَعَ. وَنَحْنُ نَعْرِفُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ تَشَدُّدَهُ فِي قَبُولِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فِي اللُّغَةِ بَلَّهَ الشَّعْرَ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الصُّوْلِيُّ - فِيمَا بَعْدُ - إِذْ دَأَّبَ عَلَى اخْتِيَارِ مَا صَحَّ

(٢٨) "الفهرست" لابن النديم - تحقيق رضا تجدد - طهران سنة ١٩٧١ - ص ٦١.

عِنْدَهُ وَتَرَكَ مَا شَكَّ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَحْتَاطُ بِذِكْرِ أَوَائِلِ الْقَصَائِدِ الَّتِي يَعُدُّهَا مِنَ الْمَنْحُولِ خِشْيَةً أَنْ يُنْهَمَ بِالْجَهْلِ أَوْ التَّقْصِيرِ، كَمَا فَعَلَ فِي رِوَايَتِهِ لِدِيَوَانَ أَبِي نُوَاسٍ.

على أَنَّ زُمْرَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ - خُصُوصاً مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ - كَانُوا أَكْثَرَ تَسَاهُلًا وَمِيلًا إِلَى قَبُولِ كُلِّ مَا نُسِبَ إِلَى الشَّاعِرِ مِنْ قَوْلٍ، فَلَمْ يَتْرَكُوا إِلَّا مَا ثَبَتَ لَدَيْهِمْ أَنَّهُ لِيُغَيَّرَ، فَجَاءَ مَا جَمَعُوهُ أَكْثَرَ مِمَّا جَمَعَ الْمُتَشَدِّدُونَ وَأَتَمَّ، وَلَقِيَ عَمَلُهُمْ هَذَا رِضَى الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، مِمَّا دَفَعَ بِالْبَعْضِ إِلَى تَتَبُعِ رِوَايَاتٍ مِنْ سَبَقُوهُمْ بِالزِّيَادَةِ وَالْإِكْمَالِ، وَحَدَا بِالْآخَرِينَ عَلَى التَّكَثُّرِ فِي الْجَمْعِ دُونَمَا تَثَبُّتٍ أَوْ تَدْقِيقٍ، فَجَاءُوا بِتَفَاهُاتٍ انْتَقَدَتْهُمْ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ، كَالَّذِي ذُكِرَ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسَمَّطَاتِ إِلَى امْرِئِ الْقَيْسِ، وَرَفُضِ أَمْثَالِ أَبِي الْعَلَاءِ^(٢٩) وَالصَّغَانِي^(٣٠) لِهَذِهِ النِّسْبَةِ.

وَلَمَّا اسْتَوْفَى الْعُلَمَاءُ الْجَمْعَ وَضَمَّ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ إِلَى الدَّوَاوِينِ، شَرَعُوا يَنْظُرُونَ فِيْمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُضَيَّفَ إِلَيْهَا، حَتَّى لَا يَكُونَ عَمَلُهُمْ تَكَرُّارًا لِمَا أَتَى بِهِ مِنْ سَبَقَهُمْ، فَظَهَرَتِ الشُّرُوحُ وَسِيَاقَةُ الْأَخْبَارِ. فَلَمَّا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ نَظَرُوا فِي تَنْسِيقِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَادَّةٍ، فَجَمَعُوهَا بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ أَوْ بِحَسَبِ الْقَوَافِي، أَوْ خَلَطُوا بَيْنَ هَذَيْنِ، أَوْ انْتَهَجُوا غَيْرَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَلَعَلَّ أَوَّلَ تَرْتِيبٍ لِلدَّوَاوِينِ كَانَ - كَمَا أَسْلَفْنَا - بِحَسَبِ الزَّمَنِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ الشَّعْرُ، ثُمَّ نَجِدُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَامُوا بِتَرْتِيبِهَا بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ الْقَصَائِدِ - فِي رَأْيِهِمْ - كَمَا نُلَاحِظُ مِنْ جَمْعِ الْأَصْمَعِيِّ لِأَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ السَّنَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلِرَجَزِ الْعَجَّاجِ مَثَلًا، وَتَلَاَهُ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَالسُّكَّرِيُّ وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ .. ثُمَّ ظَهَرَ تَرْتِيبُ الدَّوَاوِينِ

(٢٩) "رسالة الغفران" تحقيق بنت الشاطئ - الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر، ص ٣١٩.

(٣٠) قال في "التكملة" (سمط): "ولم أجد في دواوين شعره قصيدة مسمطة؛ على أن الأزهرى هكذا أيضاً وقَلَّدَ فيها الليث". وأكرر في "العباب" (سمط) ذلك أيضاً بكلام نقله صاحب "التاج" عنه.

بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَرُبَّمَا بَدَأَ ذَلِكَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ^(٣١) أَمَّا تَرْتِيبُ الدَّوَاوِينِ بِحَسَبِ الْقَوَافِي فَلَمْ يُعْرِفْ قَبْلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، فَنَرَاهُ عِنْدَ الصُّوْلِيِّ الَّذِي نَسَقَ دِيْوَانَ أَبِي نُوَاسٍ بِحَسَبِ الْمَوَاضِيْعِ ثُمَّ الْحُرُوفِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِدِيْوَانِ ابْنِ الْمَعْتَرِّ وَابْرَاهِيْمَ بْنِ الْعَبَّاسِ وَغَيْرِهِمْ. وَنُلاحِظُ أَنَّنا لَمْ نَعْرِفْ عَنْهُ عَمَلَ دَوَاوِينَ لِشُعْرَاءَ غَيْرِ عَبَّاسِيَّيْنِ، إِلَّا مَا رَوَى ابْنُ النَّدِيمِ فِي "الْفَهْرَسْتِ"^(٣٢) مِنْ أَنَّهُ صَنَعَ دِيْوَانَ ابْنِ هَرَمَةَ "وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ"، وَابْنُ هَرَمَةَ مِنْ مُخَضَّرِمِي الدَّوْلَتَيْنِ.

وَرَافَقَ تَرْتِيبَ الدَّوَاوِينِ تَوْسُّعٌ فِي شَرْحِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا، ظَهَرَتْ فِيهِ مَنَاهِجُ ثَلَاثَةٍ، أَوَّلُهَا شَرْحُ الْمَعْنَى ثُمَّ الْاِعْتِنَاءُ بِالْجَانِبِ اللَّغَوِيِّ مِنَ الشَّرْحِ، وَثَانِيهَا الْاهْتِمَامُ بِذِكْرِ الْمُنَاسَبَةِ وَسِيَاقَةِ أَخْبَارِ الشُّعْرِ، وَثَالِثُهَا الْاهْتِمَامُ بِالْإِعْرَابِ، وَهُوَ مَنَهْجٌ مُتَأَخَّرٌ طَرَقَهُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّحْوُ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا ذَلِكَ ذَرْبَةً إِلَى أَنْ يُقَدِّمُوا لِلشُّعْرِ شَيْئاً جَدِيداً لَمْ يُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، فَكَانُوا إِنْ صَنَعُوا دِيْوَاناً عَلَى أَتَوٍ غَيْرِهِمْ تَوَسَّعُوا فِي الْجَمْعِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْإِنَافَةَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ شَرْحُوهُ وَذَكَرُوا أَخْبَارَهُ، فَإِنْ وَجَدُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِلَى ذَلِكَ لَجَأُوا إِلَى تَبْوِيهِهِ أَوْ إِعْرَابِهِ، هَمُّهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا نَسْخَ عَمَلِ غَيْرِهِمْ، وَأَنْ يُضَيِّفُوا إِلَى مَا صَنَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْيَاءَ تُبَرِّرُ تَكَرُّرَ الْجَهْدِ وَمُؤَالَاةِ الْعَمَلِ، وَتُبْعِدُ عَنْهُمْ ظَنَّةَ النُّقْلِ وَالْقُفُورِ وَالْاِقْتِبَاسِ.

عَلَى أَنَّ مَا يُلْفِتُ النَّظَرَ حَقّاً هُوَ خُلُوعُ هَذِهِ الشُّرُوحِ مِنَ الْآرَاءِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَظْهَرْ فِيهَا بِشَكْلِ جَلِيٍّ إِلَّا بِأَخْرَةٍ، فَمَعَ أَنَّنَا نَقَعُ عَلَى أَخْبَارٍ نَجِدُ فِيهَا الْأَصْمَعِيَّ^(٣٣) مَثَلاً نَاقِداً عَالِماً بِالشُّعْرِ وَمَعَانِيهِ، مُمَيِّزاً بَيْنَ غَنِّهِ وَسَمِينِهِ وَمَا اخْتَرَعَهُ الشُّعْرَاءُ وَمَا

(٣١) انظر مقالة الدكتور أحمد جاسم النجداوي: "دواوين الشعر العباسي في أصولها الأولى" - مجلة "المورد"

المجلد ١٧، العدد الأول سنة ١٩٨٨، ص ٦٥.

(٣٢) ص ١٨١.

(٣٣) تنتشر آراء الأصمعي النقديّة في المظانّ بشكل ملحوظ. وقد ذكر له المرزبانّي - مثلاً - في "الموشح" وجهات نظر نقدية في نحو خمسين موضعاً. وغير ذلك كثير.

اتَّبَعُوا فِيهِ، وَتَقِفُ فِيهَا عَلَى تَقْوِيمِ الشُّعْرَاءِ الْفُحُولِ مِنْهُمْ وَغَيْرِ الْفُحُولِ، إِلَّا أَنَّنَا لَا نَجِدُ فِيهَا صَنْعَهُ مِنَ الدَّوَاوِينِ مِثْلَ هَذِهِ اللَّمَحَاتِ النَّقْذِيَّةِ. وَلَعَلَّ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِيَّ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ وَقَفَ مَوْقِفَ النَّاقِذِ فِي شُرُوحِهِ عَلَى دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ، وَبِخَاصَّةٍ مَا فَعَلَهُ فِي كِتَابِهِ "عَبَثَ الْوَلِيدِ". وَمَعَ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعُدَّ هَذَا الْكِتَابَ شَرْحاً لِديوانِ الْبُحْثَرِيِّ بِكَامِلِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ تَعْلِيقاً عَلَيْهِ وَشَرْحاً لِمَا أَشْكَلَ مِنْ مَعَانِيهِ وَتَخْطِئَةً لِمَا أَخْطَأَ فِيهِ الشَّاعِرُ وَانْتِصَاراً لَهُ فِيهَا رَأَى الْمَعْرِيُّ أَنَّ النَّقَّادَ جَارُوا عَلَيْهِ فِيهِ. وَنَرَى بَيْنَ صَفَحَاتِهِ نَقْداً لُغَوِيّاً وَنَحْوِيّاً وَعَرُوضِيّاً، كَمَا نَرَى نَقْداً فَنِّيّاً وَعَرْضاً عَمِيقاً لِتَأَثُّرِ الْبُحْثَرِيِّ أَبَا نَمَّامٍ، تَطَّرَقَ فِيهِ إِلَى الْمَعْنَى وَصِيَاغَةِ الْأَفَاطِزِ، وَإِلَى أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِالْعُرُوضِ وَبِالْفَوَافِي، مِمَّا يُعَدُّ - بِحَقٍّ - نَقْداً فَنِّيّاً رَاقِياً لَا نَكَادُ نَرَى لَهُ شَبِيهاً فِيهَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شُرُوحٍ عَلَى دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ الْقُدَامَى.

وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ مَا قَدَّمَهُ الْعُلَمَاءُ الْمُتَأَخَّرُونَ إِلَى الدَّوَاوِينِ الشُّعْرِيَّةِ - إِضَافَةً إِلَى مَا صَنَعَ الْأَوَائِلُ - يَتَلَخَّصُ بِمَا يَلِي:

أ- التَّوَسُّعُ فِي جَمْعِ الشُّعْرِ وَإِيرَادُ جَمِيعِ رِوَايَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ.

ب- التَّرْيِيدُ فِي الشَّرْحِ وَسِيَاقُهُ الْأَخْبَارِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ لِهَذِهِ التَّعَالِيقِ قِيَمَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَإِخْبَارِيَّةٌ عَالِيَّةٌ.

ج - تَرْتِيبُ أَشْعَارِ الدِّيَّانِ بِحَسَبِ الْمَعْنَى ثُمَّ بِحَسَبِ الْحُرُوفِ.

د- إِعْرَابُ الشُّعْرِ وَالْإِتْيَانُ بِفَوَائِدَ نَحْوِيَّةٍ وَصَرْفِيَّةٍ.

هـ- نَقْدُ الشُّعْرِ وَبَيَانُ السَّرِقَاتِ وَالْخَلَلِ فِيهِ، وَدِرَاسَةُ صِيَاغَةِ الْأَفَاطِزِ وَمُوسِيقَاهُ.

صِنَاعَةُ الدَّوَاوِينِ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ:

رَأَيْنَا فِيهَا سَبَقَ كَيْفَ تَطَوَّرَتِ الْعِنَايَةُ بِدَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ وَمَا بَدَّلَهُ عُلَمَاؤُنَا الْقُدَامَى مِنْ جَهْدٍ فِي جَمْعِ الشُّعْرِ وَتَدْوِينِهِ وَشَرْحِهِ وَدِرَاسَتِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا مَا وَصَلَ مِنْهُ بِهَذَا الشَّكْلِ الْمُتَقَنِّ مِنَ الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ وَالِاحْتِفَالِ. وَلَنْ يَضِيرَهُ مَا نَرَاهُ مِنْ اخْتِلَاطٍ فِي نِسْبَتِهِ أَوْ اخْتِلَافٍ فِي رِوَايَتِهِ، فَلَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ دَوَاعٍ وَمُسَبِّبَاتٌ لَا مَجَالَ لِذِكْرِهَا هُنَا. وَلَئِنْ كَانَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ قَدْ حَظِيَ بِمَا لَمْ يَحْظَ بِهِ شِعْرٌ غَيْرُهُ مِنْ اخْتِفَالٍ وَاهْتِمَامٍ وَعِنَايَةٍ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَدَى أَهْمِيَّتِهِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْثِيرِهِ فِيهَا. وَمَا سَمِعْنَا أَنَّ أَبْيَاتًا رَفَعَتْ قَوْمًا وَوَضَعَتْ مِنْ آخَرِينَ، وَلَا أَثَارَتْ حَرْبًا وَتَلَاَفَتْ أُخْرَى إِلَّا عِنْدَ الْعَرَبِ. وَلَوْلَا تَوَالِي الْكَوَارِثِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لَكَانَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ مِنْ دَوَاوِينِ شُعْرَائِنَا الْغَابِرِينَ أَضْعَافُ مَا نَجِدُهُ فِي خَزَائِنِ الْكُتُبِ الْمُتَنَاسِثَةِ فِي أَصْفَاعِ الْعَالَمِ كُلِّهِ. عَلَى أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ دَوَاوِينِ شُعْرَائِنَا ضَاعَ فِيهَا ضَاعٌ مِنْ ثَرَاتِنَا الْأَدَبِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شِعْرِهِمْ سِوَى نَثَارٍ نَقَعُ عَلَيْهِ فِي الْمَظَانِّ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِيَ بِجَمْعِهِ وَخِدْمَتِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِهِ، كَيْ لَا تَضِيعَ هَذِهِ الثَّرْوَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي خَلَفَهَا لَنَا أَسْلَافُنَا، وَلِكَيْ نُمَكِّنَ الْبَاحِثِينَ مِنْ دِرَاسَةِ هَذَا الشُّعْرِ وَالِإِفَادَةِ مِنْهُ.

وَلَنْ نَتَطَرَّقَ هُنَا إِلَى طُرُقِ نَشْرِ الدَّوَاوِينِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي أَتَقْتَهَا لَنَا الْيَّامُ، فَقَدْ كُتِبَ الْكَثِيرُ فِي حَقِّ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوطَاتِ وَنَشْرِهَا، وَلَنْ يَخْتَلِفَ كَثِيرًا تَحْقِيقُ دِيَوَانِ شِعْرِيٍّ عَنْ تَحْقِيقِ أَثَرِ أَدَبِيٍّ آخَرَ، سِوَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَمَلًا مُكْمَلًا لِلدِّيَوَانِ مِنْ جَمْعٍ لِمَا فَاتَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ نَجِدُهَا فِي الْمَظَانِّ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَخْتَصُّ بِالدَّوَاوِينِ وَحْدِهَا، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ الْجَادِّينَ دَأَبُوا - عِنْدَ تَحْقِيقِهِمْ لِكِتَابٍ مَا - عَلَى جَمْعِ مَا يَقَعُونَ عَلَيْهِ فِي الْمَظَانِّ مِنْ قَفَرَاتٍ قَدْ نُصِّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ. عَلَى أَنَّهُ يَجْدُرُ بِمَحَقِّقِ الدِّيَوَانِ الشُّعْرِيِّ أَنْ يَتَّبَعَ أَبْيَاتَهُ فِي بُطُونِ الْكُتُبِ فَيُشِيرَ إِلَى أَمَاكِنِ وُروُدِهَا فِيهَا، وَإِلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الشُّعْرِ وَتَوْثِيقِهِ وَدِرَاسَتِهِ. أَمَّا لَمْ شَتَاتِ أَشْعَارٍ مَنْ ضَاعَتْ دَوَاوِينُهُمْ، فَذَلِكَ أَمْرٌ مُخْتَلِفٌ سَنَتَكَلَّفُ أَنْ نَحْنِطَ لَهُ مِنْهَجًا فِي بَحْثِنَا هَذَا.

إنَّ أَوَّلَى خُطُواتِ صُنْعِ الدَّوَائِنِ هِيَ جَمْعُ الشَّعْرِ، وَهِيَ الخُطُوَّةُ الأساسُ
وَعُمْدَةُ الصَّنَاعَةِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى جِدٍّ وَكَدٍّ وَدَأْبٍ وَتَقْصُّ لِمَا فِي كُتُبِ التُّرَاثِ مِنْ
أَشْعَارٍ مُتَنَاطِرَةٍ.

وَلَنْ نُشِيرَ إِلَى عِظَمِ الجَهْدِ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ هَذَا العَمَلُ، فَهُوَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ لِكُلِّ مَنْ
اطَّلَعَ عَلَى ضَخَامَةِ حَجْمِ تَرَاثِنَا المَطْبُوعِ دُونَ فَهْرَسَةٍ أَوْ مَعَ فَهَارِسٍ عَقِيمَةٍ مُخَلَّةٍ لَا
تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جَوْعٍ. عَلَى أَنَّ هَذَا الجَهْدَ يُمَكِّنُ قِسْمَهُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ
البَاحِثِينَ أَوْ الطَّلَبَةِ يَعْمَلُونَ تَحْتَ إشرافِ المَحَقِّقِ الَّذِي يَضْطَلِعُ بِصُنْعِ الدِّيَّانِ،
فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى اخْتِصَارِ الوَقْتِ وَمُسَاعَدَةِ المَحَقِّقِ عَلَى صَرْفِ جَهْدِهِ إِلَى العِنَايَةِ
بِالدِّيَّانِ، إِلَى مَا هَذَا الأَمْرُ مِنْ دُرْيَةٍ لِلطَّلَبَةِ عَلَى البَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَتَعْرِفِ المِطَانَّ
وَالرُّجُوعَ إِلَيْهَا. فَإِذَا مَا تَمَّ جَمْعُ الأَبْيَاتِ المُتَنَاطِرَةِ، فَلِلْمَحَقِّقِ أَنْ يَنْتَهِجَ إِحْدَى طَرِيقَيْنِ
يُمْكِنُ تَرْتِيبُ الدِّيَّانِ وَفَقَهُمَا: أَوَّلَاهُمَا يَجْرِي فِيهَا جَمْعُ مُتَفَرِّقِ الشَّعْرِ دُونَ مَا مُحَاوَلَةٍ
لِصَيَاغَةِ قَصَائِدِ الدِّيَّانِ، وَيَكُونُ الهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ تَقْدِيمِ الشَّعْرِ إِلَى البَاحِثِينَ كَمَا
وَرَدَ فِي كُتُبِ التُّرَاثِ دُونَ أَنْ يَكْتَسِيَ صِنَاعَةً تُحْمَلُهُ شَيْئاً مِنْ أَفْكَارِ المَحَقِّقِ وَآرَائِهِ،
مِمَّا قَدْ يَسُوقُ البَاحِثِينَ إِلَى تَحْدِيٍّ وَجْهَةٍ نَظَرِهِ أَصَابَ فِيهَا أَوْ أَخْطَأَ. وَعَلَى المَحَقِّقِ
أَنْ يُرْتَّبَ أَبْيَاتُ الشَّعْرِ فِي الدِّيَّانِ بِحَسَبِ القَوَافِي وَالبُحُورِ، مُرَاعِياً ضَمَّ الأَبْيَاتِ
المُتَّحِدَةِ فِي الوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ وَاحِدَةٍ تُشَكِّلُ أَجْزَاءً مُتَفَرِّقَةً لِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ
قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَّا إِذَا ثَبَتَ اخْتِلَافُ القَصَائِدِ مَعَ اتِّحَادِ بُحُورِهَا وَقَوَافِيهَا، فَيَتِمُّ عِنْدَ
سَرْدِهِ الأَبْيَاتِ أَنْ يُرَاعِيَ تَرْتِيبَ مَصَادِرِهَا التَّارِيخِيَّ، فَيُورِدُ الأَبْيَاتَ الَّتِي جَاءَتْ فِي
المَصْدَرِ القَدِيمِ قَبْلَ الَّتِي جَاءَتْ فِي المَصْدَرِ المُتَأَخَّرِ. عَلَى أَنَّ لَهُ الخِيَارَ فِي
اِنتِخَابِ نَصِّ رِوَايَةِ المَصْدَرِ القَدِيمِ لِيَبَيَّنَ مَا، أَوْ اخْتِيَارِ نَصِّ الرِّوَايَةِ الَّتِي يَرَاهَا
أَصَحَّ مِنْ غَيْرِهَا وَأَفْضَلَ وَأَوْفَى، مَعَ ضَرُورَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى مَصْدَرِ الرِّوَايَةِ المُخْتَارَةِ
وَذِكْرِ الرِّوَايَاتِ المُخَالَفَةِ فِي الحَوَاشِي، وَذَلِكَ فِي الحَالَتَيْنِ كِلْتَايَهُمَا. وَيَحْسُنُ بِهِ أَنْ
يُشْرَحَ مُشْكَلَ أَبْيَاتِ الدِّيَّانِ وَمُفْرَدَاتِهَا الصَّعْبَةِ فِي الحَوَاشِي أَيْضاً. وَعَلَيْهِ أَنْ يُفْرَدَ

مَا نُسِبَ إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَصِحَّ أَنَّهُ لَهُ، فِي جُزْءٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ بَقِيَّةِ شِعْرِ الشَّاعِرِ. وَرُبَّمَا سَاعَ عَدَمُ الْفَصْلِ إِذَا كَانَ الْمَجْمُوعُ صَغِيرًا، وَلَكِنْ يَجِبُ التَّنْبِيهُ - بِوُضُوحٍ وَجَلَاءٍ عَلَى اخْتِلَافِ النَّسْبَةِ أَوْ ضَعْفِهَا.

وَالطَّرِيقُ الثَّانِيَةُ يُعْتَمَدُ فِيهَا جَمْعُ الشُّعْرِ مَعَ مُحَاوَلَةِ صِيَاغَةِ قَصَائِدِ الدِّيَّانِ، بَغْيَةً تَقْدِيمَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ قَصِيدَةٍ عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي يُطَنُّ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَصْلًا، أَوْ عَلَى أَقْرَبِ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ. وَيَنْهَيَا هَذَا لِلْجَامِعِ بِمَعْرِفَةِ طَرَائِقِ صِيَاغَةِ الْقَصَائِدِ فِي عَصْرِ الشَّاعِرِ، وَتَفْهَمُ أَسْلُوبَ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ، وَإِدْرَاكِ مَعْنَى الْقَصِيدَةِ وَمَرْمَاهَا وَمَوْضُوعِهَا وَمُنَاسَبَتِهَا، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَعَلَى الْجَامِعِ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَتَّخِذَ أَطْوَلَ رِوَايَاتِ الْقَصِيدَةِ أَصْلًا لَهَا، إِلَّا إِذَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ هُنَالِكَ خَلًّا فِي تَرْتِيبِ أُنْبِيَائِهَا عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ، أَوْ فَضَّلَ غَيْرَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَقُومُ بِضَمِّ الْأَبْيَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْأُخْرَى إِلَى الْقَصِيدَةِ وَاضْعًا إِيَّاهَا فِي أَمَاكِنِهَا مَتَى وَضَحَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، وَبِتَرْكُ مَا لَمْ يَنْبَيَّنْ مَوَاقِعُهَا إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ لِحَقًّا لَهَا. وَعَلَيْهِ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنْ يُرَاعِيَ الْأُسُسَ الَّتِي شَرَحْنَاهَا فِي الطَّرِيقِ الْأُولَى آفَاءً. وَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يُصَدَّرَ الْقَصَائِدُ الْمُقْطَّعَاتِ بِمُقَدِّمَاتٍ تُشِيرُ إِلَى الْمُنَاسَبَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا، أَوْ يَضَعُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ فِي الْحَوَاشِي.

وَلَا يَجُوزُ إِعَادَةُ جَمْعِ شِعْرِ سَبَقَ نَشْرُهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي عَمَلِ الْمُتَقَدِّمِ تَقْصِيرٌ بَيِّنٌ فِي الْجَمْعِ، إِمَّا فِي حَجْمِ الشُّعْرِ الْمَجْمُوعِ أَوْ فِي ضَبْطِهِ وَتَوْثِيقِهِ، فَإِنَّ وَقُوعَ بَاحِثٍ عَلَى أُنْبِيَائِ مُتَفَرِّقَةٍ أَخْلَّ بِهَا دِيْوَانٌ مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُتَّخَذَ ذَرِيعَةً إِلَى إِعَادَةِ نَشْرِهِ مَا لَمْ تَبْلُغْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِقْدَارًا يُبَيِّرُ ذَلِكَ، وَيُعْتَمَدُ هَذَا فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا عَلَى حَجْمِ الدِّيَّانِ. وَلَعَلَّ الْوُقُوفَ عَلَى قَوَائِدِ تَتَجَاوَزُ خُمْسَ الشُّعْرِ الْمَجْمُوعِ أَوْ تَقَارِبُ ذَلِكَ يُسَوِّغُ إِعَادَةَ النَّشْرِ، فَإِنْ قُلْتُ عَنْ ذَلِكَ كَثِيرًا، يُفَضَّلُ نَشْرُ الْمُسْتَذْرَكَاتِ عَلَى

حِدَةٍ. وَإِذَا اتَّبَعْتَ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَى فِي الْجَمْعِ، جَازَ لِلْبَاحِثِينَ إِعَادَتُهُ سَالِكِينَ الطَّرِيقِ الثَّانِيَةِ، لِمَا يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ مِنْ جَهْدٍ مُثْمِرٍ يُؤَدِّي إِلَى اسْتِكْمَالِ الْعِنَايَةِ وَزِيَادَةِ الْفَائِدَةِ.

هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ جَمْعِ الشَّعْرِ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ السَّهْلُ وَالْمَقْصَدُ الْقَرِيبُ، عَلَى مَا يَفْتَضِيهِ مِنْ جَهْدٍ وَكَدٍّ وَدَأْبٍ وَنَصَبٍ. أَمَّا "صُنْعُ" الدِّيَّانِ فَهُوَ الْمُزْتَقَى الْكَوْودُ وَالطَّرِيقُ الْوَعْتُ، وَذَلِكَ لِمَا يَحْتَاجُ مِنْ آلَةٍ قَدْ لَا تَتِمُّ لَدَى الْكَثِيرِ مِنَ الْبَاحِثِينَ، أَقْلُ عَنَاصِرِهَا الدُّرَيْتَةُ وَالْمَلَكَةُ وَمَعْرِفَةُ اللَّغَةِ وَالنَّحْوِ وَأَنْمَاطِ الْكَلَامِ وَلَهْجَاتِ الْقَبَائِلِ، وَالْإِلْمَامُ بِالتَّارِيخِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، إِضَافَةً إِلَى إِطْلَاعٍ وَاسِعٍ عَلَى الْمَدَارِسِ الشَّعْرِيَّةِ وَخَصَائِصِ الشَّعْرِ الْفَنِّيَّةِ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ عُصُورِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الشَّعْرِ وَمَيِّزِهِ. وَقَدْ اتَّبَعَ عُلَمَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ أُسُسًا وَقَوَاعِدَ فِي عَمَلِ الدَّوَاوِينِ - ذَكَرْنَا جَانِبًا مِنْهَا أَنْفَاءً - كَانَتْ مَنَاسِبَةً لِلْأَغْرَاضِ الَّتِي سَعَوْا إِلَيْهَا فِي عَمَلِهِمْ. وَهِيَ وَإِنْ صَلَحَتْ لِأَنْ تَكُونَ مُؤَشِّرًا لَنَا وَدَلِيلًا عِنْدَ صُنْعِ الدَّوَاوِينِ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقِي بِكُلِّ مَا يَتَوَخَّاهُ فِيهَا الْمُتَخَصِّصُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَإِنَّ لِكُلِّ عَصْرِ حَاجَاتِهِ وَأَوْلِيَّاتِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَضَعَ الْأُسُسَ وَالْقَوَاعِدَ الَّتِي تَصِلُ بِالدَّوَاوِينِ إِلَى مَا يُلَبِّي حَاجَاتِ بَاحِثِنَا وَيُحَقِّقُ أَهْدَافَهُمْ وَيَخْدُمُ أَوْلِيَّاتِهِمْ، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَتَنَاولُ الصَّنْعَةَ الَّتِي تَتَحَرَّى إِفَادَةَ الْخَاصَّةِ قَبْلَ الْعَامَّةِ، وَالْمُنْتَخَصِّصِينَ قَبْلَ الشَّدَاةِ.

إِذَا حَاوَلْنَا أَنْ نَنْقَصِيَ أَهَمَّ مَا يَأْمُلُ الْبَاحِثُ اسْتِخْلَاصَهُ مِنَ الدَّوَاوِينِ الشَّعْرِيَّةِ عِنْدَ دِرَاسَتِهَا، وَاتَّخَذْنَا مِنْ ذَلِكَ مَرَجِعًا لَنَا وَمُعْتَمِدًا فِي تَصْنِيفِ الدَّوَاوِينِ، أَمْكَنَّا أَنْ نَقْسِمَهَا عَلَى خَمْسَةِ أَصْنَافٍ بِحَسَبِ قِيَمَةٍ مَا يُسْتَطَاعُ اسْتِخْرَاجُهُ مِنْهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ وَفَوَائِدٍ:

١- الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهَمِّيَّةِ الْفَنِّيَّةِ، كَدِيَّانِ طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ مَثَلًا.

٢- الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهَمِّيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ، كَدِيَوَانِ الْعَجَّاجِ.

٣- الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهَمِّيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ، كَدِيَوَانِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

٤- الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهَمِّيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، كَدِيَوَانِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ.

٥- الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهَمِّيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، كَلَزُومِيَّاتِ أَبِي الْعَلَاءِ.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ فَوَائِدَ أُخْرَى كَثِيرَةً يُمَكِّنُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَشْعَارِ، لَكِنَّهَا لَا تُشَكِّلُ بِحَدِّ ذَاتِهَا أَسَاساً لِبِنَاءِ صِنْفٍ مُسْتَقِلٍّ خَاصٍّ مِنَ الدَّوَاوِينِ حَوْلَهَا، مِثْلَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَوَاقِعِ وَالْمِيَاهِ وَالْبُلْدَانِ وَالنُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ وَأَسْمَاءِ الْخَيْلِ وَالْأَصْنَافِ وَالْحِرَفِ وَالْفُنُونِ وَالْعَقَائِدِ وَالْخُرَافَاتِ وَالْقَصَصِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَطِيعُ الْبَاحِثُ اسْتِخْلَاصَهُ مِنَ الشَّعْرِ. وَمِنَ الْبَدْهِيِّ أَنَّ الدَّوَاوِينَ لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ مُعْظَمِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا، بَلْ إِنَّمَا قَدْ نَحْتَارُ فِي اخْتِيَارِ الصَّنْفِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نُدْرَجَ كَثِيراً مِنْهَا ضِمْنَهُ لاحتوائها على قِيمٍ هَامَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ. فَدِيَوَانُ زُهَيْرٍ - مَثَلاً - لَهُ أَهَمِّيَّتُهُ الْفَنِّيَّةُ بِصِفَتِهِ نَمُودَجاً لِمَدْرَسَةِ الصَّنْعَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا أَنَّ لَهُ أَهَمِّيَّةَ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي يَكْفِي لِإِيضَاحِهَا الْإِيْمَاءُ إِلَى أَنَّ مُعْجَمَ "لِسَانِ الْعَرَبِ" اسْتَقَى مِنْهُ شَوَاهِدٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَوْضِعٍ. وَاسْتَشْهَدَ مُعْجَمَ "أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ" بِأَبْيَاتٍ مِنْهُ فِي نَحْوِ مِائَةِ مَوْضِعٍ. أَمَّا أَهَمِّيَّتُهُ التَّارِيخِيَّةُ فَيَكْفِي لِكَشْفِهَا أَنْ نَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ مِنْ قِصَائِدٍ تَنَاولَتْ حَادِثَةَ الصُّلْحِ بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ وَمَا سَبَقَهَا وَمَا تَلَاهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُغْفَلَ أَيْضاً أَهَمِّيَّتُهُ فِي تَبْيَانِ التَّوَاحِي الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، فَإِنَّ شِعْرَ الْمَدِيحِ - بِشَكْلِ عَامٍّ - يُعْطِينَا فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنِ الْقِيَمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ. عَلَى أَنَّهُ لَا مَنَاصَ مِنْ هَذَا التَّدَاخُلِ وَلَا ضَيْرٍ فِيهِ، فَالْبَاحِثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَاولَ الدِّيَوَانَ مِنَ الزَّاوِيَةِ الَّتِي يَتَوَسَّمُ مُنَاسَبَتَهَا لِغَرَضِهِ مِنْ إِظْهَارِهِ أَوْ الَّتِي يَتَقَصَّدُ أَنْ يُبْرِزَ أَهَمِّيَّتَهَا. وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ أَنْ يُنْشَرَ لِلدِّيَوَانِ الْوَاحِدِ طَبَعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَنْتَهِجُ صَانِعُوهَا مَنَهِجَ مُخْتَلَفَةً فِي عَمَلِهِمْ

وَتَوَجُّهَهُمْ. وَقَدْ فَعَلَ عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ ذَلِكَ - كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً - فَكَانَ عَمَلُهُمْ مُبَرَّراً، وَاخْتِلَافُهُمْ مُفِيداً، وَتَبَايُنُ طَرَائِفِهِمْ فِي صِنَاعَةِ الدَّوَاوِينِ مُجَدِّداً لَهَا وَحَافِظاً لِثَرْوَةِ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا كَانَتْ لِتَصِلَ إِلَيْنَا لَوْلَا هَذَا الَّذِي فَعَلُوهُ عِنْدَ تَكَرُّرِ صِنَاعَتِهِمْ لَهَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِيزَاتِهِ الْمُحَدَّدَةَ الَّتِي يَجِبُ إِبْرَارُهَا عِنْدَ صِنَاعَةِ الدِّيَّانِ بِحَيْثُ تَتَيَسَّرُ الْإِفَادَةُ مِنَ الْجَوَانِبِ ذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ الْخَاصَّةِ فِيهِ. وَسُنْجَاوُلُ فِيمَا يَلِي تَلْخِيصَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتَّخَذَ سَبَباً إِلَى مَا يُتَوَخَّى لِلدِّيَّانِ مِنْ تَوَطُّطٍ لِجَادَّةِ الْبَاحِثِينَ وَتَقَرُّبٍ لِمَقَاصِدِهِمْ، أَمْلِينَ أَنْ نَتَوَصَّلَ فِيمَا نَعْرِضُ إِلَى مَنَاهِجٍ تَقُودُ إِلَى خِدْمَةِ الدَّوَاوِينِ تَقِي بِحَقِّهَا وَحَقَّ الدَّارِسِينَ وَالشُّدَاةِ عَلَى صَانِعِهَا.

إِنَّ عَمَلَ الْمُحَقِّقِ فِي الدِّيَّانِ - بَعْدَ جَمْعِ أَشْعَارِهِ وَصِيَاغَةِ قِصَائِدِهِ بِاتِّبَاعِ مَا سَبَقَ أَنْ فَصَّلْنَا عِنْدَ كَلَامِنَا عَنِ الْجَمْعِ وَالصِّيَاغَةِ - يَتَلَخَّصُ فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ تَرْتِيبُ الدِّيَّانِ وَالتَّعْلِيقُ عَلَيْهِ وَوَضْعُ الْفَهَارِسِ لَهُ. وَمِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَخْتَلِفَ أَسَالِيبُ مُعَالَجَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ بِاخْتِلَافِ النَّوَاحِي الَّتِي يُرْغَبُ فِي إِبْرَارِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا فِي الدِّيَّانِ. وَلَمَّا كَانَ التَّصْنِيفُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَدْ بُنِيَ أَسَاساً عَلَى هَذِهِ النَّوَاحِي الْجَدِيدَةِ بِالْعِنَايَةِ وَالْإِظْهَارِ، حَقٌّ لَنَا أَنْ نَعْتَمِدَهُ فِي وَضْعِ أُسُسٍ مَا نَطْلُبُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ عِنْدَ صِنَاعَتِهِمْ الدَّوَاوِينَ الشَّعْرِيَّةَ، بِحَيْثُ تُؤَانِمُ الْأَعْرَاضَ الْمُبْتَغَاةَ مِنْهَا عِنْدَ دِرَاسَتِهَا وَمُحَاوَلَةِ الْإِفَادَةِ مِنْهَا.

وَقَدْ هَيَّأَ لَنَا عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ أَرْبَعَةَ أَسَالِيبَ لِتَرْتِيبِ الدَّوَاوِينِ، إِذَا تَحَدَّثْنَا بِهَا وَطَوَّرْنَا لِنَتَلَفَى مَا يُوَاجِهُنَا مِنْ مُشْكَلَاتٍ بِسَبَبِ جَمْعِ الشَّعْرِ مِنَ الْمَظَانِّ، خَلَصَ لَنَا أَسَالِيبُ صَالِحَةٌ يُمَكِّنُنَا اتِّبَاعَهَا فِي صُنْعِ الدَّوَاوِينِ: أَوَّلُهَا مَا يُتَّبَعُ فِيهِ التَّسْلُسُ الزَّمَنِيُّ، وَتَرْتَّبُ فِيهِ الْقِصَائِدُ الَّتِي يُمَكِّنُ تَحْدِيدُ التَّارِيخِ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ ابْتِدَاءُ بِالْأَقْدَمِ فَالْأَحْدَثِ، وَيُبَيِّنُ مَا لَمْ يُعْرَفْ تَارِيخُ نَظْمِهِ إِلَى آخِرِ الدِّيَّانِ أَوْ يُوضَعُ فِي الْأَمَاكِنِ

الَّتِي يُرَجِّحُ الْمُحَقِّقُ أَنَّهَا تُؤَافِقُهَا زَمَنِيًّا. وَثَانِيهَا بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ الْقَصَائِدِ فِي نَظَرِ الْمُحَقِّقِ، يُدْرَجُ فِيهِ صَانِعُ الدِّيَّوَانِ الْقَصَائِدِ وَفَقَ مَا يَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ أَهَمِّيَّةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَنِّيَّةِ أَوْ التَّارِيخِيَّةِ أَوْ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ الْفِكْرِيَّةِ، مُرَاعِيًا الصَّبْغَةَ الْعَامَّةَ الَّتِي يَرْغَبُ فِي إِظْهَارِهَا لِلدِّيَّوَانِ. وَثَالِثُهَا بِحَسَبِ الْقَوَافِي، وَيَتَّبِعُ الْمُحَقِّقُ فِي جَمْعِهِ الْقَصَائِدَ التَّرْتِيبَ الْأَلْفَبَائِيَّ لِلْقَوَافِي، سَالِكًا فِي ذَلِكَ مَنْهَجًا مُعَيَّنًا عَلَى حَرَكَةِ الْقَافِيَةِ وَبَحْرِ الْقَصِيدَةِ وَنَوْعِ الْقَافِيَةِ - مِنْ مُتَكَوِّسٍ وَمُتَرَكَبٍ وَمُتَدَارِكٍ وَمُتَوَاتِرٍ وَمُتَرَادِفٍ - ثُمَّ التَّأْسِيسَ وَالرَّدْفَ، عَلَى أَنَّ يُبَيِّنَ مَنْهَجَهُ فِي مُقَدِّمَةِ الدِّيَّوَانِ. وَرَابِعُهَا بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ الْفَنِّيَّةِ، كَالْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ وَالْعَزْلِ وَالْفَخْرِ وَالْوَصْفِ وَالْحِكْمِ وَالزُّهْدِ وَالْمُجُونِ ... إلخ .. يَقُومُ فِيهِ صَانِعُ الدِّيَّوَانِ بِجَمْعِ الْقَصَائِدِ الَّتِي تَنْدَرِجُ تَحْتَ كُلِّ مَوْضُوعٍ فَنِّيٍّ مُرتَّبًا إِيَّاهَا بِحَسَبِ الْقَوَافِي أَوْ أَهَمِّيَّةِ الْقَصَائِدِ مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ الْأُسُسَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا. وَهَذِهِ - كَمَا رَأَيْنَا أَسَالِيبُ عَامَّةٌ اخْتَلَطَتْ مَسَالِكَ وَاضِحَةً مُوَطَّأَةً، سَنَقْصِرُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ لِمَا تَنْصِفُ بِهِ مِنْ سَعَةٍ وَشُمُولٍ وَاسْتِعَابٍ تُبَيِّنُ رُودَهَا عِنْدَ صِنَاعَةِ الدَّوَابِينِ الشَّعْرِيَّةِ كَافَّةً. عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مِنَ الدَّوَابِينِ مَا يُوْحِي إِلَى الْمُحَقِّقِ بِاتِّبَاعِ نِظَامِ تَرْتِيبٍ خَاصٍّ بِهِ يَخْدُمُ مَا يَرُومُ الْمُحَقِّقُ كَشْفَهُ وَتَأْكِيدَهُ وَإِبْرَارَهُ، فَقَدْ يَنْجُهِ صَانِعُ دِيَّوَانٍ جَرِيرٍ مَثَلًا إِلَى قِسْمِ الدِّيَّوَانِ عَلَى أَبْوَابٍ يَشْمَلُ كُلُّ مِنْهَا أَهَاجِيَهُ لِوَاحِدٍ مِنَ الشُعَرَاءِ. كَالْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْطَلِ وَعُمَرَ بْنِ لَجَأٍ وَالْبَعِيثِ وَالرَّاعِي وَعَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ .. وَقَدْ يَتَكَفَّلُ صَانِعُ دِيَّوَانٍ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ أَنْ يَجْمَعَ قَصَائِدَهُ وَفَقَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي شَبَّبَ بِهِنَّ، أَمَّا دِيَّوَانُ نُصَيْبٍ فَقَدْ يُرْتَّبُ بِحَسَبِ الْمَمْدُوحِينَ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي قَدْ ثَلَاثُمُ شِعْرَ شَاعِرٍ دُونَ آخَرَ. وَلَا ضَيْرَ فِي أَنْ يَتَّبِعَ الْمُحَقِّقُ التَّرْتِيبَ الَّذِي يَرْتَّبِيهِ شَرِيطَةُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ وَصْلَةً إِلَى مُتَحَرِّاهُ وَمَجَازًا إِلَى مُتَوَجِّهِهِ وَوَسِيلَةً إِلَى بَغْيَتِهِ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَنْ يَخْرُجَ الدِّيَّوَانُ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي يَرَاهَا الْمُحَقِّقُ صَالِحَةً لِإِيضَاحِ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَرْغَبُ فِي إِبْرَارِهَا وَالتَّأْكِيدِ عَلَيْهَا وَتَقْرِيبِهَا إِلَى مُتَنَاوِلِ الدَّارِسِينَ.

فَإِذَا رَاعَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ خُلَصْنَا إِلَى أَنَّ صَانِعَ الدِّيَّانِ ذِي الْقِيَمَةِ الْفَنِّيَّةِ قَمِينٌ بَأَنَّ يُرْتَبُهُ بِحَسَبِ الْمَوَاضِيْعِ إِنْ تَعَدَّدَتْ فِيهِ، أَوْ بِحَسَبِ أَهْمِيَّةِ الْقَصَائِدِ فِي نَظَرِ الْمُحَقِّقِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُوضِّحُ الْإِتِّجَاهَاتِ الْفَنِّيَّةَ فِي الْأَشْعَارِ، أَوْ بِحَسَبِ التَّسْلُسِ الرِّمَنِيِّ لِلشَّعْرِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُفِيدُ فِي إِظْهَارِ تَطَوُّرِ الْأَسْلُوبِ الْفَنِّي لَدَى الشَّاعِرِ. أَمَّا إِذَا امْتَنَزَ الدِّيَّانُ بِأَهْمِيَّتِهِ اللَّغَوِيَّةِ، فَلَعَلَّ مِنَ الْمُنَاسِبِ تَرْتِيبُهُ بِحَسَبِ الْقَوَافِي، إِلَّا إِذَا رَغِبَ صَانِعُهُ فِي إِبْرَارِ نَوَاحِي أُخْرَى فِي الدِّيَّانِ زِيَادَةً عَلَى النَّاحِيَةِ اللَّغَوِيَّةِ فِيهِ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ فِي أَنْ يُيَوِّبَ الْأَشْعَارَ عَلَى النَّسَقِ الَّذِي يَرَاهُ مُوَافِقاً لِغَرَضِهِ، إِذْ إِنْ تَرْتِيبَ الْأَشْعَارِ لَا يُؤَثِّرُ كَثِيراً فِي الْإِفَادَةِ مِنَ النَّوَاحِي اللَّغَوِيَّةِ فِيهِ طَالَمَا زُوِّدَ الدِّيَّانُ بِالْفَهَارِسِ اللَّغَوِيَّةِ الْكَافِيَةِ. وَيَكَادُ يَفْتَصِرُ خِيَارُ صَانِعِ الدِّيَّانِ ذِي الْمُنْحَى التَّارِيخِيِّ عَلَى اتِّبَاعِ التَّسْلُسِ الرِّمَنِيِّ فِي سَرْدِ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ مَا يُبَسِّرُ اسْتِفَادَةَ الْبَاحِثِينَ مِنْ جَوَانِبِهِ التَّارِيخِيَّةِ. عَلَى أَنَّ لَصَانِعِ مِثْلِ هَذَا الدِّيَّانِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى جَمْعِ الْأَشْعَارِ بِحَسَبِ الْمَوَاضِيْعِ أَوْ الْمُنَاسَبَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا، شَرِيطَةً أَنْ تُرْتَّبَ قَصَائِدُ كُلِّ بَابٍ بِحَسَبِ تَسْلُسِهَا الرِّمَنِيِّ أَيْضاً. وَلَا شَكَّ أَنَّ تَرْتِيبَ الدَّوَاوِينِ ذَاتِ الْقِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِحَسَبِ الْمَوَاضِيْعِ هُوَ خَيْرٌ مَا يُمَكِّنُ لِلْمُحَقِّقِ اتِّبَاعَهُ، شَأْنُهَا شَأْنُ تِلْكَ الَّتِي تَمْتَنُّ بِقِيَمَتِهَا الْفِكْرِيَّةِ. وَيَجُوزُ لِلصَّانِعِ أَنْ يُرْتَّبَ قَصَائِدَ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ وَفَوْقَ أَهْمِيَّةِ الْقَصَائِدِ فِي نَظَرِهِ، فَقَدْ يَرَى فِي ذَلِكَ بَلَاغاً إِلَى مَا اسْتَشْرَفَ لَهُ مِنْ كَشْفِ النَّوَاحِي الْمُهَمَّةِ فِي الدِّيَّانِ وَإِسْعَافِ الْبَاحِثِينَ بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ عَلَى الصُّورَةِ الْفُضْلَى.

ثُمَّ نَنْتَقِلُ إِلَى التَّعْلِيْقِ عَلَى الْأَشْعَارِ - وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَبْذُلَ فِيهِ خَالِصَ جُهِدِهِ وَيَسْتَفْرِغَ جُلَّ وَسْعِهِ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَفْوُهُ وَمَيْسُورُهُ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ فِيهِ كُلَّ عِنَايَتِهِ دُونَ أَلْوٍ أَوْ وَنَى - فَنُبَيِّنُ مَا عَلَى الْمُحَقِّقِ أَنْ يَجْلُوهُ بِتَعَالِيْقِهِ، وَمَا يُلْزِمُهُ مِنْ آلَةٍ لِكَيْ يَقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ.

على صانع الديوان أن يتعرف أسلوب الشاعر وميزاته وصفاته، فيحصر لغته والمفردات التي تتردد في شعره، ويدرس النمط الذي ينسج وفقه قصائده، ويستوعب طرائق نظميه وما يلجأ إليه من أمور المعاني والبيان والبديع، ويعرف معاييب شعره ومحاسنه، وما يقصر فيه وما يجيد، كما عليه أن يحيط بأهواء الشاعر وميوله، وعقيدته الدينية والسياسية، وبقبيلته وديارها والمياه التي نزلتها، وبالفرة التي عاش فيها الشاعر وما جرى فيها من أحداث وأيام، وبالمناسبات التي قال فيها شعره، وبالأعلام الذين ذكرهم فيه، وما إلى ذلك من الأمور التي تسهم في معرفة الشاعر وبيئته وشعره.

فإذا تم له ذلك وتحول إلى العمل في الديوان، فله أن يفتحه بمقدمة تذكر شيئاً عن نسبه وسيرته وبيئته، مراعيًا إبراز الحوادث والأمور التي يرى أنها قد تلقى ضوءاً على نواح من شعره، ثم يشرع في سرد القصائد والتعليق عليها بما يوافق ما يرتئيه من تصنيف للديوان فيعنتي - إذا أراد إبراز أهمية الديوان الفنية - بالإشارة إلى نمط صياغة قصائده وطبيعة بنائها وإيقاعها وميزاتها الفنية والنواحي البلاغية التي تظهر فيها والمدرسة التي تنتمي إليها، إلى غير ذلك مما يتعلق بالأسلوب الشعري للشاعر. فإذا أراد الكشف عن الجوانب اللغوية في الديوان، عليه أن يوجه اهتمامه إلى المسائل اللفظية فيه، يبين ما يتردد فيه من لهجات القبائل المختلفة، والألفاظ التي لا ذكر لها في المعجمات والضرورات التي فرضها النظم، وما إلى ذلك. كما يحسن به - إذا كان للديوان قيمة تاريخية هامة - أن يجلو الأحداث التي يشار إليها في الشعر، وأن يشرح عقيدة الشاعر وانتماءه، مفسراً ما يرد في القصائد مما له علاقة بتلك العقيدة وذلك الانتماء. كما عليه أن يوضح مناسبة كل قصيدة وفيم قبلت، ويعرف الأعلام والوقائع والمواقع التي جاءت فيها، وكيف أدى ذلك كله إلى صياغة الشعر حتى وصل إلينا بالشكل الذي هو عليه، ويجلي ما له من جوانب إعلامية، مراعيًا ذكر الجهات التي

اسْتَهْدَفَهَا ذَلِكَ الْإِعْلَامُ وَوَقَعَ الْقَصَائِدُ لَدَيْهَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُقَرِّبُ أَشْعَارَ الدِّيَّانِ إِلَى الْفَهْمِ وَتُحَدِّدُ دَوَافِعَ نَظْمِهَا وَنَتَائِجَهُ. فَإِنْ كَانَ الدِّيَّانُ مِمَّا يَمْتَنَزُ بِمَا يُظْهَرُ مِنْ أُمُورٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْ فِكْرِيَّةٍ، وَجَبَ عَلَى صَانِعِ الدِّيَّانِ أَنْ يُعَيِّنَ هَذِهِ الْأُمُورَ كَاشِفًا أَبْعَادَهَا فِي مُحِيطِ الشَّاعِرِ، فَإِذَا كَانَتْ اجْتِمَاعِيَّةً شَرَحَهَا وَوَضَحَ مَدَى تَمَثُّلِ مَرْكَزِ الشَّاعِرِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِيهَا، وَتَوَسَّعَ فِي ذِكْرِ النَّوَاحِي الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَمَا كَانَ مِنْهَا انْعِكَاسًا لِلنَّبِيَّةِ وَطَبِيعَةِ الْحَيَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْهَا نَابِعًا عَنِ الْمُعْتَقَدَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ لِلشَّاعِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّنْبِيهَاتِ الَّتِي تَمَسُّ الْحَيَاةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ لِلشَّاعِرِ وَالْقَبِيلَةِ وَالْمُجْتَمَعِ بِشَكْلِ عَامٍّ. وَإِذَا كَانَتْ قِيمًا فِكْرِيَّةً فَسَرَّهَا وَبَيَّنَ مَا جَاءَ مِنْهَا مُمَازِلًا لِلآرَاءِ وَالْأَفْكَارِ وَالْإِتِّجَاهَاتِ السَّائِدَةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَهَا، وَمَا لِمَبَادِي الشَّاعِرِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ فِيهَا مِنْ أَثَرٍ، وَأَشَارَ إِلَى النَّوَاحِي الَّتِي تُبْرِزُ ثَقَافَةَ الشَّاعِرِ وَتَطْبُعَهَا بِمَا يَنْصِلُ بِمُحِيطِهِ الْخَاصِّ أَوْ بِإِحْتِكَائِهِ بِأَفْكَارٍ أَوْ مُعْتَقَدَاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَنْهُ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تُلْقِي ضَوْءًا عَلَى طَرِيقَةِ تَفْكِيرِ الشَّاعِرِ وَالتَّوَانُجِ الَّتِي اتَّجَهَتْ بِهِ إِلَى الْمُنْحَى الَّذِي يُمَثِّلُهُ شِعْرُهُ.

وَيَجْدُرُ بِالْمُحَقِّقِ - مَهْمَا كَانَ صِنْفُ الدِّيَّانِ الَّذِي يَصْنَعُهُ - أَنْ يَتَجَسَّمْ شَرْحَ مَعَانِي الشَّعْرِ الْمُشْكِلَةِ وَتَعْرِيفَ الْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِينِ وَالْحَوَادِثِ الْوَارِدَةِ فِيهِ، وَذِكْرَ الْمُنَاسَبَاتِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا الْقَصَائِدُ. كَمَا يُفْتَرَضُ فِيهِ أَنْ يُوثَّقَ نِسْبَةُ الْقَصَائِدِ إِلَى الشَّاعِرِ، وَيَدْرُسَ الْمُتَنَازِعَ مِنْهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَيَقْرُرَ مَا يَرْجَحُ مِنْ عَزْوٍ، مُثْبِتًا أَسْبَابَ التَّرْجِيحِ وَأَدِلَّتُهُ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ أَسْلُوبَ الشَّاعِرِ وَمَعْجَمَهُ اللَّغَوِيَّ، وَأَهْوَاءَهُ وَمُعْتَقَدَاتِهِ، وَالْمُنَاسَبَاتِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا الْقَصَائِدُ، وَتَدْبِيرِ الْمَوَاقِعِ وَالْأَعْلَامِ وَالْحَوَادِثِ الْمَذْكُورَةِ فِي الشَّعْرِ، إِضَافَةً إِلَى مُقَارَنَةِ الْمَصَادِرِ الَّتِي عَزِيَ فِيهَا إِلَى الشَّاعِرِ أَوْ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَا يَصِحُّ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ مِنْهَا وَمَا لَا يَصِحُّ،

وَمَا هُوَ أَقْدَمُ وَأَقْرَبُ إِلَى عَصْرِ الشَّاعِرِ وَمَا هُوَ أَحَدْتُ وَأَبْعَدُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى تَرْجِيحِ نِسْبَةِ وَتَوْثِيقِ مَصْدَرٍ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يُنَبِّهَ صَانِعُ الدِّيَّانِ عَلَى بَعْضِ النُّكَاتِ الصَّرْفِيَّةِ أَوْ النُّحْوِيَّةِ أَوْ الْبَلَاغِيَّةِ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى الْمُحَقِّقِ، وَلَهُ أَنْ يَقُومَ بِهِ إِنْ رَأَى لَذَلِكَ ضَرُورَةً، كَمَا أَنَّ لَهُ أَنْ يَتَحَاشَاهُ إِنْ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ يُوْدِّي إِلَى إِطَالَةِ التَّعْلِيلَاتِ دُونَ فَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ، أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُسَبِّبُ تَحْوِيلَ ذَهْنِ الْقَارِئِ عَنْ أُمُورٍ هَامَّةٍ إِلَى أُمُورٍ ثَانَوِيَّةٍ.

فَإِذَا أَنهَى الْمُحَقِّقُ تَرْتِيبَ الدِّيَّانِ وَالتَّعْلِيلَ عَلَيْهِ، بَقِيَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ عَلَى فَهْرَسَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَقَرُّبٍ لِمُتَنَاوِلِهِ وَرَوْضٍ لِمَرْكَبِهِ. وَالْفَهَارِسُ مُتَنَوِّعَةٌ كَثِيرَةٌ، نَذْكُرُ مِنْهَا: فَهْرَسَ الْقَوَافِي وَالْبُحُورِ، وَفَهْرَسَ الْمَعَانِي وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالصُّوَرِ، وَفَهْرَسَ الْمَوَاضِعِ وَالْفُنُونِ الشَّعْرِيَّةِ، وَفَهْرَسَ اللَّعَّةِ، وَفَهْرَسَ الْأَعْلَامِ، وَفَهْرَسَ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَفَهْرَسَ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ وَالْمِيَاهِ، وَفَهْرَسَ الْأَيَّامِ، وَفَهْرَسَ الْأَنْوَاءِ وَالنُّجُومِ، وَفَهْرَسَ أَوَابِدِ الْعَرَبِ وَتُرْهَاتِهِمْ وَأَوْهَامِهِمْ، وَفَهْرَسَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ، وَفَهْرَسَ أَلْفَاظِ الْحَضَارَةِ، وَفَهْرَسَ الْأَلْفَاظِ الْمُعَرَّبَةِ، وَفَهْرَسَ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ وَلَهْجَاتِهَا، وَفَهْرَسَ الْمُعْتَقَدَاتِ وَالْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ (وَالْأَصْنَافِ)، وَفَهْرَسَ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ، وَفَهْرَسَ السَّلْسُلِ الزَّمَنِيِّ لِلْقَصَائِدِ، وَفَهْرَسَ الضَّرُورَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، وَالْفَهْرَسَ الْعَرُوضِيَّ - الَّذِي يَتَنَاوَلُ بُحُورَ الشَّعْرِ الْمُسْتَعْمَلَةَ فِي الدِّيَّانِ وَعَدَدَ الْقَصَائِدِ الَّتِي قِيلَتْ فِي كُلِّ بَحْرٍ، كَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَنَاوَلَ نَوَاحِي أُخْرَى كَالرَّحَافَاتِ وَالْعِلَلِ الْعَرُوضِيَّةِ كَالْحَزْمِ وَالْحَزْمِ وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ - ثُمَّ فَهْرَسَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ. وَيُسْتَحْسَنُ بِصَانِعِ الدِّيَّانِ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ جُلٍّ هَذِهِ الْفَهَارِسِ - إِنْ لَمْ نَقُلْ كُلَّهَا - إِلَى جَانِبِ غَيْرِهَا مِمَّا قَدْ يُوحِيهِ الدِّيَّانُ الَّذِي يَصْنَعُهُ. وَيُفْتَرَضُ فِيهِ أَلَّا يُهْمَلَ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ مَاسَّةٌ بِالصَّنْفِ الَّذِي يَنْضَوِي تَحْتَهُ الدِّيَّانُ، فَلَا يَتَعَاضَى - مَثَلًا - عَنْ فَهَارِسِ الْمَعَانِي وَالْعَرُوضِ وَالضَّرُورَاتِ

الشَّعْرِيَّةَ وَالْحَكَمَ وَالْأَمْثَالَ إِنْ كَانَ الدِّيَّانُ ذَا قِيَمَةٍ فَنِّيَّةً، وَلَا عَنْ فَهَارِسِ اللَّعَّةِ وَالْأَلْفَاظِ الْمُعَرَّبَةِ وَلُغَاتِ الْقَبَائِلِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ أَنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ لُغَوِيَّةً، وَلَا عَنْ فَهَارِسِ الْأَعْلَامِ وَالْقَبَائِلِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَيَّامِ إِنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ تَارِيخِيَّةً، وَلَا عَنْ فَهَارِسِ الْأَفَافِ الْحَضَارَةِ وَالْأَوَابِدِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ إِنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ اجْتِمَاعِيَّةً، وَلَا عَنْ فَهَرَسِي الْمَوَاضِيَعِ وَالْحَكَمِ وَالْأَمْثَالَ إِنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ فِكْرِيَّةً. وَنَحْنُ إِنَّمَا نُورِدُ أَمْثَلَةً وَلَا نَحْصُرُ أَوْ نُحَدِّدُ، وَمِنْ وَاجِبِ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَسْتَقْصِي وَيَسْتَوْفِي كَيْ يَأْتِيَ عَمَلُهُ كَافِيًا مُغْنِيًا قَرِيبًا مِنَ الْكَمَالِ.

هَذَا مُلَخَّصٌ لِمَا يُفَرِّضُ بِمَنْ يَتَصَدَّى لِعَمَلِ دِيَّانٍ مَا أَنْ يَقَوْمَ بِهِ حَتَّى يَجُوزَ أَنْ يُسَمَّى عَمَلُهُ فِيهِ "صَنْعَةً" لِلدِّيَّانِ، وَهُوَ مُذْهَبٌ صَعْبُ الْمَرَامِ حَزْنُ الْمَسْلَكِ عَسِيرُ الْمَطْلَبِ، غَيْرَ أَنَّ صَانِعَ الدِّيَّانِ مُطَالِبٌ بِهِ، فَإِنْ فَرَطَ فِيهِ وَقَصَرَ، وَتَهَاوَنَ وَمَرَّضَ، انْتَقَتْ عَنْ عَمَلِهِ صِفَةُ "الصَّنْعَةِ"، وَعَادَ مُجَرَّدَ جَمْعٍ لِلشَّعْرِ يُقْبَلُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ مُبْتَدَأٌ أَوْ مُسْتَدْرِكٌ، وَبُلَامٌ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَدْ سِيقَ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ مَا بَدَلَ فِيهِ مِنْ جَهْدٍ عَبَثًا، لِأَنَّهُ عَمَلٌ مَكْرُورٌ قَلِيلُ الْجَدْوَى يُمَكِّنُ الِاسْتِعَاضَةَ عَنْهُ بِبَحْثٍ يَضُمُّ الْفَوَائِدَ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَى الْعَمَلِ الْمُتَقَدِّمِ دُونَ تَكْلُفِ طِبَاعَةِ الدِّيَّانِ وَإِضَاعَةِ وَقْتِ الْبَاحِثِينَ فِي قِرَائَتِهِ بِكَامِلِهِ لِاسْتِخْلَاصِهَا مِنْهُ. وَلَنْ نَشْتَطَّ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْمُحَقِّقِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْنَا، فَنفَرِّضَ عَلَيْهِ - مَثَلًا - أَنْ يَتَوَسَّعَ فِي دِرَاسَةِ الشَّعْرِ وَيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الرُّمُوزَ وَالْمُثَلَّ وَالْإِسْقَاطَاتِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، بَلْ نَشْرُكُ ذَلِكَ لِلْبَاحِثِينَ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي الْإِضْطِلَاعِ بِدِرَاسَةِ الدِّيَّانِ .

نَشَرْنَا دِيَّانَ زُفَرٍ، وَنَظَرَةً فِي الْمَتَأَخَّرَةِ مِنْهُمَا:

قُلْتُ إِنَّ دَافِعِي إِلَى كِتَابَةِ بَحْثِي هَذَا كَانَ أَطَّلَاعِي عَلَى نَشْرِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ رُضْوَانَ النَّجَّارِ لِدِيَّانِ زُفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ، الَّذِي جَمَعَهُ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ نُورِي

حمودي القيسي قبل ونشره في مجلة المجمع العراقي، فوفقت قليلاً مقارنة بين النشرتين، وسألخص فيما يلي ما وجدت خلال وفقتي المقارنة هذه:

زاد الأستاذ النجار على ما جمعه الدكتور القيسي:

أ- بيتاً واحداً في القصيدة ق(٤) هو الأخير فيها، نقله عن "العقد الفريد" من جملة أبيات .

ب- المقطوعة ق(٦) وهي تتكون من بيتين، نقلهما عن "المؤتلف والمختلف" للامدي الذي نسبهما إلى زفر بن الحارث الفسيري. وعلق الأستاذ النجار على النسبة أنها خطأ، لأن زفر بن الحارث كلابي لا فسيري. وهذا وهم منه فقد ميز الامي بينهما، وذكر أنهما مختلفان، والبيتان ليسا من شعر صاحبا البيت، ويجب إسقاطهما من الديوان.

ج- المقطوعة ق(١٣) وهي بيت واحد نقله عن "تاريخ ابن عساكر" مختل الوزن، سنصححه فيما سيلي.

د- المقطوعة ق(١٤) وهي أربعة أبيات نقلها عن "نقائض جرير والأخطل" منها ثلاثة في "كامل ابن الأثير" و"الأغاني" و"أنساب الأشراف".

هـ- المقطوعة ق(٢٢) وهي أبيات ستة نقلها عن "الأغاني" الذي عزاها إلى زفر أو غيره. أورد منها الأستاذ القيسي بيتين - هما الرابع والخامس - عن "معجم ما استعجم"، ولم يرد هذا الكتاب في مصادر الأستاذ النجار.

و- زاد على القصيدة ق(٢٦) بيتين - هما الخامس عشر والسادس عشر - نقلهما عن "التنبيه والإشراف" للمسعودي .

أَمَّا الدُّكْتُورُ الْقَيْسِيُّ فَرَادَ مَا جَمَعَهُ مِنْ شِعْرِ زُفَرٍ عَلَى نَشْرِ الدُّكْتُورِ النَّجَّارِ بَيْتاً
لَمْ يَذْكُرْ مَصْدَرَهُ جَاءَ ثَانِياً لِبَيْتِ الْمَقْطُوعَةِ ق (٩) - وَهِيَ عِنْدَهُ بِرَقْم (١١) - وَالْبَيْتُ
هُوَ:

مُلِحّاً عَلَيَّ بِالْحِجَارَةِ دَائِباً لَأَنْتِي وَقُورٌ، وَالْكَرِيمُ وَقُورُ

كما أوردَ الدُّكْتُورُ الْقَيْسِيُّ قِطْعَةً بِرَقْم (١٤) - عَنْ "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - هِيَ
الْبَيْتُ السَّادِسُ مِنَ الْقَصِيدَةِ ق (٤) عِنْدَ الْأُسْتَاذِ النَّجَّارِ، وَلَكِنَّهُ مُغَيَّرُ الْعَجْزِ بِرِوَايَةٍ:
"فَمَا عَدَلْتُ جُمُوعَهُمْ عُمَيْراً" عِوَضاً عَنْ: "فَمَا عَدَلْتُ عُمَيْرَ ابْنِ الْحُبَابِ". وَلَا أَدْرِي
مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ بِرِوَايَتِهِ، إِذْ إِنَّهُ أَحَالَ عَلَى "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" حَسْبُ،
وَالرِّوَايَةُ هُنَاكَ كَمَا أوردَهَا الْأُسْتَاذُ الْقَيْسِيُّ.

وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ كُلَّ الَّذِي أَضَافَهُ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ لَمْ يَتَجَاوَزْ اثْنَيْ عَشَرَ بَيْتاً، أَيْ
نَحْوَ عَشْرِ أَبْيَاتِ الدِّيوانِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى إِعَادَةِ جَمْعِ الشُّعْرِ
لِقَلَّةِ هَذَا الْمُسْتَدْرَكِ. عَلَى أَنَّ (صُنْعَ) الدِّيوانِ - بِحَسَبِ الْمَنَاهِجِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي
الْبَحْثِ آنِفاً - يَكْفِي مُبَرِّراً لِإِعَادَةِ نَشْرِهِ. وَلَقَدْ سَمَى الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ عَمَلَهُ فِي الدِّيوانِ:
"صَنْعَةً"، فَعَلَيْنَا إِذْنًا أَنْ نَنْظُرَ فِيهِ عَلْنَا نَجِدُ لَهُ مَخْرَجاً يُسَوِّغُ مَا حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ
وَمَا بَدَّلَ مِنْ مَجْهُودٍ.

افْتَتَحَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ الدِّيوانَ بِمُقَدِّمَةٍ قَصِيرَةٍ عَنْ زُفَرٍ وَشِعْرِهِ وَعَنِ الْمَنْهَجِ الَّذِي
اتَّبَعَهُ فِي عَمَلِ الدِّيوانِ، جَاءَ نَسَبُ زُفَرٍ فِي نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ - فِي
سَطْرَيْنِ - طَبَقَتَهُ وَمَكَانَتَهُ فِي قَيْسٍ، وَلَخَصَ سِيرَتَهُ السِّيَاسِيَّةَ فِي سَطْرَيْنِ آخَرَيْنِ،
وَتَطَرَّقَ إِلَى بَعْضِ صِفَاتِهِ وَسِمَاتِهِ فِي نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ، وَعَرَضَ لِابْنِهِ هُذَيْلٍ

وَسَجَاعَتِهِ، فَقَصَّ حَادِثَةً جَرَتْ لَهُ فِي مَا يُقَارِبُ الصَّفْحَةَ، وَعَادَ إِلَى شِعْرِ زُفَرٍ فَبَيَّنَ
بُحُورَهُ وَقَوَافِيَهُ وَأَغْرَاضَهُ فِي نِصْفِ صَفْحَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ الدِّيَّانِ فِي الْقَدِيمِ
وَضِيَاعِهِ فِي نَحْوِ صَفْحَتَيْنِ، وَخَصَّصَ صَفْحَتَيْنِ أَيْضاً لِسَرْدِ الْمَنْهَجِ الَّذِي ارْتَضَاهُ
لِعَمَلِهِ فِي الدِّيَّانِ...

قَدْ يُقْبَلُ مِنَ الْبَاحِثِ تَقْدِيمٌ مُوجَزٌ كَهَذَا لَوْ كَانَ الْعَمَلُ جَمَعَ شِعْرٍ لَمْ يَسْبِقْ
جَمْعُهُ، فَإِنَّ الْغَرَضَ آنَذَاكَ يَكُونُ لَمْ شَتَاتٍ مَا تَفَرَّقَ مِنَ الْأَبْيَاتِ فِي بَطُونِ الْمِطَانِ
تَسْهِيلاً لَوُصُولِ الدَّارِسِينَ إِلَيْهَا. أَمَّا إِذَا تَجَاوَزَ الْعَمَلُ الْجَمْعَ فَلَا يُقْبَلُ مِثْلُ هَذَا
الْإِخْلَالِ فِي تَقْدِيمِ مَجْمُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ كَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ، لِأَنَّ
تَفْصِيلَ سِيرَةِ الشَّاعِرِ يُسَاعِدُ عَلَى إِضْحَاحِ غَوَامِضِ شِعْرِهِ، وَلَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ مَا جَاءَ
فِي مُقَدِّمَةِ الْأُسْتَاذِ النَّجَّارِ، الَّتِي لَمْ تَخُلْ - عَلَى قِصَرِهَا - مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالْأَوْهَامِ.

جَاءَ نَسَبُ الشَّاعِرِ فِي الْمُقَدِّمَةِ: "زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرِو
الصَّعِقِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ نُفَيْلٍ..." وَأَشَارَ الْأُسْتَاذُ الْفَاضِلُ إِلَى أَنَّ الْمَصَادِرَ أَظْهَرَتْ
اِخْتِلَافاً يَسِيرًا فِي سِيَاقِ نَسَبِهِ. وَفِي النَّسَبِ - كَمَا وَرَدَ - خَطَايَا: أَوَّلُهُمَا أَنَّ
"مُعَاذًا" بِالذَّالِ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ "مُعَازٌ" بِالزَّيِّ، كَذَلِكَ هُوَ فِي "جَمَهْرَةَ" ابْنِ الْكَلْبِيِّ -
ص ٢٣١- و"أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥ ص ٢٩٨- و"الْمُسْتَنْبِطُ فِي الرِّجَالِ" لِلدَّهْلِيِّ -
ص ٥٩٩- وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بِالزَّيِّ. وَهُوَ فِي شِعْرِ الْأَخْطَلِ - دِيَّانٍ (طَبْعَةٌ بَاوَةٌ)
ص ٢٤١، و"الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ" ص ٤٠٣:-

لَعَمْرُ أَيْبِكَ يَا زُفَرُ بْنُ عَمْرِو
وَرَكْضُكَ غَيْرَ مُنْقَبِتٍ إِلَيْهِ
لَقَدْ نَجَّاكَ جَدُّ بَنِي مُعَازٍ
كَأَنَّكَ مُمَسِّكٌ بِجَنَاحِ بَازٍ

وَهَكَذَا وَرَدَ أَيْضاً فِي "شَرْحِ الْحَمَاسَةِ" لِلتَّبْرِيزِيِّ - ج ١ ص ٧٩ - وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:
 وَ"مُعَازٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّدَّةِ"، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْأَمْعَزِ مِنَ الْأَرْضِ". وَالتَّحْرِيفُ هَذَا قَدِيمٌ
 مُنْتَشِرٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَظَانِّ الْمَطْبُوعَةِ وَالْمَخْطُوطَةِ، سَبَبُهُ نُذْرَةُ مُعَازٍ فِي الْأَسْمَاءِ
 وَكَثْرَةُ مُعَازٍ. وَثَانِيهِمَا أَنَّ الصَّعِقَ هُوَ خُوَيْلِدٌ لَا عَمْرُو، كَمَا فِي "جَمْهَرَةِ" ابْنِ الْكَلْبِيِّ -
 ص ٣٢٠ - وَ"النَّفَائِضِ" ص ٣٨٧، ٧٥٩ - وَ"الْخَزَانَةِ" - طَبْعَةُ هَارُونَ ج ١ ص ٤٣٠ -
 وَهُوَ خَطَأٌ قَدِيمٌ كَذَلِكَ، سَبَبُهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الصَّعِقِ الْفَارِسِ الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ الْمَشْهُورَ
 يُنسَبُ إِلَى جَدِّهِ عَادَةً، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الصَّعِقِ، وَقَدْ جَرَتْ الْعَرَبُ
 عَلَى النَّسْبَةِ إِلَى الْجَدِّ الْأَقْرَبِ وَالْجَدِّ الْأَبْعَدِ أَيْضاً، كَعَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيِّ، وَبَيَّنَّهُ
 وَبَيَّنَ الرَّقَاعَ أَرْبَعَةَ آبَاءٍ.

ثُمَّ نَقَلَ الْبَاحِثُ مَا حَكَاهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي "شَرْحِ شَوَاهِدِ الشَّافِيَّةِ" مُعَرِّفًا بِزُفَرٍ، وَهُوَ
 كَلَامٌ مُخْتَصَرٌ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ يُشَبِّهُ مَا يَجِيءُ بِهِ الْمُحَقِّقُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ فِي الْحَوَاشِي
 مُعَرِّفِينَ بِالْأَعْلَامِ الَّتِي تَرُدُّ فِي النُّصُوصِ، وَقَدْ أَدَّى اخْتِصَارُهُ إِلَى وَقُوعِ الْوَهْمِ وَالْإِلْهَامِ
 فِيهِ. قَالَ: "وَشَهِدَ وَقْعَةً صِفِيْنَ مَعَ مُعَاوِيَةَ أَمِيرًا عَلَى أَهْلِ قِنْسَرِينَ. وَهَرَبَ مِنْ قِنْسَرِينَ
 فَلَحِقَ بِقَرْقِيسِيَاءَ، وَلَمْ يَزَلْ مُتَحَصِّناً بِقَرْقِيسِيَاءَ حَتَّى مَاتَ فِي مُدَّةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
 مَرْوَانَ..". وَالنَّصُّ بِهَذَا الشَّكْلِ يُوْهِمُ أَنَّ زُفَرَ هَرَبَ مِنْ قِنْسَرِينَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ بَقِيَ
 خَارِجاً عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ مُتَحَصِّناً بِقَرْقِيسِيَاءَ إِلَى أَنْ مَاتَ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ زُفَرَ اسْتَوَلَى عَلَى
 قِنْسَرِينَ أَيَّامَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَبَايَعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْ قِنْسَرِينَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ مَرْجِ
 رَاهِطٍ فَلَحِقَ بِقَرْقِيسِيَاءَ وَلَمْ يَزَلْ مُتَحَصِّناً بِهَا حَتَّى أَمَّنَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَصَالَحَهُ
 عَلَى أَنْ لَا يُبَايَعَ حَتَّى يَمُوتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ. وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عِنْدَمَا سَارَ إِلَى مُصْنَعِبِ
 ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِي الْقِتَالِ.

فَإِذَا عُدْنَا إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ عَنِ الدِّيَّانِ، وَجَدْنَاهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ صَاحِبَ
 "الْفَهْرَسْتِ" لَمْ يُبَيِّنْهُ فِيمَا سَرَدَ مِنْ أَسْمَاءِ الْكُتُبِ فِي مُؤَلَّفِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدِّيَّانَ قَدْ
 بَدَأَ فِي الضِّيَاعِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ - زَمَنِ تَأْلِيفِ "الْفَهْرَسْتِ" - أَوْ قَدْ ضَاعَ

فِعْلاً. وَفِي قَوْلِهِ هَذَا وَهَمَانِ: الْأَوَّلُ أَنَّ ابْنَ النَّدِيمِ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ - لَا الْخَامِسِ -، وَالثَّانِي أَنَّ إِغْفَالَهُ ذَكَرَ الدِّيَوَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى ضِيَاعِهِ آنَذَاكَ، فَإِنَّهُ أَغْفَلَ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ابْنِ مَيْمُونٍ وَالْعَيْنِيِّ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كِتَابُ "مُنْتَهَى الطَّلَبِ" كَامِلًا، كَمَا أَنَّ الْعَيْنِيَّ لَمْ يَقِفْ عَلَى دَوَابِينَ كَثِيرَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْنَا أَوْ رَأَاهَا الْبَغْدَادِيُّ، كَدَوَابِينَ الْعَجَّاجِ وَعَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ وَعَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ وَعَدِيَّ بْنُ الرَّقَّاعِ، وَكَانَ عَلَى الْبَاحِثِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلَى ذِكْرِ الدِّيَوَانِ بَعْدَ يَاقُوتَ، الَّذِي تُوفِّي سَنَةَ ٦٢٦ هـ، أَيْ بَعْدَ وَفَاةِ مَيْمُونِ.

فَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ رَأَيْنَا أَنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُحَقِّقَ لَمْ يُحَاوِلْ إِعَادَةَ صِيَاغَةَ الْقَصَائِدِ بَلْ أَتْبَعَهَا كَمَا عَثَرَ عَلَيْهَا دُونَ تَصْرِفٍ - إِلَّا بِشَكْلِ مَحْدُودٍ - وَقَدْ بَيَّنَّ مِنْهَجَهُ هَذَا فِي نَهَايَةِ مُقَدِّمَتِهِ، وَذَكَرَ وَجْهَةَ النَّظَرِ الَّتِي دَعَتْهُ إِلَى ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الشَّعْرَ بِحَسَبِ الْقَوَافِي، وَلَمْ يُرْتَّبْهُ بِحَسَبِ السَّلْسُلِ الزَّمَنِيِّ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ فِي مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الدَّوَابِينَ. أَمَّا تَعْلِيْقَاتُهُ عَلَى الْأَبْيَاتِ فَكَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الطُّولِ، فَمِنْهَا مَا اسْتَوْفَى شَرْحَهُ وَمِنْهَا مَا ابْتَسَرَهُ ابْتِسَارًا، فَلَمْ يُعَلِّقْ مَثَلًا عَلَى الْقَصِيدَةِ الْأُولَى الْمَكُونَةِ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَبْيَاتٍ، مَعَ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ تَدْعُو إِلَى التَّعْلِيْقِ وَالشَّرْحِ، مِثْلَ بَيَانِ الْأَعْلَامِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا: سَعِيدٌ وَحَلْحَلَةٌ وَبَنِي عَبْدِودٍّ - وَالْأُسْتَاذُ الْبَاحِثُ قَلَمًا عَرَفَ بِالْأَعْلَامِ الْوَارِدَةِ فِي الشَّعْرِ - وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا الْقَصِيدَةُ، وَكُلُّهَا أُمُورٌ تَسْتَوْجِبُ (الصَّنْعَةَ) شَرْحَهَا وَتَبْيَانَهَا، إِذْ إِنَّ الْقَصِيدَةَ قِيلَتْ فِي حَادِثَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَهِيَ وَقْعَةُ بَنَاتِ قَيْنٍ، وَسَعِيدٌ هُوَ سَعِيدُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَحَلْحَلَةٌ هُوَ حَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْأَسَّيْمِ، وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى بَنِي عَبْدِودٍّ وَبَنِي عَلِيٍّ فَأُكْثِرَا فِيهِمُ الْقَتْلَ، فَسَلَّمَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَنِي عَبْدِودٍّ وَبَنِي عَلِيٍّ لِيَقْتَصَا مِنْهُمَا، وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِ زُفَرٍ:

بَنِي عَبْدِ وَدٍّ لَا يُطَالِبُ تَارِنَا مَنِ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ إِنْ شَبَّتِ الْحَرْبُ

كُلَّ هَذَا أَهْمَلَهُ وَلَمْ يُعَلِّقْ شَيْئاً عَلَى الْأَبْيَاتِ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ فِي "الْأَغَانِي" -
مَصْدَرُهَا الْوَحِيدِ- دُونَ شَرْحٍ أَوْ تَعْلِيلٍ، لَكِنَّهُ تَتَأَوَّلُ الْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ - وَهِيَ
أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ - بِشَرْحٍ مُطَوَّلٍ وَتَعَالِيقَ بَلَغَتْ صَفْحَتَيْنِ، ذَلِكَ أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي شَرْحِ
التَّبْرِيزِيِّ لِلْحَمَاسَةِ، فَسَرَدَ جُلًّا مَا كَتَبَهُ التَّبْرِيزِيُّ عَنْهَا بِشَكْلِ يَكَادُ يَكُونُ حَرْفِيًّا دُونَ
أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ يَنْقُلُ عَنْهُ سِوَى فِي شَرْحِهِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي شَرْحِ
الْبَيْتِ الثَّانِي قَوْلًا لِأَبِي الْعَلَاءِ لَمْ يُبَيِّنْ أَيْنَ وَقَعَ وَلَا مَنْ أَبُو الْعَلَاءِ هَذَا، وَلَعَلَّهُ
الْمَعْرِيُّ، فَقَدْ أَلْفَ كِتَابَ "الرِّيَاشِ الْمُصْطَنَعِيِّ فِي شَرْحِ مَوَاضِعَ مِنَ الْحَمَاسَةِ
الرِّيَاشِيَّةِ" - يُرِيدُ حَمَاسَةَ أَبِي تَمَّامٍ بِشَرْحِ أَبِي رِيَّاشٍ - كَمَا أَفَادَ الْعَلَّامَةُ الْمِيمَنِيُّ فِي
"أَبُو الْعَلَاءِ وَمَا إِلَيْهِ" - ص ٢٦٦، ٢٦٧ - وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ التَّبْرِيزِيَّ أَوْدَعَ فِي شَرْحِهِ
مِنْهُ جُمْلَةً صَالِحَةً. بَلْ إِنَّهُ يَنْقُلُ شُرُوحَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ دُونَ تَدْقِيقٍ فَيَقَعُ فِي
الْأَوْهَامِ الَّتِي وَقَعُوا فِيهَا، فَقَدْ أَوْرَدَ مَا عَلَّقَهُ الْمَرْحُومُ الْأُسْتَاذُ عَبْدُالسَّتَّارِ فَرَّاجٌ - فِي
تَحْقِيقِهِ كِتَابَ "الْأَغَانِي" ج ٢٣ ص ١٩٣ - عَلَى الْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنَ الْقِطْعَةِ ق
(٢٠):

أَرْضِ الْمَذَلَّةِ حَيْثُ عُقَّتْ أُمُّكُمْ وَأَبُوكُمْ أَوْحَيْتُ مُزْعَ بَخْدَلٍ

وَهُوَ قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - "عُقْتُ: حَمَلْتُ، مُزَعٌ فُرَّقَ أَوْ هِيَ مُرْعٌ، وَيَكُونُ مِنَ التَّمْرِغِ وَهُوَ النَّقْلُ" فَاتَى الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ بِهَذَا الشَّرْحِ كَمَا هُوَ، مَعَ أَنَّ فِيهِ نَظْرًا، إِذْ إِنَّ "عُقْتُ" هُنَا مِنَ الْعَقِّ وَهُوَ الشَّقُّ وَالْقَطْعُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ مَعْنَى الْحَمْلِ مَعَ قَوْلِهِ: "وَأَبُوكُمْ"!! وَقَدْ يَكُونُ مِنْ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ.

وَنَقَلَ تَعْلِيْقَ الْأُسْتَاذِ فَرَّاجٍ أَيْضًا - "الْأَغَانِي" ج ٣، ص ١٩٨ - عَلَى الْبَيْتِ:

بِكُلِّ فَتَى لَمْ تَأْبِرِ النَّخْلَ أُمُّهُ وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْغُرَائِرِ مِغْمَا

"مِغْمَا: الْمَكْتَنَزُ اللَّحْمُ". وَمَعَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَعَانِي الْمِغْمِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا وَلَا يَنْجُهِ بِهِ مَعْنَى الْبَيْتِ. وَالصَّوَابُ أَنَّهُ مِنْ عَكَمَ الْمَتَاعِ إِذَا شَدَّهُ، أَيْ لَمْ يَدْعَ هَذَا الْفَتَى رَابِطًا لِلْغُرَائِرِ - وَهِيَ الْجَوَالِقُ - وَكَانُوا يَرَوْنَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ عَارًا، لِذَلِكَ قَالَ: لَمْ تَأْبِرِ النَّخْلَ أُمُّهُ. وَهَذِهِ فَائِدَةٌ كَانَ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَيْهَا وَيُنَبِّهَ عَلَيْهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يُعَدَّ عَمَلُهُ فِي الدِّيَّانِ (صَنْعَةً).

ثُمَّ نَنْظُرُ فِي تَرْجِيحِهِ نِسْبَةَ أَبْيَاتٍ مُتَنَازِعَةٍ إِلَى شَاعِرِنَا، فَنَرَى مُحَاوَلَاتٍ لَا تَدُلُّ عَلَى تَنْبُتٍ وَتَمْحِيشٍ، مِثْلَ مَا جَاءَ فِي تَخْرِيجِ الْقِطْعَةِ ق (٢٢) الَّتِي نُسِبَتْ إِلَى زُفَرٍ وَقِيلَ هِيَ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ يَنْصُ عَلَى أَنَّ الصَّوَابَ أَنَّهَا لَهُ لِصِلَةِ مَوْضُوعِهَا بِرِثَاءِ ابْنِ الْحُبَابِ، كَأَنَّ رِثَاءَ عُمَيْرٍ كَانَ حِكْرًا عَلَى زُفَرٍ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولَ - مَثَلًا -: "وَالْأَرْجَحُ أَنَّهَا لَهُ لِقَوْلِهِ فِيهَا:

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ عُمَيْرٍ فَيُخْبَرَ عَنْ بَلَاءِ أَبِي الْهُذَيْلِ

وَأَبُو الْهَذِيلِ كُنْيَةُ زُفَرٍ". وَكَذَلِكَ الْقِطْعَةُ ق (٢٤) الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ وَإِلَى عَقِيلِ بْنِ عِلْفَةَ، وَرَجَّحَ الْأُسْتَاذُ الْبَاثُ أَنَّهَا لَزُفَرٍ لِأَنَّ الْأَبْيَاتَ "تَدُورُ حَوْلَ الْقِتَالِ مَعَ ابْنِ بَحْدَلٍ وَرَهْطِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَخْصُ زُفَرَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ". وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ عَقِيلٌ قَالَهَا، لِأَنَّهُ مِنْ مَرَّةٍ بَنَ عَوْفُ بْنُ ذِيانٍ، وَقَدْ أَوْقَعَ حَمِيدُ بْنُ بَحْدَلٍ بِفَزَارَةَ بْنِ ذِيانٍ، فَأَغَارَ سَعِيدُ بْنُ عَيْبِئَةَ بْنِ حَصْنٍ وَحُلْطَةُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ الْأَشِيمِ الْفَزَارِيَّانِ عَلَى بَنِي عَبْدِ وَدٍ وَبَنِي عَلِيمٍ مِنْ كَلْبٍ فَأَكْثَرَا فِيهِمُ الْقَتْلَ. وَعَقِيلُ بْنُ عِلْفَةَ أَقْرَبُ إِلَى فَرَازَةَ مِنْ زُفَرٍ، فَالْأَمْرُ يَخْصُهُ أَيْضًا.

وَنَصَلَ أَخِيرًا إِلَى الْفَهَارِسِ، فَجَدَّ الْأُسْتَاذُ قَدْ ذِيلَ الدِّيَوَانَ بِأَحَدِ عَشَرَ فَهْرَسًا، وَهُوَ عَمَلٌ جَيِّدٌ يُحْمَدُ لَهُ. عَلَى أَنَّنَا إِن تَدَبَّرْنَا هَذَا نَجِدُ أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَ الْفَهَارِسِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرِ جَهْدٍ، إِذْ إِنَّ الشَّعْرَ كُلَّهُ لَمْ يَنْفِ عَلَى الْمِائَةِ بَيْتٍ إِلَّا قَلِيلًا، أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ قَصِيدَةً وَاحِدَةً طَوِيلَةً. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَهْمَلَ عَمَلُ الْفَهَارِسِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ شَيْئًا مِنْ الْكَدِّ وَالنَّصَبِ، كَفَهْرَسِ التَّسْلُسِ الزَّمَنِيِّ لِلْقَصَائِدِ، وَفَهْرَسِ اللُّغَةِ، وَفَهْرَسِ الْمَعَانِي وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالصُّورِ ... إلخ..

وَتَخْلُصُ مِنْ نَظَرَتِنَا السَّرِيعَةِ هَذِهِ فِي عَمَلِ الْأُسْتَاذِ النَّجَّارِ إِلَى أَنَّ مَا قَدَّمَ لَمْ يَتَعَدَّ الْجَمْعَ فَلَا مَخْرَجَ لَهُ إِذَنْ وَلَا عِذْرَةَ فِيمَا قَامَ بِهِ، فَإِنَّهُ عَمَلٌ مَكْرُورٌ مُعَادٌ.

بَقِيَتْ ملاحظات قليلة على النص المنشور يجدر بي أن أثبتّها، إذ إن من حق الأستاذ علي أن أقرأ عمله قراءة دارسٍ مُحَصِّصٍ لا قراءة متفحصٍ متعجلٍ، ومن حق العلم والتراث أن أذكر ما وقفت عليه أثناء هذه القراءة.

ق (٣) ب - الْبَيْتُ (٣): جَاءَ عَجْرُ الْبَيْتِ: "وَفِي هُوْلَاءِ مِنْ سُوْقَةٍ شَرَفٌ حَسْبِي" صَوَابُهُ: "وَفِي هُوْلَا" لِيَبْتَرْنَ الْعَجْرُ.

ق (٤) - البَيْتُ (٦): أَشَرْنَا سَابِقاً إِلَى أَنَّ عَجْرَهُ هُوَ: "قَمَا عَدَلْتُ جُمُوعَهُمْ عُمَيْرًا" وَلَيْسَ كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ، إِذْ إِنَّ الْعَجْرَ هُنَاكَ هُوَ عَجْرُ الْبَيْتِ (٤) مِنَ الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا.

ق (٥) - البَيْتُ (٣): لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَيْسَ مِنَ الْمَقْطُوعَةِ الْمَذْكُورَةِ بَلْ هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى، لِاخْتِلَافِ مَوْضُوعِيهِمَا.

ق (٦) - : لَيْسَ الْبَيْتَانِ الْمَذْكُورَانِ لِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ، بَلْ هُمَا لِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ، فَإِذَا رُجِعَ فِي الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ وَهُمْ. وَقَدْ سَقَطَ فِي الطَّبَاعَةِ حَرْفُ الْجَرِّ (مِنْ)، فِي عَجْرِ الْبَيْتِ الثَّانِي، وَالصَّوَابُ: مِنْ أَرْزَمَانَ..

ق (٩) : الْبَيْتُ فِي "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥ ص ٣٠١ - لَهُ أَوْ لِعَیْرِهِ.

ق (١٠) - البَيْتُ (١): "سَيَّانٌ صَوَابُهَا: "سَيَّانٌ بِكَسْرِ النُّونِ، وَلَعَلَّهَا مِنْ أخطاءِ الطَّبَاعَةِ.

ق (١٢) - : وَرَدَتِ الْأَبْيَاتُ فِي "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥ ص ٣٢٥ - مَنسُوبَةً إِلَى عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ أَوْ إِلَى غَيْرِهِ، وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ (مَعَ اخْتِلَافٍ كَبِيرٍ فِي رِوَايَةِ الثَّلَاثِ) فِي دِيَوَانِهِ - ص ٧١، ٧٢ - نَقْلًا عَنْ "الاستيعاب" - ج ٣ ص ٥٥٩ - وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ أَيْضًا فِي "الْخَزَائِنَةِ" (هَارُونَ) - ج ٣ ص ١٧١.

ق (١٣) - : وَرَدَ الْبَيْتُ فِي النَّصِّ كَمَا يَلِي:

فَإِنَّ زُبَيْرًا الْحَيَاءُ فَإِنْ أُمْتُ فَإِنِّي لَمَوْصٍ هَامَتِي بِالتَّرْتِيرِ

وَأَشَارَ الْجَامِعُ إِلَى اخْتِلَالِ وَزْنِهِ. أَقُولُ: صَوَابُ الصَّدْرِ: "قَاتِي زُبَيْرِي الْحَيَاةَ فَإِنْ أُمْتُ" فَبِهَذَا فَقَطْ يَسْتَقِيمُ الْوَزْنُ وَالْمَعْنَى.

ق (١٤) - البيت (٢): وَرَدَ فِي النَّصِّ: "أَنْتَرُكَ حَيَّ ذِي يَمَنِ"، صَوَابُهُ: "أَنْتَرُكَ" بِنَاءَيْنِ.

ق (١٤) - الشَّرْحُ (ص ٢٣٤): جَاءَ فِيهِ: "وَأَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بْنُ ظَبْيَانَ.." وَالصَّوَابُ أَنَّهُ عُبِيدُ اللَّهِ..

ق (١٦) - الشَّطْرُ (٣): هُوَ فِي النَّصِّ وَفِي مَصَادِرِ الرَّجَزِ أَيْضًا: "لَيْسَ بِوَهْوَاهٍ وَلَا بِرَاعٍ" وَفِيهِ تَصْحِيفٌ صَوَابُهُ: "وَلَا بِرَاعٍ" بِالْيَاءِ الْمُتَنَاءَةِ مِنْ أَسْفَلَ.

ق (١٨) - شَرْحُ الْبَيْتِ (٣): قَالَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ: تَرْحِيلُ الشَّمْسِ: هُوَ أَنْ تَنْبَسِطَ وَلَا يَشْتَدَّ حَرُّهَا بَعْدُ. وَلَكِنَّ رِوَايَةَ النَّصِّ: "تَرْجَلُ" وَشَرْحُهَا التَّبْرِيزِيُّ فِي مَعْرِضِ تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْبَيْتِ فَقَالَ: "وَالْتَرْجُلُ هُوَ أَنْ تَنْبَسِطَ الشَّمْسُ وَلَمْ يَشْتَدَّ حَرُّهَا بَعْدُ" وَهُوَ صَوَابُ مَا جَاءَ فِي الدِّيَوَانِ.

ق (١٩) - الْبَيْتُ (١): وَرَدَتْ قَافِيَتُهُ فِي النَّصِّ: "تُجْهَلُ" بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ، وَكَذَلِكَ قَافِيَةُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ "تُجْدَلُ"، وَالصَّوَابُ فِيهِمَا الْبِنَاءُ لِلْمَعْلُومِ: "تُجْهَلُ" وَ"تُجْدَلُ". وَقَادَ الْجَامِعُ إِلَى الْوَهْمَيْنِ مَجْبِوْهُمَا فِي الْمَصْدَرِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ - وَهُوَ "أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ" - كَذَلِكَ.

ق (٢٠) - الْبَيْتُ (٢): رَوَى الْأُسْتَاذُ الْجَامِعُ الْبَيْتَ كَمَا جَاءَ فِي مَصْدَرِهِ "الْأَغَانِي":

أَيُّهُلُّنَا يَا كُلُّبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ أَمْ الْهُوَيْلُ الْأَوَّلُ
وَلَا يَنْجِيهِ لَهُ مَعْنَى. وَأَظُنُّ صَوَابَ الصَّدْرِ: "أَفْهَوْلُنَا يَا كُلُّبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ". وَهَلْ نَكُونُ قَدْ
بَعْدُنَا عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ لَوْ قَرَأْنَا الْبَيْتَ: "أَهْذَيْلُنَا" و"الْهَذَيْلُ الْأَوَّلُ"؟.

ق (٢٠) - التَّخْرِيجُ: قَالَ الْجَامِعُ: "كَذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ فِي أَنْسَابِ
الْأَشْرَافِ.. وَالصَّوَابُ أَنَّ مَا فِي "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" هُمَا الْبَيْتَانِ الْأَوَّلُ وَالرَّابِعُ فَقَطُّ.

ق (٢١) - الْبَيْتُ (٤): جَاءَ الْبَيْتُ فِي النَّصِّ وَفِي مَصْدَرِهِ الْوَحِيدِ "الْوَحْشِيَّاتِ":

رِمَاخُهُمْ يَرِدْنَ عَلَى ثَمَانٍ وَعَشْرٍ قَبْلَ تَرْكِيبِ النَّصَالِ
هَكَذَا بِالرَّاءِ فِي "يَرِدْنَ"، وَهُوَ لَا شَكَّ خَطَأُ طِبَاعَةٍ فِي "الْوَحْشِيَّاتِ" جَرَّ إِلَى الْوَهْمِ فِي
الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ. وَالصَّوَابُ: "يَزِدْنَ" بِالزَّايِ، أَيْ يَزِيدُ طُولُ الرَّمَحِ مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ
عَشَرَ شِبْرًا قَبْلَ تَرْكِيبِ النَّصْلِ.

ق (٢٢) - حَوْلَ الْأَبْيَاتِ (ص ٢٥٤): نَقَلَ الْأُسْتَاذُ عَنِ "الْأَغَانِي" مَا أوردَهُ هُنَا،
وَفِيهِ الْأَخْطَاءُ التَّالِيَةُ:

س (٢): مُسْلِمُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَذَلِكَ فِي "الْأَغَانِي" - صَوَابُهُ: "مُسْلِمُ بْنُ رَبِيعَةَ"
كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ تَالِيًا وَكَمَا فِي "شَرْحِ دِيوانِ جَرِيرٍ" - ص ٥٣ - وَأَبُو الْفَرَجِ يَنْقُلُ الْخَبَرَ
عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ كَمَا أوردَهُ فِي شَرْحِ الدِّيوانِ، وَالنَّصُّ وَالشَّعْرُ هُنَاكَ ص ٥٣ - ٥٦،
وَكَذَلِكَ جَاءَ الْاسْمُ فِي "الْكَامِلِ" لِابْنِ الْأَثِيرِ - ج ٤ ص ٣١٨ - وَ"أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥
ص ٣٢٦ - س (١١): وَبَلَغَ ذَلِكَ بَنِي تَغْلِبَ وَالْيَمَنَ، وَكَذَلِكَ س (٢٤، ٢٥) وَهَذَا غَلَطٌ
مِنْ نَاشِرِي "الْأَغَانِي" صَوَابُهُ "وَالنَّمِرَ" - أَيْ النَّمِرَ بْنَ قَاسِطٍ - كَمَا فِي "شَرْحِ دِيوانِ
جَرِيرٍ"، وَلَمْ تَشْهَدْ الْيَمَنُ الْكُحَيْلَ وَلَا غَيْرَهُ مِنْ حُرُوبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ.

ق (٢٣) - النِّبْتُ (١): وَرَدَ فِي الصَّدْرِ: "أَوْلَادَ عَلَّةٍ"، وَشَرَحَهَا الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ بِقَوْلِهِ: عَلَّةٌ: مَرَضٌ، وَهَذَا غَلَطٌ صَوَابُهُ: "أَوْلَادَ عَلَّةٍ"، وَبَنُو الْعَلَاتِ: بَنُو الصَّرَائِرِ، وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ الْمُخْتَلِفِينَ: أَبْنَاءُ عِلَاتٍ، وَلِلْمُتَّفِقِينَ: أَبْنَاءُ أُمٍّ.

قَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلَةَ الْعَسَانِيُّ:

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُوٌّ وَمَحْقُورٌ
وَهُمْ بَنُو أُمٍّ مَنْ أَمْسَى لَهُ نَشَبٌ فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورٌ

وَجَاءَ عَجَزُ النِّبْتُ: "وَأَغْرَقَ فِينَا نَزْعَةً كُلُّ قَائِلٍ" وَشَرَحَهُ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ بِقَوْلِهِ: نَزْعَةً: إِفْسَادًا وَطَعْنًا. وَلَيْسَ الْإِفْسَادُ مِنْ مَعَانِي النَّزْعِ - بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ - بَلْ هُوَ النَّزْعُ - بِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ - وَصَوَابُ الْقِرَاءَةِ: "وَأَغْرَقَ فِينَا نَزْعَهُ" أَيْ رَمَانَا، وَعَلَى هَذَا فَسُرِّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾

فَقِيلَ: هِيَ الْقِسْيُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ الْعَجَزُ: "وَأَغْرَقَ فِينَا نَزْعَهُ كُلُّ قَائِلٍ" أَيْ إِفْسَادَهُ، وَلَا وَجْهَ لِنَزْعَةٍ وَلَا "نَزْعَةً" بِتَاءِ التَّأْنِيثِ فِيهِمَا.

ق (٢٣) - التَّخْرِيجُ: وَرَدَ أَنَّ الْأَبْيَاتَ فِي "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥ ص ٢٨٧ - وَالصَّحِيحُ أَنَّ بَيِّنَتَيْنِ مِنْهَا هُنَاكَ.

ق (٢٣) - حَوْلَ الْأَبْيَاتِ: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ" صَوَابُهُ: "عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ".

ق (٢٦) - الْبَيْتُ (١٠): "قَلَمَ تَرَّ مَنِّي نَبْوَةٌ": الْوَجْهُ فِي الْقِرَاءَةِ الْبِنَاءُ لِلْمَجْهُولِ: "قَلَمَ تَرَّ مَنِّي نَبْوَةٌ".

ق (٢٦) - الْبَيْتُ (١٦): "الدُّمُوعَ الدَّوَارِيَا" بِالْدَّالِ الْمُهْمَلَةِ خَطَأً طِبَاعَةً:
صَوَابُهُ: "الدَّوَارِيَا" بِالْمُعْجَمَةِ.

ق (٢٦) - حَوْلَ الْقَصِيدَةِ: نَقَلَ الْجَامِعُ عَنِ "العِقْدِ الْفَرِيدِ" أَخْبَارَ وَقْعَةِ مَرْجٍ
رَاهِطٍ، فَجَاءَ فِيهَا:

ص(٢٦٣) س (١): "وَأَقْبَلَ عَبَادُ بْنُ يَزِيدَ مِنْ حُورَانَ" أَطْنُ الصَّوَابَ مَا جَاءَ
فِي "أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ" - ج ٥ ص ١٣٦ - "عَبَادُ بْنُ زِيَادٍ مِنْ حُوَارِينَ".

س (٣): "وَأَمَرَ مَرْوَانَ بِرِجَالٍ" وَكَذَلِكَ هِيَ فِي "العِقْدِ" - طَبْعَةُ الْعَرِيَانِ -
صَوَابُهَا: "وَأَمَدَّ".

س (٦): "أَكْثَرَهُمْ رِجَالُهُ.." صَوَابُهَا: "رَجَالَهُ"

ق (٢٦): شَرَحَ الْبَيْتِ (١٣): تَشَحَّطُ: تَزْفَرُ، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّفْسِيرِ، وَكَيْفَ
تَزْفَرُ الْحَيْلُ بِالْقَنَا؟ وَالشَّحَطُ الذَّبْحُ وَالاضْطِرَابُ فِي الدَّمِ.

ق (٢٦) - شَرَحَ الْبَيْتِ (١٥): جَاءَ تَفْسِيرُ (شَدَاتِ الْأَعْرُ): "شَدَاتُ جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ
الْحَمْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَالْأَعْرُ مِنَ الْأَيَّامِ: الشَّدِيدُ الْحَرِّ". وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِذْ كَيْفَ
تُجْبِيهِ حَمَلَاتُ الْحَرْبِ الَّتِي تَخُصُّ الْيَوْمَ الشَّدِيدَ الْحَرِّ كَأَنَّمَا يَرَى الْجِبَالَ صَحَارِي؟!
وَالصَّوَابُ: الشَّدَاتُ: جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ الْإِسْرَاعُ فِي الرِّكْضِ، وَالْأَعْرُ: فَرَسٌ ذُو غُرَّةٍ،
أَوْ اسْمُ فَرَسِهِ. أَيْ أَنَّ مَا نَجَّاهُ كَانَ شَدَاتُ هَذَا الْفَرَسِ الَّذِي كَأَنَّهُ يَرَى الْجِبَالَ
صَحَارِي لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ.

الْفَهْرُسُ الْفَلَكِيُّ - ص(٢٧٦): جَاءَ ضِمْنُ هَذَا الْفَهْرَسِ: "الْأَعْرُ" لِلْعَلَطِ فِي فَهْمِ
مَعْنَى الْبَيْتِ، وَمَوْضِعُهُ فِي "فَهْرَسِ الْحَيَوَانِ" وَكَذَلِكَ: "الشَّهْبَاءُ" وَلَا مَكَانَ لَهَا هُنَا إِذْ
إِنَّ مَعْنَاهَا: كَتَيْبَةُ شَهْبَاءٍ، أَيْ تَلْبَسُ الْحَدِيدَ، وَمَوْضِعُهَا فِي "فَهْرَسِ الْأَسْلِحَةِ"

وَمُعَدَّاتِ الْقِتَالِ". وَكَذَلِكَ: "الهِلَالُ"، ظَنَّهُ هِلَالُ السَّمَاءِ، وَهُوَ الرُّمْحُ ذُو الشُّعْبَتَيْنِ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُنَاسِبُ الْمَعْنَى.

فَهَرَسُ الْمَرَاجِعِ - ص(٢٧٦): ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى طَبْعَةِ دَارِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ لِكِتَابِ "الْكَامِلِ" لِابْنِ الْأَثِيرِ وَقَدْ أَحَالَ حَقًّا عَلَى هَذِهِ الطَّبْعَةِ إِلَّا عِنْدَ تَخْرِيجِهِ الْقِطْعَةَ ق (٤)، فَقَدْ أَحَالَ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ صَادِرٍ دُونَ إِشَارَةٍ إِلَى ذَلِكَ. وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى طَبْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ يَذْكَرُ - عَلَى الْأَقْلَ - الطَّبْعَةَ الَّتِي يُحِيلُ عَلَيْهَا.

هَذَا مَا رَغِبْتُ فِي إِثْبَاتِهِ مِنْ تَعْلِيقَاتِي عَلَى مَا جَمَعَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ مِنْ شِعْرِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ أَنْهِيَهَا بِذِكْرِ أَبْيَاتٍ لَمْ تَرِدْ فِيهِ وَلَا فِي عَمَلِ الْأُسْتَاذِ الْقَيْسِيِّ، وَقَعْتُ عَلَيْهَا أَنْتَاءَ دِرَاسَتِي لِلشَّعْرِ دُونَمَا اسْتِقْصَاءٍ أَوْ اسْتِيفَاءٍ، أَوْرَدُهَا إِكْمَالًا لِلْبَحْثِ وَخِدْمَةً لِلشَّعْرِ.

١- أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عَيَّلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْعُصَيْرِ تَغَنَّتْ

التَّخْرِيجُ: "اللَّسَانُ" (بَقْق) لَهُ أَوْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ، "اللَّسَانُ" (عِيل) لَهُ، وَكَذَلِكَ "حَيَاةُ الْحَيَوَانِ" ١/١٥٣.

٢- أَفْدِمَ صِدَامٌ إِنَّهُ ابْنُ بَحْدَلٍ

٣- لَنْ تُدْرِكَ الْخَيْلَ وَأَنْتَ تَدَّالُ

٤- إِلَّا بِمَرٍّ مِثْلَ مَرِّ الْأَجْدَلِ

التَّخْرِيجُ: "أَسْمَاءُ خَيْلِ الْعَرَبِ وَفُرْسَانِهَا" لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ - تَحْقِيقُ الْقَيْسِيِّ وَالضَّامِنِ - ص ٦٥، وَالرَّجَزُ فِي "الْأَغَانِي" ٢٣/١٨٥ مَسْنُوبًا إِلَى عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ

مَعَ ذِكْرِ أَنَّ صِدَاماً لَهُ. عَلَى أَنَّ "الْقَامُوسَ الْمُحِيطَ" (صدم) يُنْصُ عَلَى أَنَّ صِدَاماً
لِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ.

التَّخْرِيجُ: "جَمَهْرَةُ" ابْنِ الْكَلْبِيِّ، ص ٣٢١. وَوَكَيْعُ بْنُ زُفَرٍ.

خَاتِمَةٌ:

كُنْتُ وَعَدْتُ فِي بَحْثٍ سَابِقٍ أَنْ أَتَنَاوَلَ فِي مَقَالٍ مَا أَرَاهُ النَّهْجَ الصَّحِيحَ
الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ عِنْدَ إِخْرَاجِ الشَّعْرِ عَنْ طَرِيقِ جَمْعِ مُتَنَائِرِهِ مِنْ بُطُونِ الْكُتُبِ.
وَأَنْجَزَ حُرّاً مَا وَعَدْتُ. وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا بَيِّنَاتٌ مِنْ أَسْوَاسِ عِلْمَاتِ
يَهْتَدِي بِهَا مَنْ نَهَدَ لِجَمْعِ أَشْعَارِ شَاعِرٍ ضَاعَ دِيوَانُهُ، أَوْ تَصَدَّى لِـ"صُنْعِ" دِيوَانِ
شَاعِرٍ. وَقَدْ أَكُونُ حَمَلْتُ الْبَاحِثِينَ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَأَبْطَرْتُهُمْ دَرْعَهُمْ، لَكِنِّي إِنَّمَا
اسْتَلْهَمْتُ أَعْمَالَ عُلَمَائِنَا الْقُدَامَى، فَطَلَبْتُ مِنْ بَاحِثِينَا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِهِمْ، وَيَسِيرُوا عَلَى
سَنَنِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْمُرْتَقَى صَعْباً كَوُوداً، وَالْمَسْلُوكَ حَزْناً مُسْتَعْلِقاً.

وَأَنَا إِنْ كُنْتُ أَنْهَيْتُ بَحْثِي بِمَا عَلَّقْتُهُ عَلَى شِعْرِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي
جَمَعَهُ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ النَّجَّارُ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَوْضِحَ مَا اشْتَرَطْتُهُ وَطَلَبْتُهُ مِنْ
صَانِعِي الدَّوَابِينِ، وَمَا قَصَدْتُ انْتِقَاصَ عَمَلٍ وَلَا تَوْهِينَ رَأْيِي. وَلَعَلَّ الْأُسْتَاذَ النَّجَّارَ
يَنْظُرُ إِلَى مَا كَتَبْتُ عَلَى أَنَّهُ مُحَاوَلَةٌ لِخِدْمَةِ تَرَاثِنَا الْخَالِدِ وَلُغَتِنَا الشَّرِيفَةِ، فَيَقْبَلُهُ
بِرَحَابَةٍ صَدْرٍ وَسَعَةٍ جِلْمٍ، فَإِنَّ هَذَا شَأْنٌ مَنْ تَكُونُ الْحَقِيقَةُ غَايَتَهُ، وَخِدْمَةُ الْعِلْمِ
مُبْتَغَاهُ.

وَلَهُ مَبْنِي، بَعْدُ، عَظِيمُ الْإِجْلَالِ وَخَالِصُ التَّقْدِيرِ.

عَرَضَ وَتَعَرِّيفَ بِكِتَابِ

التَّارِيخُ الدِّبْلُومَاسِي لِلْمَغْرِبِ

تَأْلِيفُ الدَّكْتُورِ عَبْدِالْهَادِي التَّازِي

بِقَلَمِ الْمُؤَلِّفِ

يرجع اهتمامي بالبحث عن صلة المغرب بغيره من الأمم، إلى ما قبل خمس وعشرين سنة، وبالذات في أوائل سنة ١٩٦٣ عندما أسندت إليَّ مهمة السفارة عن بلادي ... فهناك فتحت ملف التاريخ الدبلوماسي للمغرب...

ولقد ظهر هذا الاهتمام أول الأمر في المقال الذي كتبتَه عن (العلاقات الثقافية بين روما وفاس) منذ القرن العاشر للميلاد، وكان ذلك بمناسبة الحفلات التي شهدتها المغرب وإيطاليا بمناسبة توأمة مدينة فاس مع مدينة فلورانس^(١)، وقد ظهر اهتمامي بالموضوع جلياً في عبارات الشكر والامتنان التي أجبت بها جلالة الملك الحسن الثاني وهو يسلمني أوراق اعتماد سفيراً عنه إلى بغداد، عندما ذكرت في ذلك اللقاء أمام جلالته، اسم الإمام (ابن العربي) الذي توجّه سفيراً عن السلطان يوسف بن تاشفين إلى المستظهر بالله الخليفة العباسي ببغداد قبل تسعة قرون أو تزيد^(٢)...

(١) جريدة العلم المغربية، ٩ مارس ١٩٦٣ - / مجلة المغرب لسان وزارة الشؤون الخارجية العدد ٦ مايو ١٩٦٣.

(٢) الصحف المغربية، ليوم ١٤/١٥ مايو ١٩٦٣ - / التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج١، ص ٩، ١٩٨٦ - د. التازي:

عظمة الميثاق، محاضرة أُلقيت أمام جلالة الملك يوم الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٦ = ٢٣ مايو ١٩٨٦.

من هنا أخذت طريقي نحو هذا الموضوع، وكنت أعتقد، ولا أخفي ذلك، أن الموضوع في المتناول...!

ولشدّ ما كانت مفاجأتي وأنا أجد نفسي أمام جبال متعالية شامخة - أمام مغامرة حقيقة!.

ولقد كان أول انطباع لازمني منذ هذه البداية أنني اقتنعت بأن الذين ينشدون تاريخ المغرب عن طريق الكتب التي تعالج أحداث المغرب الداخلية، من التي ألقت بلسان عربي في العهود السابقة أو اللاحقة، إنّما كانوا يبحثون عن القشور ويتمسكون بأهداب الموضوع! لأن تلك الكتب تظلّ بعيدة عن أن تعطي صورة عن هذا المغرب العظيم الذي كان يشغل حيّزاً كبيراً وهاماً في أرشيف المجموعة الدولية التي كانت تعرف جيداً عن موقعه وواقعه...

لقد كان ذلك انطباعي، ومن حسن حظّي أن ذلك الانطباع هو الذي كان وراء حملي على المضيّ قدماً في ذلك الطريق الملذّ المتعب في آن واحد!! وقد كان مما زاد في تشجيعي ملاحظتي بأن المؤرخين القدامى على العموم كانوا يهتمون تماماً الحديث عن تاريخ العلاقات الدولية للمغرب! بمن فيهم ابن خلدون ومن أتى قبله وبعده! وملاحظتي كذلك بأنّ المؤرخين المعاصرين - وخاصة منهم إخواننا في المشرق - إنّما يتحدثون عما يتصل ببلادهم دون أن يكلفوا أنفسهم الالتفات إلى هذا المغرب الذي كان رصيده متميّزاً في هذا الباب إن لم أقلّ إنّهُ أقوى وأغنى!.

وبالرغم من أن كتابي (التاريخ الدبلوماسي) قد يشعر بأنّه يقتصر على تاريخ العلاقات الدولية لديار المغرب إلا أن الكتاب - ويجب أن أقول هذا - يتناول الصلات التي ربطت العالم الإسلامي كله بالعالم المسيحي، لماذا؟ لأن المغرب - وهو يكوّن جزءاً كبيراً وبارزاً من الدولة الإسلامية الكبرى - قام بدور جدّ حاسم وجدّ

خطير وجدّ هامّ في المجموعة الدّولية، ومن ثمت يسوغ القول بأنّه مصدرٌ من مصادر تاريخ للعلاقات الدولية لملة الإسلام قاطبة مع الملل الأخرى... وهل سجّل التّاريخ الدولي للإسلام لقطة أقوى وأكثر دلالة من التي سجلها عندما وردت سفارة من ملك إنجلترا جوهن على الخليفة الناصر الموحدي (٦٠٩ - ١٢١٣) يطلب إلى العاهل المغربي أن يقدم عونه المادي لإنجلترا في مقابلة أن يعتنق جوهن دين الإسلام وأن يحمل أمته على أن تحذو بكاملها حذوه!!

وهل ينسى أحد أن ملوك المغرب هم الذين طلبوا - دون غيرهم من ملوك المشرق - من ملوك أوروبا أن يعتنقوا الإسلام^(١)؟!

وبالرغم من أن كتابي "التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب" يقع في عشرة مجلّدات، إلا أنني أقول من الآن: إنه يعطي فقط إشارات سريعة أمام الذين يريدون أن يتابعوا البحث والتّقيب ... إنّه تاريخ هائل بكل ما يكتنفه من حقائق، وأنّي لمجلّدات معدودة أن تستوعب صلة المغرب بكلّ مملكة وكلّ إمارة وكلّ دولة من دول العالم شرقه وغربه؟!

ولقد تحدثت في ديباجة الكتاب عن مشاعري وأنا أحمل نفسي على "التّأقلم" مع الموضوع ومعايشته ... سواء عن طريق اللّقاءات أو المحاضرات أو الاستجوابات أو تنظيم المعارض وكتابة المقالات والاستفادة من المناسبات...

هذا بالإضافة إلى الفائدة المستمرة من ممارستي لوظيفتي الدّبلوماسية بما تقتضيه من استقبالات واستطلاعات، أو مسابيرات ومعاكسات، أو ظروف وصروف كانت تفتح لي كلّ يوم آفاقاً جديدة وربما أجابت عن بعض الأسئلة التي كانت تنتصب أمامي...

ولقد تعمّدت في مقدّمة الكتاب - التي استوعبت وحدها مجلّدين اثنين - تعمّدت أن أبرز سائر العناصر التي استرعت نظري وأنا أحرّر أبواب الكتاب

وفصوله ... وهكذا فنظراً لأهمية المراجع التي استشرتها خصصت جانباً من المقدمة لمصادر التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية أتيت فيه على معظم ما توفرت عليه من مصادر مخطوطة أو مطبوعة سواء أكانت باللغة العربية أو غيرها من اللغات الأخرى فرنسية وإنجليزية وإسبانية وبرتغالية وإيطالية وألمانية وتركية وروسية وغيرها، مما عثرت عليه في بعض المستودعات والأرشيفات والمستندات سواء في خزائن إفريقيا أو أوروبا أو آسيا أو أمريكا...

وجدت نفسي أمام "مناجم" إذا صح هذا التعبير، وليس أمام خزائن: آلاف الملفات ... وعشرات الآلاف من البطاقات والخطابات ومئات الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات، بما فيها الاتفاقيات الثنائية والاتفاقيات المتعددة الأطراف ... والاتفاقيات المكتوبة والشفوية كذلك، مئات السفارات والبعثات لكل جهة من جهات العالم...

ولقد كونت المراسلات المتبادلة بيني وبين الذين خاطبتهم من رجال الاختصاص حول الموضوع .. كونت وحدها - وهي وافرة- مصادر جديدة أضفتها إلى تلك الوثائق...

ولقد تناولت المقدمة كذلك موضوع أصالة الممارسة المغربية في باب التعامل الدولي، وهنا كان الحديث عن صلات الإمارات المغربية بعضها ببعض، وصلاتها هي بالذين وردوا عليها من مختلف الجهات...

ومن خلال الحديث عن تلك المحاور المختلفة كلها. نقف على عدد من الموضوعات العامة التي من شأنها أن تقدم الهوية المغربية على ما هي عليه أمام أنظار العالم.

فهنا نقرأ عن شعارات الدولة المغربية سواء في الدين أو في المذهب، وسواء في الأعلام والرّيايات أو التشيد الوطني أو الأوسمة والجوائز...

ويتحدث الكتاب عن التجاوب مع الشعب وسياسته الإدارية وعن العملة المغربية وبيت المال وعن جهاز وزارة الخارجية أو (وزارة البحر) كما أصبحت تسمى في بداية عهد العلويين: عن مقرها وأول من عهد له بالمهمة وأوقات العمل وطريقة اتصال الوزير بالسلطة المركزية وعلاقاته بالسلك الدبلوماسي والقنصلي...

ويتحدث الكتاب عن المدرسة الدبلوماسية المغربية ... حيث نجد عدداً من الدول تلتجئ إليه ليقوم بمساعييه الحميدة من أجل إصلاح ذات البين وبناء قواعد السلام، حيث توسط المغرب بين عدد من الدول الآسيوية والإفريقية ... وتحققت وساطات المغرب أيضاً بين قارة وقارة حيث وجدناه يسعى للصلح بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين بعض الولايات في إفريقيا وبين قادة المغرب الكبير...

وعندما يتحدث الكتاب عن السفراء المغاربة والسفارة يتعرض لأوراق الاعتماد ونوعية المرشحين للمهام الدبلوماسية، ونشاط السفراء المغاربة في الخارج، مجاملاتهم، مصانعاتهم، مبادراتهم ... عن البعثات المتنقلة والبعثات المقيمة، وعن تفوق المغرب في تنقلاته السياسية...

وتشير المقدمة إلى معجم الدبلوماسيين المغاربة حيث نجد أنفسنا أمام لائحة طويلة عريضة للذين كانوا مبعوثين أمناء للتعريف بالمملكة المغربية، كان من بينهم سيدات مغربيات ساهمن في الحقل السياسي ... وكان من بينهم أميرات مغربيات وأخريات من أصل غير مغربي، وسيّدات كن يعشن في بلاطات أوروبية!...

ويتحدث الكتاب عن الألقاب الخلفية ومعالم الحكم ... وهنا يعرف بالفرق بين لقب أمير المؤمنين ولقب أمير المسلمين ... كما يعرف بالتقاليد الخاصة بالمظلة التي ترفع على رأس الملك، وعن الأحجار الكريمة وموسيقى الخمسة والخمسين ... واللباس المغربي:

الكساء والبرنس والجلباب، واعتزاز المغاربة بزيّهم ورفضهم للزيّ الأجنبي الذي كان يحاول بعض السلاطين القدامى إملأه على الجمهور...!

ويتحدث الكتاب عن تولّي السلطة، وإشراك الشعب فيها عن الطريق الاستشارة، وهنا نجد حديثاً عن البيعة ونظامها وتعليل القلقشندي لهذه الظاهرة في المغرب ... ومن منطلق إشراك الشعب في الحكم نجد عادة إطلاع الأمة على الأحداث الكبرى المستجدة في البلاد: مثلاً وضع المسلمين بالأندلس واصطدام الأسطول الإسباني بالإنجليزي والإخبار بوصول الوفود الأجنبية واللاجئين السياسيين إلى المغرب والإخبار كذلك بالحملة والغارات... وأخيراً تحليل المقولة السائرة: "الناس على دين ملوكهم أو الملوك على دين ناسهم"...!

ولا يغفل الكتاب الحديث عن انطباع الزوّار الأجانب حول سياسة الحكم في المغرب ... عن قوة الحكم والحنكة والممارسة المتوارثة والاستفادة من الظروف، والتسامح والعفو والعدل والتقوى وإعطاء المثل للقدوة الحسنة ... وظاهرة التخلص من عقد النقص في الحكم المغربي، فالدولة اللاحقة لا تتهيب الثناء على الدولة السابقة ... المرابطون يثنون على الأدارسة والعلويون يشيدون بالسعديين...

ويتحدث الكتاب عن دور العلماء في سياسة الحكم وأنهم كانوا وراء السياسة والقرار، ومن هنا كان اهتمام السلك الدبلوماسي الأجنبي بالعلماء، وبما يصدر عنه من فتاوى، وتكون فرصة لاستعراض الفتاوى التي كان لها أثر في التاريخ المغربي، فتواهم لمساعدة الأندلس، فتواهم لإنجاد طرابلس وبلاد الشام، فتاويهم لإبرام عقود الصلح، فتواهم بشجب بعض الباشاوات الأتراك الذين خذلوا المغرب وهو بصدد تحرير مليلية ... فتواهم لمقاطعة المستبدين والغاصبين...!

ويخصّص الكتاب جانباً منه لموقف المغرب من قضايا حقوق الإنسان حيث نقرأ فصلاً ممتعاً عن مبدأ الإسلام حول الاستعباد ... والتخلص للموقف الرائد

الذي اتخذهُ السلطان مولاي إسماعيل لتطويق ظاهرة استرقاق الإنسان عندما حظر على الخواص التسابق لتملك العبيد ... وأنقذ هؤلاء عن طريق تجنيدهم ومنحهم العيش الكريم ... وهنا حديث عن الملك محمد الثالث الذي خصص ثلث الميزانية المغربية لتحرير الإنسان دون تقييد بجنسه أو دينه أو لونه أو مركزه كذلك! ... وحديث عن الحملة الدبلوماسية المكثفة المخصصة لقضية افتداء الأسرى، وحرص المغرب في سائر الاتفاقيات الدولية على التنصيص على تحريم أسر الإنسان وتعليقات بعض الصحف الأوروبية على الموقف المتحرر للسلطان مولاي سليمان ...

ومن هنا ينتقل الكتاب إلى أهداف السفارات المغربية في القديم، فعلاوة على التوسل لتحرير الثغور المحتلة وتصفية قضايا الحدود هناك هدف الإخبار بالانتصارات واستمزاز الرأي، واستقدام الخبراء ومصاحبة البعثات الطلابية وتفقدتها وإبرام عقود السلام والتجارة ورفع التهاني وتقديم التعازي ومواساة الدول التي تتعرض لكوارث طبيعية أو "آفات سماوية" كما يسميها ابن خلدون.

وقد كان هدف السفارات المغربية أيضاً في بعض الأحيان شرح أهداف الدين الإسلامي والدعوة إلى اعتناقه ... هذا بالإضافة إلى استرجاع المخطوطات العربية من المدن المسيحية ودعم الصلات مع دول المشرق وخاصة عند مواسم الحج ...

ومن الفصول التي تعرض لها الكتاب الفصل الذي يهتم بمتاعب الدبلوماسيين ومباهمهم حيث تراهم يعايشون التقاليد الغربية ويتحملون الغربة عن الأوطان ويتعرضون لأخطار المتابعات والمصارحات والمواقف الحرجة..! ويأتي الكتاب بنماذج لها أثر عن بعض سفرائنا القدامى، وعن دور الكرم في قضاء المهام، واعتزاز السُّفراء ببلادهم وغيره الملوك على سفرائهم ...

ويخصص الكتاب جانباً منه للحديث عن المغاربة الذين سجلوا مذكراتهم في أثناء مهامهم بالخارج...

وهنا نقرأ حديثاً ممتعاً عن يحيى الغَزَّال عند سفارته لدى الروم في العصور الوسطى، وعن ابن العربي في بعثته لدى البلاط العباسي وابن بطوطة في رحلته حول العالم حيث تتخذ له صورة عند زيارته للصين، وعن التمكنوتي بإسطامبول وعن أفوقاي في لاهاي، وعن الزير الإسحافي في سفريته صحبة الأمير سيدي محمد بن عبدالله، والسفير أحمد الغَزَّال في رحلته إلى الأندلس ... والسفير ابن عثمان وهو بإسبانيا وإيطاليا وتركيا ويتخذ له بطاقة زيارة، ويتحدث عن الثورة الأمريكية من أجل الاستقلال! ومذكرات السفير الزباني بمناسبة بعثته كذلك لإسطامبول ... والناصري في الشرق، وأهماش في فرنسا، وابن إدريس في باريز، والشامي والغسال في إسبانيا، واليزدي في دول أوروبا الأربع: فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا، والكرودي في إسبانيا وابن سليمان في روسيا...

وقد تحدث المقدمة عن مساهمة القصائد العربية في تسجيل بعض المواقف السياسية والدبلوماسية، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ديوان من الشعر البطولي يعج بالمواقف المثيرة واللقطات الجميلة ... عن معركة الزلاقة في الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين ومعركة أوقليش ثم عن غزوة الأرك في عهد الموحدين ... قرأنا عن شعر ابن الأبار حول تهديد بلنسية، ودعوة ابن المرحل لإنفاذ الأندلس وملحمة الملزوزي حول سفارة شانصو واستصراخ ابن يجبش لتحرير السواحل المغربية، وقرأنا عدداً من المقطعات حول مصرع ضون سباستيان ملك البرتغال في وقعة وادي المخازن ... وعن تحرير العرائش وعن الدعوة لتحرير سبتة وعن مهاجمة الأسطول الأمريكي من لدن الأسطول المغربي ... ونداء الشعراء المغاربة بعد احتلال الجزائر وعن استقبال ملك المغرب لسفير إنجلترا أو الدانمارك والنمسا...

وتتناول المقدمة في المجلد الثاني ما يتعلّق بالصادرات والواردات ودور الأولى في التعريف بالمغرب، وتكون فرصة للحديث عن السكر المغربي وسمعته العالمية، ومعامل السكر منذ عهد الموحدين ... وعن ملح البارود والعَلَق الطبي والمواد الصيدلانية والثروة المعدنية والحيوانية والسمكية ثم الحديث عن الواردات من أعتدة حربية وقطع غيار وشاي وقهوة وآلات للموسيقى...

ويتحدّث الفصل المعنون بإبرام الاتفاقيات عن اللّغة العربية كوسيلة وحيدة للتعامل في الداخل والخارج ... وأن المغرب كان يرفض تسلم الرسائل غير المحررة باللغة العربية بالرّغم من وجود قلم للترجمة بالبلاط المغربي على مرّ العصور ... وأن المغرب ظلّ يعتمد في توثيق معاهداته مع الأجانب على التاريخ الهجري من غير أن يجافي أحياناً التقويم الشمسي كما يعتمد على استعمال الأرقام المعروفة في الموسوعات العالمية بالأرقام العربية...

ويكشف فصل المراسلات السرية عن الكتابة بالرّموز السريّة التي عرفت منذ العهد العبيدي الذي امتدّ في بعض الأحيان إلى مدينة فاس، ويستعرض هذا الفصل الحديث عن "الشفرة" في عهد الموحدين وعهد السعديين وعهد العلويين وعن اهتمام الدّولة بسرية المراسلات ثم يقدّم صورة لإحدى الوثائق المتعلقة بالموضوع مقدماً بعض النّماذج...

وفي الفصل الخاص بورود السفارات ومراسيم الاستقبال يتحدّث عن طريقة استقبال السُفراء في العهود السابقة ... وعن حديث السُفراء الأجانب عن حفلات تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي...

وتكون هذه مناسبة للحديث عن اللّوحات الرّائعة التي رسمها الفنّانون المرافقون للبعثات الأجنبية ... ويختم هذا الفصل بالإشارة إلى اللّاجئين السّياسيين إلى بلاد المغرب من العرب والعجم...

وفي الفصل الذي خصص للهدايا المتبادلة بين المغرب وغيره من الأمم نلاحظ أن تلك الهدايا المقدمة من المغرب تكون من المواد الاستراتيجية كملح البارود والغنائم الحربية ... ومن الهدايا الجياد والصقور وكلاب الصيد والسباع والنعام ... وقد سجل من الهدايا المقدمة إلى المغرب طائفة من الساعات المختلفة الأشكال والإسطرلابات ومن الحيوانات الزرافة والفيل ... واعتباراً لما ربط بين بعض المدن المغربية وغيرها من المدن الأخرى من صلات، انتقل الفصل إلى الحديث عن التوأمة بين المواقع هنا وهناك .. كما تحدث عن تعود الحكومة المغربية على اقتناء العقار خارج المغرب...

ويخصص فصلاً للبعثات القنصلية الأجنبية المقيمة في المغرب ويتحدث عن اهتمامها ورعاية مصالح رعاياها ومصالح "المغاربة" الذين يتوفرون على "حماية قنصلية أجنبية" وهنا يظهر تنافس القنصليات ... كما تظهر بعض التقاليد الدبلوماسية المعروفة مثل إخبار المبعوث بموعد تغيبه أو عودته بعد إجازته السنوية ... ولا يهمل الفصل تتبع المغرب للحملات العدائية ووسائل الرد عليها...

ويأتي بعد هذا فصل يكمل الفصل السابق، ويتعلق الأمر بوضعية الدبلوماسيين الأجانب بالمغرب ... وهنا يتحدث عن الحصانة، وعن حرية العقيدة والإعفاء من أداء الديونة ومبدأ المعاملة بالمثل منذ عهد الدولة الموحدية إلى العهد العلوي الحاضر ... ودور الملك سيدي محمد بن عبدالله (محمد الثالث) في توضيح وضعية السلك الدبلوماسي بالمغرب ... وهنا يتحدث عن الوظيفة التي ابتكرها هذا الملك العظيم: "وظيفة قنصل من لا قنصل له" وهي الوظيفة التي استوعب بها صلة المغرب بسائر ممالك المعمورة ولو أنها لم تبعث بمندوبٍ عنها للمغرب مثل روسيا وأمريكا...

ويأتي بعد هذا فصل "العواصم المغربية الدبلوماسية" الذي يبرز في الأول أن سروج الجياد كانت هي كراسي العرش المفضلة للملوك المغاربة ... ومن هنا ينتقل إلى ذكر فاس باعتبارها العاصمة الأولى للدولة المغربية، ويأتي بنبذة مختصرة عنها، لا سيما أن المغرب كله قد حمل في الفترة من الفترات اسم "فاس" ... ثم يتحدث عن مدينة مراكش أم القرى التي يستمد منها الغرييون تسميتهم للمملكة المغربية (Marruecos). وبعد أن يأتي ببعض ما دون عنها من قول ورسم ينتقل إلى مدينة مكناس التي عجز الفرس واليونان والرُّوم عن الإتيان بمثلاها - على حدّ تعبير المؤرخين - قبل أن يضربها زلزال ليشبونة ١٧٥٥-١١٦٩ .. ثم يتحدث الفصل عن (تازة) التي كانت - في بعض الأحيان - القاعدة التي تمتلك السيادة على سائر أطراف المغرب، ومن هنا ينتقل الفصل إلى مدينة سلا التي دوّخت دول أوروبا بالرغم من صغر رقعتها!.. وبعدها يذكر مدينة الرباط العاصمة الإدارية الحالية التي كانت نواة القصر الملكي بها هي "الدار الكبرى" التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمن .. ولا يهمل الفصل الحديث عن عواصم دبلوماسية أخرى قامت بدور بناء في صنع تاريخ المغرب الدولي ويذكر منها تطوان وبادس والعرائش وطنجة وسبتة...

وينتقل الكتاب بعد هذا إلى فصل يحمل "انطباعات الزوّار الأجانب عن مظاهر الحياة المغربية" وهنا يسوق بعض الشهادات والإفادات التي تقدم بلادنا للعالم الآخر ... كتبت بأقلام سفراء أو وزراء أو مؤلفين باحثين...

وهنا نجد حديثهم عن ألعاب الفروسية ومصارعة الأسود وهواية الصيد بالصقر الذي كان ملوك المغرب يتهادونه مع ملوك أوروبا وملوك المشرق على مرّ العصور ... ونجد حديثهم عن مواكب الشُّموع بمناسبة عيد المولد ... وعن

أنواع الرقص ... وعما نسميه اليوم بالأكْزَبَاط وعن رياضة المصارعة والمدارعة والمقارعة ولعب الكرة ... ومن الدبلوماسيين من صادف احتفال الطلبة في فصل الربيع بتنصيب سلطانٍ لهم فترة معينة تتميز بمشاركة عاهل البلاد الذي يزور دولة الطلبة على ضفاف وادي فاس ويجري "اجتماع قمة" مع سلطان الطلبة!!!

وكانت مما تحدثت عنه تقارير الزُّوار ما يتصل بالصناعة المغربية التقليدية التي كونت لديهم معرضاً جيّداً ... المنسوجات التي كانت، والحليّ كذلك تجد لها صدى طيباً في بلاطات أوروبا...

هذا بالإضافة إلى حديثهم عن آثار الهندسة الهيدرولية ... الدواليب المائية التي انتصبت هنا وهناك لرفع الماء إلى مستويات معيّنة والتي حركت قرائح السفّراء والشّعراء .. والساعات المائية التي ما تزال تحتفظ ببعض بقاياها إلى اليوم دون بقية أطراف العالم الإسلامي، والعبارات التي كانت منصوبة بين ضفتي بعض الأودية الكبرى لربط الصلة بين الشاطئين عبر الفضاء..

وفي هؤلاء من حضر عيد المهرجان وعيد المولد وتحدث عن موكب العاهل المغربي أثناء تنقلاته العادية ... صلاة العيد ... وصلاة الجمعة ... وفيهم من أشاد بأصالة المغرب في باب التعامل الدولي والمجاملات والمكايسات ... واحترام الالتزامات ... وبنّبه هذا الفصل في الأخير إلى بعض المؤلفات التي تناولت الحديث عن المغرب بما فيها التي احتوت على بعض الترهات والأباطيل مما كان وراءه نازع شخصي أو وازع مغرض...

وقد تناول هذا المجلد كذلك الحديث عن المحاولات المغربية المتمثلة في حرصه على "المواكبات والمبادرات...".

وهنا يتحدث الفصل عن تتبع المغرب لما يقال عنه وما يجري من حوله على الضفة الأخرى لحوض البحر المتوسط كما يتحدث عن استقدام البعثات

العلمية وتشجيع الدّراسات الرّياضية وإنشاء المطابع وتنظيم تعريب العلوم وتعميم الدراسات الحربية، وتشبيد الرّباطات وإنشاء البروج على السواحل المغربية ... ولا يهمل الفصل شعور المسؤولين المغاربة بسوء الظن من مضاعفات النهضة الأوروبية التي كانوا يخشون أن تغزو تقاليدهم وقيمهم وتقضي على هويتهم ... وفي إطار تأثر المغرب بما يجري على مقربة منه يتحدث التّأليف عن بدء احتفال المغاربة بعيد المولد تقليداً لاحتفال الإسبان بعيد الميلاد!

ويخصص هذا المجلد فصلاً للحديث عن الجيش المغربي الذي كان وراء الصيت الدبلوماسي للملكة المغربية. وهنا نرى اهتمام المغرب بجهاز الدفاع ... ولا يغفل هذا الفصل الإشارة إلى المليشيات المسيحية التي سمعنا بأصدائها في المغرب منذ العهد المرابطي على مل يؤكد ابن الأثير ... كما يتحدث عن المناورات والاستعراضات واختراع الأسلحة النارية والمؤلفات الحربية والمعارك الكبرى وأصداء الجندي المغربي، وينتقل الفصل إلى الحديث عن الأسطول المغربي ودار الصناعة وعدد قطع الأسطول وأنواع تلك القطع ... والموقف من القرصنة الأوروبية والحديث عن الملك محمد الثالث وفكرة إعادة دار الصناعة بالاستعانة بالخبرة العثمانية ... والتخطيط لوصول الأسطول إلى الهند وأمريكا، ثم تواطؤ الدّول الأوروبية على الأسطول المغربي مع معاهدة إيكس لاشابيل...

وفي سبيل الجيل الذي يضطلع بمسؤولية مغرب الغد وجدنا ملوك المغرب يقررون إرسال البعثات الطلّابية ويعملون على الاستفادة من الخبرة الأجنبية ولكن دون أن يغفلوا عن المضاعفات التي قد تصحب تلك الاستفادة، وهكذا وجدنا الوفود الطلّابية في مصر وفي دول أوروبا، إنجلترا وإيطاليا، وإسبانيا وفرنسا وبلجيكا، وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وجبل طارق كذلك ... وقرأنا عن تفقد سفرائنا للطلّابة المغاربة في الخارج وقرأنا عن نماذج من إجازة طلابنا في أوروبا ... ومذكرات بعض الطلبة...

ويتحدث الفصل بعد هذا عن وسائل المواصلات في اهتمامات الأجانب، وتكون مناسبة للحديث عن تاريخ البريد في المغرب والظهير الأول الذي صدر لتقنين توزيع البريد منذ عام ١١٤٨ = ٥٤٣ والوسائل التي يستعين بها "الرقاص" أي موزع البريد وحرص الحكومة على سرية المواصلات... ثم المبادرة الحاسمة لإنشاء أول إدارة عصرية للبريد عام ١٣٠٨ = ١٨٩١ وظاهرة إنشاء مراكز بريدية أجنبية في بعض الجهات المغربية واستيلاء الحكومة المغربية على هذه المراكز... ثم ظهور مجموعة لطوابع البريد...

وبعد هذا يتناول الكتاب الحديث عن "موضوع الصحافة في المغرب والنشاط الدبلوماسي" وهنا نقف على دور "البَرَّاح" في الحياة الاجتماعية المغربية وعن أول محاولة لإصدار نشرة إخبارية، والمراسلين الأجانب ثم عرض لأسماء عدد من الجرائد التي كانت تظهر بالمغرب، ثم إنشاء مطبعة طنجة، وتتبع أقوال الصحف الأجنبية - على ما أشرنا - ومقاومة الاختلاق والزيف... تغطية الصحافة لأعمال مؤتمر مدريد ١٢٩٧ = ١٨٨٠ ومؤتمر الجزيرة الخضراء... عزم الحكومة المغربية على إنشاء صحيفة وطنية...

ويتحدث فصل آخر عن "صدى اليهود المغاربة في الحقل الدبلوماسي والسياسي"، وهنا نعرف عن المناصب المهمة التي كان يشغلها اليهود... وبعد أن يتحدث الفصل عن اليهود في عهد الأدارسة والمرابطين الموحدين الذين تدخلوا لدى جمهوريات المتوسط لصالح بعض اليهود، يتحدث الكتاب عن "الملاح" أي الحارة التي يسكنها اليهود... ولا يهمل الفصل رأي ابن عبدالكريم المغيلي في اليهود أيام بني وطاس... ثم الحديث عنهم أيام السعديين و العلويين ويأتي الكتاب بالبيان التاريخي للسلطان مولاي عبدالرحمن ١٢٥٧ = ١٨٤٢ وبالمرسوم الملكي عام

١٢٨٠=١٨٦٤، والفتوى بإنشاء محاكم خاصة باليهود، ويختم الفصل بالحديث عن
تعلق اليهود بهُويتهم المغربية وإسهامهم في الحركة الوطنية...

ثم يأتي فصل "الجالية المسيحية في خدمة الدولة المغربية على الصعيدين
الداخلي والخارجي" ... وهنا نقرأ عن استعانة المرابطين بالموظفين الأجانب، واعتناق
الإسلام من طرف عدد من القواد المسيحيين ثم حديث عن الأجانب الذين قاموا بدور
سفراء عن المغرب ... والتجار المسيحيين بالمغرب، متابعة الحكومة للذين يقومون
بحركة التنصير ... بعثات المجاملة إلى البابا اقتداءً بالأسلاف المتقدمين. ويأتي بعد
هذا فصل "الأمثال والتعابير" في الاستعمال السياسي ... وردت بعض هذه الأمثال
في رسائل سياسية أو حوار ديبلوماسي أو نطق شعبي ... أكثر من مائة مثل فيها
المثل الدارج وفيها المقتبس من اللسان العربي...

ويختتم هذا المجلد بالحديث عن "المائدة المغربية في حديث الواردين"، وهنا
نعرف عن المطبخ المغربي كمظهر من المظاهر الحضارية ... والمؤلفات المغربية
القديمة عن المطبخ المغربي ... ويستعرض الكتاب عدداً من الصّحون المغربية
الأصيلة: الحريرة، الكسكس، البسطيلة، المروزية الصنهاجي ... ثم يتحدث عن
المجنّبات والحلويات والمشروبات ... والأتاي ومبدأ ظهوره، وتقاليده شربه، وأخيراً
العطور في الحياة المغربية واستهلاك المغاربة للعود القماري...

ولقد تناول المجلد الثالث من الكتاب (المغرب في حديث الأقدمين) ...
هيرودوت - بلين الأكبر - بطليموس ... المغرب ملتقى الحضارات، العلاقات بين
الممالك المحلية والأمم المجاورة على الضفة الأخرى من الحوض المتوسط، علاقات
المغرب بالفينيقيين والقرطاجيين، علاقات المغرب بالرومان وبداية الحديث عن
المملكة المغربية، والسفارة الرومانية إلى بوكوس - قيصر وبوكوس الثاني، التبادل
التجاري مع الخارج ... والمغرب تحت حكم يوبا الثاني، وعلاقات بطوليمي مع
الرومان، وتأثير الرومان في المغرب، بين المغرب والوندال، الحديث عن اكتشاف

المغاربة لأمريكا في ذلك التاريخ، المغرب والروم والبيزنطيون، المغرب القديم من خلال النصوص العربية، المغرب وظهر الإسلام، سفارة النبي إلى قيصر الروم وعلاقة القيصر آنذاك بالمغرب- المغرب في عهد الخلفاء والولاة، فتح بلاد المغرب- عقبة بن نافع في السودان والسوس- معاهدة بين عرب قيس وبربر زناتة- العرب في اتجاه القارة الأوروبية- اتفاقية ابن نُصَيْر- الإمارات المغربية الأولى: إمارة بني صالح في نكور، إمارة بني عاصم في سبتة وبني مدرار في سجلماسة وبني رستم في تاهرت وبرغواطة على ساحل المحيط الأطلسي.

وقد تناول المجلد الرابع مقدم الإمام إدريس وظهر أول دولة مغربية، فتوحات إدريس، بيعة إدريس الثاني والعلاقات الخارجية للدولة الإدريسية، بالإمارات المجاورة، وبالخلافة العباسية، وبأهل مصر وبعثة من هارون الرشيد لتصفية إدريس الأول! صلة بيزنطة بالغرب الإسلامي، سفارة إدريسية لدى شارلمان؟ علاقات المغرب بالعبيديين ... الإمارات المغربية والخلافة الأموية بالأندلس- صلات بلاط الأندلس بإمارة برغواطة - موقف الأدارسة من الأمويين بعد نزول هؤلاء في سبتة عام ٣١٩=٩٣١- النجدة المغربية لصّد غارات القرامطة على الكعبة ... الأدارسة بين الصراع العبيدي والأموي على المغرب - العلاقات المغربية الأندلسية بعد ابن أبي العافية، محاولة الناصر ربط علاقات بينه وبين العبيديين ... سقوط البصرة المغربية في يد الأمويين والظفر بالحسن ابن كَنون - في قرطبة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر .. تنافس بين بني مغراوة وبين بني يَفْرَن، العلاقات المغربية بالأمم الأخرى، عبر "المعسكرين" الأموي والعبيدي ... - علاقات المغرب بليون ونافار وقشتالة وبرشلونة - علاقات المغرب بقيصر وملك الفرنج وإمبراطور ألمانيا - علاقات المغرب بجنوة وسائر الجزر المتوسطية.

وتناول المجلد الخامس الحديث عن المرابطين وإمبراطورية غانة وصلة إفريقيا بالإسلام عبر المغرب، دور عبدالله بن ياسين، علاقات المرابطين بالأندلس، نماذج

من الخطابات المتبادلة بين ألفونسو والمعتمد سفارة ملوك الطوائف لدى يوسف بن تاشفين، معركة الزلاقة وظروفها، دور المرابطين في تطويق الحروب الصليبية بالشرق، المرابطون ومملكة بني هود، معركة أوقليش أو الكونتات السبعة، اجتياز الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس افتتاح قلعة شنترين والجزر الشرقية، تدهور العلاقات بين المرابطين وبني هود، العلاقات بين المرابطين وبين الصنهاجيين بتونس، المرابطون في نجدة الزيريين ضد روجي صاحب صقلية، علاقات المرابطين مع بني حماد وتهنة يوسف بن تاشفين للمنصور بن الناصر بن علّاس، العلاقات بين المرابطين وصقلية، علاقات المرابطين بالجمهوريات الساحلية: بيزة، جنوة، مرسيليا، والمرابطون والبابا، المبادئ العامة للاتفاقيات المبرمة مع الأمم النصرانية، الاتفاقيات الشفوية بين المغرب والأُمم المجاورة، العلاقات بين المرابطين والعباسيين، العلاقات مع أمراء القاهرة، العلاقات بين المرابطين والفاطميين، استمرار العلاقات المرابطية العباسية، محاولة توحيد مداخل الشُّهور بين المشرق والمغرب.

ويتناول المجلد السادس الذي يبتدئ بعلاقات الموحدين مع الأندلس واستفادة الموحدين من خلافت المناوئين لهم، معركة الأرك ... الخليفة الناصر ووقعة العِقَاب، العلاقات المغربية الأندلسية أيام المستنصر والعاقل والمأمون والسعيد والرشد والمرتضى .. الخلافة الموحدية وباقي ممالك إفريقيا، والعلاقات بين الموحدين والكرسي الرسولي، علاقات دولة الموحدين وجمهورية بيزة بما صاحبها من معاشات ومواريات وانفراجات، العلاقات بين المملكة المغربية وبين جنوة وفرنسا، صقلية، البندقية، أرغون، الممارسة العامة للتجارة الأجنبية بأقطار المغرب، العلاقات بين المملكة المغربية وبين إنجلترا، النمسا، اليونان في عهد الموحدين، بين الخلافة الموحدية والخلافة العباسية في المشرق، مقام سفارة صلاح الدين بالمغرب في عهد المنصور الموحي وظاهرة الاتصال المستمر بين الجهتين...

ويتناول المجلد السابع علاقات بني مرين مع أقطار المغرب الكبير، وعلاقاتهم بالمغرب الكبير، وعلاقاتهم بالممالك الإفريقية – علاقات المملكة المغربية بالأندلس: قشتالة وغرناطة، الاتصالات بين غرناطة وفاس، العلاقات بين المملكة المغربية ومملكة أرغون، العلاقات المغربية البرتغالية – الغارة على لاقش واحتلال سبتة – المغرب ودول الحوض المتوسط: جنوة، البندقية، فلورنسا، بيزة، العلاقات المغربية مع البابا – صقلية، إنجلترا، فرنسا، ميورقة، العلاقات بين المغرب والمشرق – التواطؤ على المغرب في عهد بني وطاس، العلاقات المغربية البرتغالية في عهد بني وطاس، علاقات البرتغال بالمدن المغربية، العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية في عهد الوطاسيين، علاقات بني وطاس بالمغرب الأوسط والأدنى وباقي ممالك إفريقيا، العلاقات مع العثمانيين في بداية ظهورهم، المحاولات الأخيرة لإنقاذ الموقف بالأندلس ولجوء أمير غرناطة إلى مملكة فاس.

وتتناول المجلد الثامن علاقات المغرب بالعثمانيين وبلاد المشرق في عهد السعديين، وعلاقات السعديين بالبرتغال، والعلاقات المغربية الإسبانية في عهد السعديين، والعلاقات المغربية الفرنسية، والعلاقات المغربية الإنجليزية، وعلاقات المغرب مع الطوسكان، وبين فاس وفلورانس في عهد الدولة السعدية، علاقات المملكة المغربية مع باقي ممالك إفريقيا، العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة في عهد السعديين.

وتتناول المجلد التاسع والعاشر الفترة الأولى للدولة العلوية:

وهكذا يتناول المجلد صلات المملكة المغربية بالإمبراطورية العثمانية حيث نقرأ عن التوتر بين المغرب وفرنسا وأثره على الصلات بين الجيران! واستتجاد تركيا بالمغرب ضد احتلال نابليون لمصر وينتقل هذا الفصل إلى علاقات المغرب ببلاد السودان من خلال الرسائل والتقارير...

ثم يتناول هذا المجلد العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الدولة العلوية ويتحدث عن (اتفاقية ابن حدو - لوفيفر) في عهد السلطان مولاي إسماعيل وخطاب الملك لويز الخامس عشر للسلطانة خناثة كما يتحدث عن "الأميرة الضاوية" ... وموقف مولاي سليمان من احتلال نابليون لمصر...

وينتقل المجلد إلى العلاقات المغربية الإسبانية مبرزاً مشكلة الثغور المغربية المحتلة والسفارات المتبادلة بين البلدين ... والاتفاقيات المغربية الإسبانية وحضور السفير ابن عثمان في الملف المغربي الإسباني ومحاولات السلطان مولاي سليمان لاسترجاع سبتة...

ثم يتناول الكتاب العلاقات المغربية البرتغالية ابتداءً من العهد الإسماعيلي إلى تحرير الملك محمد الثالث مدينة الجديدة وتدشين عهد جديد مع مملكة البرتغال، والمساعي الحميدة المغربية بين الجزائر البرتغال والموقف في عهد السلطان مولاي عبدالرحمن...

ثم العلاقات المغربية الإنجليزية وسفارة ابن حدو لدى الملك شارل الثاني ومشاركة المغرب في المؤتمر الطبي الدولي بطنجة! وسفارة ستوارت للمملكة المغربية ثم علاقات الملك محمد الثالث بالملك جورج الثالث والمعاهدة المغربية الإنجليزية في عهد السلطان مولاي سليمان، وتأتي بعد هذا علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة، وحضور السفارة المغربية أمسية ساهرة في بلاط (لاهاي) في عهد السلطان مولاي إسماعيل ورسالة السلطانة خناثة إلى الولايات العامة وتجديد الاتفاقيات المغربية الهولندية ثم سفير السلطان مولاي سليمان إلى (لاهاي).

ويأتي بعد هذا ملف العلاقات بين المغرب من جهة وبين بروسيا والنمسا وروسيا، حيث نقرأ عن صدى الاصطدام النمساوي العثماني في المملكة المغربية وسفارة الملك محمد الثالث إلى جوزيف الثاني ببينا، والمساعي المغربية الحميدة بين تركيا وخصومها.

ثم الحديث عن العلاقات بين الإمبراطورة كاثرين الثانية والملك محمد الثالث والمراسلات بين العاهل والإمبراطورة .. ثم يأتي فصل العلاقات المغربية مع الدانمارك والسويد والنرويج فنعرف عن بعثة الملك فريدريك الخامس إلى المغرب وتهادي الصقور بين ملوك المغرب وملوك الدانمارك، ثم عن المفاوضات المغربية السويدية وتجديد الاتفاقية في عهد السلطان مولاي سليمان وانضمام النرويج إلى السويد.

ويعالج هذا المجلد علاقات المغرب مع جنوة وطوسكان والبندقية وسردينية وموناكو وصقلية ونابولي ... فنقرأ عن خطابات السلطان مولاي إسماعيل لحاكم جنوة وعن الاتفاقية الجنوبية في عهد الملك محمد الثالث ... ومن هنا ينتقل الحديث عن سفارة ابن عبدالمك في طوسكانا، واتفاقية المغرب مع البندقية، ومع صقلية ونابولي ... وينتهي هذا الملف بالحديث عن حاضرة الفاتيكان واستمرار الملوك العلويين في مساعدة مبعوثي الكرسي الرسولي.

ويتحدث هذا الفصل أيضاً عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية فيهتم بالمراسلات بين الكونكريس والبلاط المغربي كما يستعرض الاتفاقية المغربية الأمريكية وإهداء الرئيس الأمريكي نسخة من الدستور الأمريكي للعاهل المغربي، ثم العلاقات المغربية الأمريكية في عهد السلطان مولاي سليمان ... ورسالة السلطان مولاي عبدالرحمن إلى السلك القنصلي.

ويختتم المجلد بالحديث عن صلة المغرب بدبروفنيك ومالطة واليونان، وهنا نقرأ عن وفرة المراسلات حول هذه المواضيع وعن مذكرات السفير ابن عثمان في مالطة، وخطاب الباب العالي للسلطان مولاي سليمان بشأن التوصية خيراً بالجزر اليونانية التي انفصلت عن البندقية..

أما المجلد العاشر ... فيبتدئ بالحديث عن علاقات المغرب مع غيره من الدول في أعقاب انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك ... وهنا يستعرض

أولاً موقف فرنسا من عون المغرب للجزائر وتدهور العلاقات بينهما مما أدى إلى موقعة إيسلي، ثم أثر هذه الأحداث على تطاول الإسبان على تطوان والتجاوزات الفرنسية للحدود المغربية ... والمؤامرات ضدّ المغرب ... وبسط الحماية الفرنسية على المغرب!

ثم يتناول الملف الثاني العلاقات مع إسبانيا والبرتغال بعد احتلال فرنسا للجزائر وأثر هذا على احتلال إسبانيا للجزر الجعفرية.

والمساعي الدبلوماسية لتجنب الحروب ... ثم التنسيق بين فرنسا وإسبانيا، واحتلال هذه الأخيرة لشمال المغرب! وبعد العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال ... وينتقل المجلد إلى الحديث عن علاقات المغرب بإنجلترا فنقف على الاتفاقية المغربية الإنجليزية عام ١٢٧٣ = ١٨٥٦ وتصفية شركة ماكينزي في جنوب المغرب، إلى الاتفاق البريطاني الفرنسي حول بسط الحماية! ثم ينتقل الملف إلى العلاقات مع ألمانيا فنقرأ عن الاتفاقية التجارية بين البلدين لعام ١٣٠٧ = ١٨٩٠ وزيارة الإمبراطور كيوم الثاني للمغرب والاتفاق الألماني الفرنسي حول بسط الحماية..!

ويأتي بعد هذا الفصل العلاقات بين المغرب وإيطاليا فنقف على مراسلات العاهل الإيطالي مع العاهل المغربي والسفارة المغربية لإيطاليا، وقنصلية الصّارود بطنجة، والاتفاقية المغربية الصقلية ... وينتقل الفصل إلى علاقات المغرب بحاضرة الفاتيكان ... والسفارة المغربية لدى البابا ليون الثالث عشر ١٣٠٤ = ١٨٨٧، ثم يختم بعلاقات المغرب باليونان...

ويأتي فصل العلاقات بين المغرب وبلجيكا وهولندا والنمسا والدانمارك والسويد والنرويج، ونقف على نصوص الاتفاقية المغربية البلجيكية عام ١٢٧٨ = ١٨٦٢ وتبادل السفارات بين الدولتين ... ثم الاتفاقية المغربية الهولندية ... وتصلّب الموقف النمساوي بعد انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك ثم الاتفاقية المغربية الدانماركية والسويدية...

ثم يأتي فصل الحديث عن علاقات المغرب بروسيا القيصرية فيثير محاولة إقحام المغرب في الحلف الروسي الأمريكي ويتحدث عن زيارة الأمير فيازيمسكي للمغرب وتبادل السفارات بين الروس والمغرب قبيل بسط الحماية الفرنسية على المغرب...

وينتقل هذا الفصل إلى الحديث عن العلاقات المغربية الأمريكية فيتعرض للاتفاقية الأمريكية المغربية عام ١٢٥٢ = ١٨٣٦ وموقف المغرب من الحركة الانفصالية في أمريكا، ثم محاولة حلف مغربي أمريكي لحماية استقلال المغرب ويختتم الفصل بعلاقات المغرب مع دول أمريكا الوسطى والجنوبية.

وهنا يأتي الفصل الذي يخصص للحديث عن الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف من التي أشير لها في الفصول السابقة: اتفاقية المجلس الصحي ١٢٥٦ = ١٨٤٠ واتفاقية منار أشقار ١٢٨٢ = ١٨٦٥، واتفاقية مدريد ١٢٩٧ = ١٨٨٨، واتفاقية الجزيرة الخضراء ١٣٢٣ = ١٩٠٦.

ويختتم هذا القسم من المجلد العاشر بعلاقات المغرب بالعثمانيين والإيالات التابعة لهم ... وبإمارة حيدر أباد، والسودان وبقية البلاد الإفريقية...

وفي القسم الثاني من هذا المجلد يتحدث الفصل الأول عن الظروف الاستثنائية التي عاشها المغرب بين فرض الحماية واسترجاع الاستقلال، وهنا يستعرض ملحمة الأربع والأربعين سنة التي انتهت بنفي الملك محمد الخامس، ثم عودته إلى عرشه حاملاً معه بشرى انتهاء عهد الحماية واستعادة الاستقلال...

وهنا يتناول الفصل الحديث عن "المغرب المستقل في الأسرة الدولية" وهو يبتدئ باستئناف العلاقات على أساس جديد بين المغرب ودول أوروبا الغربية بما فيها إسبانيا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا إلى آخر اللائحة الطويلة التي رتبت حسب تاريخ تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي ... ثم يأتي الحديث عن الصلات مع الدول الشرقية: يوغسلافيا والاتحاد السوفييتي إلخ...

وبعد أن يأتي الحديث عن علاقتنا مع الفاتيكان نجد الحديث عن علاقة المغرب المستقل بالجامعة العربية ومع الدول العربية، وهنا نجد الملك محمداً الخامس يتحدث عن الهوية العربية للمغرب، كما نجد الملك الحسن الثاني في القمة العربية الأولى بالقاهرة واحتضان المغرب لمؤتمرات القمة العربية...

وينتقل الفصل إلى الحديث عن علاقات المغرب الإفريقي بباقي الدول الإفريقية انطلاقاً من ميثاق الدار البيضاء وانتهاء بمنظمة الوحدة الإفريقية، علاوة على العلاقات الثنائية مع الدول الإفريقية...

ثم ينتقل إلى الحديث عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية وبدول أمريكا الوسطى والجنوبية والشمالية، وعلاقات المغرب بدول آسيا: تركيا - إيران - باكستان - بانغلاديش - الهند - الصين - كورسيا - أندونيسيا - ماليزيا - الفلبين ... ويختتم هذا الملف بعلاقات المغرب مع أستراليا. ويأتي بعد هذا الفصل الأخير الذي يتناول علاقات المغرب بالمنظمات الدولية وهنا نقرأ عن خطاب الملك محمد الخامس في الأمم المتحدة وعن تحمل الملك الحسن الثاني لأداء رسالة والده في المنتظم الدولي.

ويتحدث هذا الفصل عن المغرب ودول الانحياز وتلبية الدول الإسلامية جميعها لأول مؤتمر إسلامي ينعقد بالرباط بدعوة من الملك الحسن الثاني ثم يتحدث عن علاقة المغرب بالسوق الأوروبية المشتركة، والاتفاقيات الدولية بين الأمس واليوم...

* * *

هذا وإيماناً بجدوى الصورة والرسم على موضوع كهذا - فقد اهتم الكتاب باختيار ما يناهز الألف رسم من بين مئات الرسوم التي وقفت عليها، وذلك من أجل جعل القارئ في الجو الذي رجوته له...

وهكذا فقد زودت الكتاب بثروة هائلة من اللوحات والرسوم التي تتصل بمختلف الدول المتعاقبة..

فهناك وثائق ومستندات تمس علاقات المغرب بالعالم العربي والإسلامي، وروسيا وبلجيكا، ودوبروفنيك والولايات العثمانية وإنجلترا وألمانيا واليونان والهند والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا وآسيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا والفاتيكان ... هذا بالإضافة إلى الوثائق الخاصة بالحدود المغربية..

وقد زودت الكتاب بخرائط أصيلة لم يسبق نشرها واعتمدت في تدقيقها على (مصلحة الخريطة) حيث جعلت لكل فترة من فترات التاريخ خريطة تمثل المساحة والمواقع التي كانت تعرفها الفترة، ابتداءً مما قبل الفتح الإسلامي إلى العهد الإدريسي وأيام المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين، وذلك لأضع القارئ في الصورة الحقيقية للعهد الذي أتناول الحديث حوله...

ولقد جعلت لكل مجلد شارة على الغلاف يتميز بها ... كانت هذه الشارات تلخص حدثاً من الأحداث الهامة التي مر بها القارئ أثناء قراءته لذلك المجلد، كما اخترت لكل مجلد وثيقة مطوية هامة مما اعتبر عندي محطة تستحق الوقوف والاستيقاف!!

* * *

ومع هذا كله فقد شعرت بضرورة الحاجة إلى إعداد أجزاء إضافية أخرى أضمنتها (ملاحق) تستوعب نصوص بعض الاتفاقيات والخطابات ... وأذكر فيها بعض الموضوعات التي أشرت إليها في غضون الكتاب كمعجم السفراء وسجل الأمثال...

يضاف إلى هذا أنني أشفع كل هذه المجلدات بأجزاء تحتوي على (فهارس) للمجلدات العشر تكون تلك الفهارس بمثابة المفتاح لكل ما يوجد بين دفتي الكتاب ...

فهناك فهرس الأعلام البشرية (بمن فيهم الدبلوماسيون المغاربة وغيرهم) ... والأعلام الجغرافية والأمم والشعوب والقبائل والجماعات، وهناك فهرس للمصطلحات، وفهرس للتوقيعات والأختام، والأيام والمواقع والأحداث وفهرس الظهائر والوثائق والاتفاقيات مرتبةً حسب الزمن الذي تمت فيه، وفهرس الخطب والرسائل والفتاوى مرتبة كذلك حسب زمنها، وفهرس الكتب والمخطوطات والرحلات، والمصادر الأجنبية، والمحاضرات والمقالات والبحوث والندوات، والمجلات والجرائد، والأمثال والحكم والأقوال السائرة، وفهرس القوافي، وفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وفهارس الصور والرسوم والرسائل ... ثم التصويريات...

لقد كان قصدي من كتابة هذا التأريخ أن أسهم في التعريف ببلادي التي قدمت للمجموعة الدولية عبر التاريخ عطاءً أسهم في ازدهار الإنسانية ورخائها ورفاهها...

كُتَيْبٌ مَخْطُوطٌ لِلْسَّلَفِيّ

حَلَّاهُ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ

جورج فاجدا

نقله إلى العربية وعقب عليه

محمد خير البقاعي

يعود اهتمامي بالسَّلَفِيّ وكتبه إلى سنتين خلتا؛ كان ذلك عندما حصلت على نسخة مصورة لمخطوطة كتاب "جوهرة الغواص وتُحْفَةُ أَهْلِ الاختصاص" لمحمد ابن علي المعروف بابن عَرَّاق المتوفى سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م. والمخطوط المذكور محفوظ في مكتبة برلين برقم (٤٢٧) وهو عبارة عن كتب في علوم متنوعة جمع بينها ابن عَرَّاق.

واحدٌ من تلك الكتب للسَّلَفِيّ؛ عنوانه "غريب لغات القرآن" ورقمه ضمن مجموع ابن عراق (٦٩٨) وليس هو في حقيقة الأمر إلا نسخة من "كتاب اللغات في القرآن" الذي نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في القاهرة "مطبعة الرسالة ١٩٤٦" وأعاد طبعه مرّة ثانية في بيروت "دار الكتاب الجديد ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م" عَنْ نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقمه (٢٧٣) وفي المجموع كتب وأجزاء شَتَّى كتابنا هو الخامس بينها.

والكتاب في طبعتيه منسوبٌ لابن حسنون المقرئ المتوفى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م روايته عن ابن عباس، ومن هذا الكتاب أيضاً نسخة أخرى في مكتبة تشستر بتي - دبلن رقمها هناك (٤٢٦٣) وعنوانها "كتاب لغات القرآن" وهي بتهذيب محمد بن علي بن المظفر الوَرَّان الحنبلي

(عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري). ويشير العلامة فؤاد (ص ٦٨) من الكتاب نفسه يذكر في عداد كتب ابن عباس الذي نجد له كتاباً آخر عنوانه "غريب القرآن" ومخطوطته في عاطف أفندي (٨/٢٨١٥ من ١٠٢٠ - ١٠٧٠هـ) بتهديب عطاء بن رباح المتوفى سنة ١١٤هـ/٧٣٢م (انظر ص ٧٤ من المصدر نفسه).

وفي الصفحة (٩٠) من تاريخ التراث نجد كتاب "غريب القرآن" هذا منسوباً إلى مَنْ سماه (أبو جعفر بن أبي أيوب المقرئ) ويقول في ترجمته: "كان تلميذاً لعبد الملك ابن جريج، ومن ثمة عاش أبو جعفر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وألّف كتاب غريب القرآن: عاطف ٨/٢٨١٥ من ١٠٢٠ - ١٠٧٠هـ) وقد وَجَدْتُ أبا جعفر هذا واسمه (محمد بن أيوب) يروي كتاب "لغات القرآن" في نُسخَتَيْه البرلينية والإيرلندية المذكورتين آنفاً يرويّه عن عبد الملك بن جريج. وأنا أظن الآن أنّ كتاب غريب القرآن هذا نسخة أخرى من الكتاب الذي نجده في دمشق وبرلين ودبلن وتركيا، وهو ظنٌّ لا أقطع فيه بانتظار وصول مخطوطتي تركيا اللتين طلبتهما منذ ما يزيد على عام وأرجو أنّ يُيسّر الله تعالى وصولهما لنستجلي حقيقة الأمر في ذلك.

وَوَجَدْتُني مدفوعاً للبحث عن مؤلفات السلفي مخطوطها ومطبوعها، وبدا لي أنّ المطبوع منها ليس إلّا غيضاً من فيض فَعَرَمْتُ على العناية بجمع كتبه المخطوطة وهأنذا اليوم أقدم للقارئ العربي تحليلاً قام به أحد المستشرقين المهتمين بالمخطوطات العربية هو جورج فاجدا. لواحدٍ من كتب السلفي عنوانه "الوجيز في ذكر المُجاز والمُجيز" وقد نُشِرَ هذا التحليل في نشرة معهد البحث في النصوص وتاريخها، العدد ١٤، سنة ١٩٦٦م.

Bulletin de l'institut de recherche et d'Histoire des texts
analyse par G.Vajda, n°14, 1966.

إنَّ نقل هذا التحليل إلى العربية يعطي المهتمين فكرة عن هذا الضرب من التأليف، ويبوح بأسرار جديدة حول حركة الرواية والإسناد في تاريخ التراث العربي. والكتاب في نسخته التامة المحققة موجود لدي وبانتظار أن يُتاح له الظهور بين الناس مطبوعاً يطيب لي أن أخصَّ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني الموقر بهذا العمل ليكون طريقاً إلى فهم الكتاب حين ظهوره، ورأيت من تمام العمل أن أعقب على العمل بما تجمع لدي من ملاحظات خلال العمل في الكتاب الذي يضمّ عدداً من أسماء الأعلام التي لم أصل بعدُ إلى التحقق منها لأتي آليت على نفسي أن أحقق في اسم كلِّ علمٍ قبل إخراج الكتاب ليأتي واضحاً مفسراً ما أمكنني ذلك والله من وراء القصد فهو الموفق للصواب والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وخير المرسلين.

تَضُمُّ المجموعة الوافرة من المخطوطات العربية التي تفتنيها مكتبة "تشستر بتي Chester Beatty" في مدينة "دبلن = Dublin" كُتِبَ مخطوطاً، وَنُسَخَتْه وحيدة حَتَّى يَوْمِ الناس هذا، ومؤلَّفه هو الحافظ أحمد بن محمد السَّلَفِي^(١). يتضمَّن هذا المؤلَّف إشارات مفيدة حَوْلَ تَصَوُّرِ المؤلَّف الذي يُعَدُّ مرجعاً في هذا المجال، للطرق الجائزة في نقل النصوص، كما يتضمَّن معلومات حَوْلَ الأشخاص الذين كاتبوه.

وسنحاول تحليل الكُتَيْب في هذين الاتجاهين.

عنوانه هو: **الْوَجِيزُ فِي ذِكْرِ الْمَجَازِ وَالْمُجِيزِ**^(٢)، ويشغل الأوراق من ١ إلى ٢٠ من المجموع العربي رقم ٤٨٧٤ من مجموعة "تشستر بتي"^(٣).

ولد السَّلَفِي في أصبهان من بلاد فارس، واستقرَّ بعد تجوال طويل عبر الشرق الإسلامي في الإسكندرية حيث أمضى ما يزيد على ثلاثين عاماً في نهاية حياته العلمية الحافلة، وإنَّ قسماً كبيراً من مؤلفاته التي تندر الاستفادة منها حتى يوم الناس هذا جاء على شكل مُعْجَمَاتٍ منسوقة على حروف التهجي للشيوخ الذين حَصَلَ منهم على إجازة بالرواية^(٤) ليصبح هو بدوره، إنَّ صَحَّ التعبير، منطلقاً للروايات في الأجيال التالية.

(١) عاش بين سنتي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م - ٥٧٦هـ/١١٨٠م؛ انظر بروكلمان (بالألمانية ط. ثانية) ٤٥٠/١ وملحقه ٦٢٤/١، والأعلام، للزركلي، ط. ثانية ٢٠٩/١.

(٢) فيما يخص موضوع "الإجازة بالرواية" انظر مقال كاتب المقال المنشور بعنوان إجازة IDJAZA في الموسوعة الإسلامية (باللغة الفرنسية) ط. ثانية، الجزء الثالث.

(٣) انظر Arthur J. Arberry, A Hand list of the Arabic, manuscript. V 1.

قائمة المخطوطات العربية في تشستر بتي = وما بعدها Dublin 1963, P.125 ويحتوي المجموع أيضاً على كُتَيْب آخر، لناسخ آخر كُنَّا قَدْ درسناه بالتفصيل في مقالتنا "سلسلة المسانيد لمنصور بن سليم" في المجلة الآسيوية ١٩٦٥ ص ٣٤١-٤٠٦ ونحرص هنا على تجديد شكرنا لإدارة مكتبة تشستر بتي التي زودتنا "بميكروفيلم" للمخطوطة وللسيد آرثر جورج أربري الذي سمح لنا برحابة صدر استخدام الكُتَيْبَيْن.

(٤) يمكن تكوين فكرة عن هذا النوع من المؤلفات بمراجعة كتابنا (معجم شيوخ عبدالمؤمن الدمياطي) (مطبوعات

معهد البحث في النصوص وتاريخها، وثائق، دراسات ومعاجم، ٨) باريس، ١٩٦٢.

وَقَدْ سَبَقَ لِلْسَلْفِي فِي مَعْجَمِهِ الَّذِي تَرَجَّمَهُ بِالْمَعْجَمِ الْمُؤَرَّخِ^(٥) أَنْ ذَكَرَ، كَمَا يُصَرِّحُ بِذَلِكَ، الشُّيُوخَ الَّذِينَ كَتَبَ عَنْهُمْ بَعْضَ الْمُلَاحَظَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحَدِيثِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا عَارِفِينَ بِقَوَائِينِ الرِّوَايَةِ وَالتَّحْدِيثِ. وَسَمَّى مِنْ اسْتِفَادَ مِنْهُ فَائِدَةً فِقْهِيَّةً أَوْ أَدْبِيَّةً أَوْ زَهْدِيَّةً أَوْ اسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ شَيْئاً مِنَ الشَّعْرِ .. إلخ.

وهو في الكُتَيْبِ موضوع البحث يؤثر أَنْ يُسَجَّلَ أَسْمَاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانَتْهُ دُونَ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَابَلَهُمْ، ودون أَنْ يَدْخُلَ بِلَادَهُمْ؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ خَالَفَ الطَّرِيقَ الَّذِي قَدْ سَلَكَهُ فِي الْمَعْجَمِ الْمُؤَرَّخِ الَّذِي رَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ التَّهْجِي كَامِلَةً إِذْ وَجَدَ فِي الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ شَفَاهَا كَثْرَةً، وَفِي الْمَجِيزِينَ بِخِلَافِ ذَلِكَ قِلَّةً فَرَأَى حِينَئِذٍ ذَكَرَ شُيُوخَ كُلِّ بَلَدٍ عَلَى حِدَةٍ.

وَيَتَفَحَّصُ الْمُؤَلَّفُ - قَبْلَ الدَّخُولِ فِي لُبِّ مَوْضُوعِهِ - جَوَازَ الْإِجَازَةِ وَقِيَمَتَهَا، لِيَكُونَ تَمْهِيداً، أَمَّا أَمْرُ جَوَازِهَا فَيَطْرَحُهُ الْمُؤَلَّفُ كَحَقِيقَةٍ لَا جِدَالَ حَوْلَهَا، وَيَقْسُو بِكَلَامِهِ وَإِنْ كَانَ تَلْمِيحاً، عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَجِيزُونَهَا^(٦).

وَبِمَا أَنَّ الْإِسْنَادَ زَكْنَ الشَّرْعِ وَأَسَاسُهُ فَإِنَّهُ لِمَنْ الْمَحْتَمُومُ أَنَّ دَوَامَهُ يُحْفَظُ بِالْإِجَازَةِ الَّتِي لَا مَنَاصَ مِنَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ. عَلَى أَنَّنَا سَنُلَاحِظُ فِي الْإِجَازَةِ أَنْوَاعاً تَتَفَاوَتُ دَرَجَةُ الْوَثُوقِ بِهَا نَزْولاً وَهِيَ: السَّمَاعُ وَالْمَنَاوِلَةُ وَالْإِجَازَةُ^(٧).

(٥) لَمْ أَجِدْ ذِكْرًا لِهَذَا الْعَنْوَانِ عِنْدَ حَاجِي خَلِيفَةَ، وَلَا عِنْدَ بَرْوَكْلَمَان. وَبِحَسَبِ فَهْرِسِ الْفَهَارِسِ لِعَبْدَالْحَيِّ الْكُتَانِي (٣٤١/٢) تَرَكَ السَّلْفِي ثَلَاثَةَ مَعَاجِمَ: لِشُيُوخِهِ الْأَصْبَهَانِيِّينَ، وَلَشُيُوخِهِ الْبَغْدَادِيِّينَ، وَمَعْجِماً مُخَصَّصاً لِلْبَلَادِ الْأُخْرَى تَرَجَّمَتْهُ: مَعْجَمُ السَّفَرِ، وَهُوَ عَلَى الْأَرْجَحِ الْمَعْنَى هُنَا.

(٦) الْأَرَاءُ حَوْلَ جَوَازِ الْإِجَازَةِ وَعَدَمِ جَوَازِهَا نَجَدُهَا فِي الْكِتَابِ الْأَسَاسِيِّ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (تُوفِيَ عَامَ ٤٦٣هـ/١٠٧١م)؛ الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ، حَيْدَرِ أَبَادٍ ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ص ٣١٤-٣٢٥ وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ السَّلْفِي كَانَ عَارِفاً بِكِتَابِ الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ وَمَا نَقَلُوهُ مِنْ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي الْإِجَازَةِ وَجَوَازِهَا، وَانْظُرْ أَيْضاً (تَقْيِيدُ الْعِلْمِ، ط. يَوْسُفُ الْعَشِّ) دِمَشْقَ، ١٩٤٩م.

(٧) لِمَزِيدٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ نَحِيلُ إِلَى التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ لِتَقْرِيبِ النُّوَاوِيِّ وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهِ لـ W Marçais بِبَارِيسَ ١٩٠٢. السَّمَاعُ، ص ١٠٣-١٠٥؛ الْإِجَازَةُ، ص ١١٥-١٢٦؛ الْمَنَاوِلَةُ، ص ١٢٦-١٣٣ مَعَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ مُلَاحَظَاتِ السَّلْفِي السَّرِيعَةَ تُبَسِّطُ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ لَا يَزَالُ بَعِيداً عَنِ النِّظَامِ الْمُتَطَوِّرِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ أَصُولِ الْحَدِيثِ كَمَا قَدَّمَهُ يَحْيَى بْنُ شَرَفِ النُّوَاوِيِّ ٦٣١هـ/١٢٣٣م-٦٧٦هـ/١٢٧٨م) فِي الْقَرْنِ التَّالِي.

ومهما اختلفت طريقة تحمّل العلم فإنه يجب المبالغة في الضبط والإتقان وأن لا يُعَوَّل فيما يروى إلا على نصّ مكتوب، إلا أنّ التسهّل جائز في بعض الأحيان، ولا يُستحبّ اللجوء إلى المنع والتغليظ للذين يخالفان الروح المتسامحة للإسلام^(٨).

إنّ الحجج التي يَحْتَجُّ بها القائلون بأفضلية الرواية الشفوية غير ذات بال، وإنّ الرواية المكتوبة هي على خلاف ذلك أقلُّ عُزْضَةً للخطأ والسهو على أنّ الأمر يظل منوطاً بمعرفة الراوي وضبطه مهما كانت الطريقة التي يروي بها. ناهيك عن أنّ الإجازة تغني عن الرحلات التي لا يقدر عليها كلُّ طالب علم أو راغب فيه.

ويمكن أن نستشهد على فضل الروايات المكتوبة بالمراسلات^(٩) "الدبلوماسية" للنبي عليه الصلاة والسلام ونستشهد أيضاً بالكتاب المختوم الذي زوّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدَ قُودٍ واحدة من سريّاته^(١٠).

(٨) [لا حرج] تلك هي العبارة التي تتردّد غالباً في كتاب الإسلام الموحى "القران الكريم سورة البقرة، الآية ١٨٥ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

سورة المائدة، الآية ٦ ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

سورة الحج، الآية ٧٨ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

الإسلام دين التسامح (حنيقية سمحة) كما يُعلّمنا الحديث المشهور (البخاري، باب الإيمان، ٢٩ ط. Krehl ١٧/١. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ل. J. Wensihck. ١/٥٢٢).

والمسلم يتفادى كُلَّ تَشَدِّدٍ مفرطٍ (لا تُشَدِّدُوا على أنفسكم، أبو داود، باب الأدب، ٤٤، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٣/٧٥)). (إنّ الله يُحبُّ أنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كما يحب أنْ تُؤْتَى عزائمه) "انظر: المعجم المفهرس ٢/٢٤٢".

(٩) انظر حول نصوص المراسلات النبوية الدبلوماسية كتاب محمد حميد الله: "وثائق الدبلوماسية الإسلامية في عهد النبي وخلفائه الراشدين" باريس ١٩٣٥.

(١٠) يأتي المؤلف هنا بجانب من كفاح النبي صلى الله عليه وسلم ضدّ المكين المشركين. والسرية المذكورة بقيادة عبدالله بن جحش، انظر ابن هشام سيرة الرسول ط. وستنفذ ص ٤٢٣. والخطيب البغدادي في الكفاية ص ٣١٢ يستشهد أيضاً بهذه السابقة.

وَيُذَكِّرُ السلفي بعد ذلك أَنَّهُ ليس أبا عذرة هذا النوع من التأليف حَوْلَ جواز الإجازة، بَلْ يشير إلى مؤلفٍ قبله هو الوليد بن بكر بن مخلد الغمري السرقسطي صَنَّفَ كتاباً ترجمه بالوجازة في صِحَّة القول في الإجازة^(١١)؛ ولكن السَّلَفِيَّ يَنوي في كُتَيْبِهِ هذا اتباع منهج يختلف عن منهج سابقه وقبل أن يذهب في البحث بعيداً يُحَدِّد السَّلَفِيُّ مصطلحاته التي يَنوي استخدامها والتي يرى أَنَّها المثلَى لهذا الضرب من العلم وهي:

أُنْبَأني: الرواية المباشرة، الراوي والمروي عنه حاضران كلاهما (شاهده وشافهه).
كتب إليّ: تَلَقَّ بوساطة المكاتبية.

أخبرنا، حَدَّثنا، سَمِعْتُ: سماع لا يفرض الإجازة.

حَدَّثني: عندما يكون الراوي يَسْمَعُ وحده، حَدَّثنا: عندما يسمع غيره سواء أكان مستعمل المصطلح هو القارئ أم لا.

وإنَّ اختارَ أَحَدٌ في المُجازِ له والتحديث به غيرَ ما اختار المؤلف وعيَّن عليه، فقد وُسِّعَ له لكن يكون بلفظٍ مشعرٍ بالإجازة وعبارة مُعَبَّرَةٌ عنها غير مغيرة للمرسوم فيها.

ولكي يُبَيِّنَ السلفي قيمة المصطلحات التي اختارها يستشهد بعددٍ من الشيوخ، كالبخاري^(١٢)، وابن أبي حاتم الرازي^(١٣)، والأوزاعي^(١٤)، ثم يروي طُرْفَةً قوية الدلالة

(١١) أصله من الأندلس، إلا أَنَّهُ مات في المشرق في دَيْئور عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م-١٠٠٢م، وفي الأعلام لائحة طويلة بمصادر ترجمته ١٣٩/٩، ولم يُعرف لكتابه أصل مخطوط حتى يوم الناس هذا (لذلك لم يذكره بروكلمان) وسجَّله حاجي خليفة ط. فلوجل رقم ١٤١٧٥، الجزء ٦ ص ٤٢٣، دون أن يذكر سنة وفاته التي نجدها مثبتة في طبعة Yaltaya Bilge وفيها خطأ مطبعي ٢٩٢هـ بدلاً من ٣٩٢هـ.

(١٢) محمد بن إسماعيل، ١٩٤هـ/١١٠م-٢٥٦هـ/٨٧٠م، انظر مقالة J. Robsan في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ١٣٣٦/١.

(١٣) عبدالرحمن بن محمد، ٢٤٠هـ/٨٥٤م-٣٢٧هـ/٩٣٩م انظر ملحق بروكلمان ٢٧٨/١، والأعلام ٩٩/٤.

(١٤) عبدالرحمن بن عمرو، مات عام ١٥٧هـ/٧٧٤م انظر مقالة J. Schacht في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ٧٩٥/١.

فيما نحن فيه حتَّى لَتَسْتَأْهُلُ الذِّكْرَ هُنَا فإِلَيْكُمَا: "سَمِعْتُ أبا علي البرادني^(١٥) الحافظ ببغداد يقول: سَمِعْتُ أبا القاسم واصل بن حمزة البخاري^(١٦) يقول: قَدِمَ عَلَيْنَا مَنْ لَفَظُهُ وَحَفْظُهُ^(١٧) يقول: دَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَزِ الْمُسْتَعْفَرِيِّ الْخَطِيبِ بِنَسَفٍ^(١٨) فَسَأَلْتَهُ الْإِجَازَةَ فَقَالَ لِي: سَمِعْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ السَّجِسْتَانِيَّ^(١٩) يَقُولُ: سَمِعْتُ أبا طاهر الدباس^(٢٠) يقول: معنى قول الشيخ: أَجَزْتُ لَكَ؛ أَيِ أَجَزْتُ لَكَ أَنْ تَكْذِبَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ لِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَلَكِنْ جَعَلْتُ سَمَاعَاتِي كُلَّهَا كِتَابًا مِنِّي إِلَيْكَ لَتَقُولَ: كَتَبَ إِلَيَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانًا. حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا فُلَانٌ.

وفي عصر قريب من عصر السلفي كان لأديب مثل أبي نصر السجزي^(٢١) رأيي غير واضح في الإجازة، رأيي ارتيابي في البداية وإيجابي بعد ذلك. كما ينقل

(١٥) أحمد بن محمد بن أحمد مات عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م وله اثنتان وسبعون سنة. العبر ٣/٣٥٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/٩٤-٩٥ (ولم يذكر هذا الكتاب في الأعلام). وضبط نسبه عن اللباب، وآخرون يكتبون (البرادني).

(١٦) لم أجد له ترجمة.

(١٧) هكذا في أصل المخطوطة، والكلمات الثلاث الأخيرة يمكن أن تُقرأ على غير ما وجه دون أن نصل إلى تركيب يناسب السياق هنا.

(١٨) ٣٥٠هـ/٩٦١م-٣٣٢هـ/١٠٤٠م. يُزاد إلى الإشارات الموجودة في مقالتنا "مخطوطة لكتاب دلائل النبوة لجعفر المستعفري في Studi orientalisitci، المهدى إلى Giorgio Levi Della Vida، المجلد ٢، روما ١٩٥٦ ص ٥٦٧-٥٧٢، الأعلام ٢/١٢٣.

(١٩) قاضي حنفي من سمرقند مات وله تسع وثمانون سنة عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م انظر الأعلام ٢/٣٦٣، العبر ٧/٣.

(٢٠) محمد بن محمد بن سفيان البغدادي الحنفي عرفني له ترجمتين (الوافي ١/١٦٢) رقم ٨٩، والجواهر ١١٦/٢ رقم ٣٥٤) مأخوذتين عن نص لابن النجار لا يتضمن تحديداً زمنية ونحن نعرف مع ذلك أن واحداً من شيوخه عبد الحميد أبو حازم توفي عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م وقد أشار إليه العبادي (٣٥٧هـ/٩٨٥م-٤٥٨هـ/١٠٦٥-١٠٦٦م) في كتاب طبقات الفقهاء الشافعية ط. ليدن ١٩٦٤ ص ٥ س ٨-١.

(٢١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي مات في مكة عام ٤٤٤هـ/١٠٥٣م بعد أن تجول في خراسان والهند ومصر، تنكرة الحفاظ ٣/١١١٨-١١٢٠ رقم ١٠٠٥، العبر ٣/٢٠٦، والأعلام ٤/٣٤٩.

السلفي الذي يَطَّلَع خلال إقامته في دمشق على جزء من الحديث أجازهُ أبو نصر كتابةً لأبي القاسم الحنائي وأخيه^(٢٢)؛ مشيراً إلى أنَّ الإجازة غير مرضية عنده، ولا يُخْفِي السلفي دهشته من التحفظ الذي يُبديهِ أبو نصر في الإجازة لأنه يعلم أنَّه كان قد أجاز أبا محمد بن السراج^(٢٣) وبعد ذلك بوقت قصير يَطَّلَعُ السلفي في دمشق نفسها على إجازة أخرى أجازها أبو نصر^(٢٤)؛ وبذلك يتحقَّقُ له أنَّ أبا نصر هذا قد تسامح آخر عمره في هذا الضرب من تحمُّل العلم؛ وفي السياق نفسه يقول السلفي: إنَّه قد سمع في بغداد أبا جعفر بن يحيى بن الحكاك التميمي^(٢٥)، وهو ثقة حافظٌ يروي عن أبي نصر حُكماً لهذا الأخير يضع المناولة بمنزلة السماع. ويُخْتَم القسم النظري من الكُتَيْب بالحديث عن الشروط الشخصية للإجازة:

فالعربي يصحُّ سماعه إذا بلغ أربع سنين، والعجمي إذا بلغ ست سنين مع أنَّه توجد رواية عن الإمام الشافعي حدَّد فيها السنَّ التي يجوز فيها السماع بعد السابعة للناس كُلِّهم.

(٢٢) أبو القاسم هو الحسن بن محمد بن إبراهيم الدمشقي مات عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م، العبر ٢٤٥/٣ وأخوه علي مات قبله في عام ٤٢٨هـ/١٠٣٦-١٠٣٧م وله ثمان وخمسون سنة بعد أن خرَّج لنفسه معجماً كبيراً، العبر ١٦٦/٣، وابن أبي القاسم أبو طاهر محمد المتوفى وله سبع وسبعون سنة في عام ٥١٠هـ/١١١٦م، العبر ٢١/٤، سماه السلفي شيخنا، وهو بلا شك رأى جزء الحديث المعني في بيته.

(٢٣) جعفر بن أحمد بن حسين، أديب مشهور عاش بين ٤١٧هـ/١٠٢٧م-٥٠٠هـ/١١٠٦م بروكلمان ط ٣٠، ٤٣١/١، الملحق ٥٩٤/١، أعلام ١١٥/٢ (يزاد إلى مصادر العبر ٢٥٥/٣) ويشير صاحب تذكرة الحفاظ ١١١٩/٣ إلى روايته عن أبي نصر.

(٢٤) هما إجازتان الأولى أخرجها له المدعو أبو محمد بن التجاني (قراءة غير مؤكدة لاسم شخص غير معروف) مكتوبة بخط عبدالعزيز بن ثعلبة السعدي الأندلسي (لم أجد له ترجمة) وقد وصفه المؤلف بأنه كان من أهل العلم ثقة يحدث عن أبي الفضل الحكاك (انظر الحاشية التالية). والثانية نقلها سهل بن بشر الإسفرائيني أبو الفرج البسطامي الدمشقي الصوفي ٤٤٠٩هـ/١٠١٨م-٤٩١هـ/١٠٩٧م، العبر ٣٣١/٣.

(٢٥) ٤١٦هـ/١٠٢٥م-٤٨٥هـ/١٠٩٢م، تذكرة الحفاظ ١٢١٣/٤ ترجمة رقم ١٠٣٣ وفيها أنَّه يروي عن أبي نصر السجزي، ويُذكر السلفي في الحديث عنه.

أمّا رأي السلفي الذي أدرك عليه الحفاظ من مشايخه فهو أنّ الإجازة تجوز لجميع الناس دون النظر إلى السن، فهي تجوز للصغير كما يجوز له الحبس والهبة؛ وإنما يؤخذ له من شيوخ الوقت حتّى إذا بلغ مبلغ الرواة روى ما يصح لديه من حديثهم.

وكان الخطيب البغدادي قد خَصَّصَ لهذا الأمر جزءاً لطيفاً، ذهب فيه إلى جواز إجازة المعدوم فكيف للمولود الموجود^(٢٦).

أمّا بقية الكتاب (بعد ورقة ٤) فهي مُخَصَّصَةٌ لذكر مَنْ كاتبوا السلفي مرتبين ترتيباً جغرافياً^(٢٧).

١ - بغداد

١ - (الورقة ١٥)

رزق الله بن عبد الوهاب التميمي شيخ الحنابلة أبو محمد (مات وله ٨٨ سنة في عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م: العبر ٣/ ٣٢٠) وكان السلفي قدّراه في صباه لما جاء رزق الله أصبهان رسولاً من الخليفة.

٢ - (الورقة ٥ب)

الحسن بن أحمد بن طلحة النعالي [البغدادي الحمامي] أبو عبد الله (مات مُسنّاً سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٩٩ م: العبر ٣/ ٣٣٦).

٣ - (الورقة ١٦)

(٢٦) انظر تفصيل الأمر في الكفاية للخطيب ط. مذكورة آنفاً ص ٣٢٥: ويبدو الخطيب في هذا الموضع شديد الحذر بخصوص جواز إجازة المولود الذي سيولد.

(٢٧) نجد في هذا القسم كثيراً من التفصيلات التي تجدر دراستها وإخراجها، ولكنها هنا تخرج عن قدرة المكان المخصص لهذا المقال؛ ولعلنا راجعون إليها في مناسبة أخرى.

طرّاد (طرّاد، تختلف المصادر في ضبط اسمه) بن محمد بن علي الزينبي نقيب
نقباء الهاشميين أبو الفوارس (٣٩٩هـ/١٠٠٨م-٤٩١هـ-١٠٩٧م: العبر
٣/٣٣١).

٤- (الورقة ١٧)

أحمد بن الحسن بن أحمد [الكرجي] الباقلاني أبو طاهر (٤١٦هـ/١٠٢٥م-
٤٨٩هـ-١٠٩٥م: العبر ٣/٣٢٤).

٥- (الورقة ١٧-٧ب)

أحمد بن عبد القادر بن محمد الأصبهاني الأصل البغدادي المولد أبو الحسن
[العبر والشذرات ٣/٣٩٧: أبو الحسين] (مات وله ٨١ سنة في عام
٤٩٢هـ/١٠٩٨م: العبر ٣/٣٣٣).

٦- (الورقة ٧ب)

علي بن الحسين بن علي البزاز الموصلي أبو الحسن (٤١٠هـ/١٠١٩م-
٤٩٢هـ/١٠٩٠-١٠٩١م المنتظم ٩/١١١؛ العبر ٣/٣٣٤ انظر جورج مقدسي،
ابن عقيل ص ٥٠٠ رقم ٤.

٧- (الورقة ١٩)

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري (لم أجد له ترجمة؛ وبحسب
السلفي أنّه كان حياً عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م).

٨- (الورقة ٩ب)

أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي المعدّل أبو الفضل ٤٠٦هـ/١٠١٥م -
٤٨٦هـ/١٠٩٣م العبر ٣/٣١٩) وقد أقام في الأندلس حيث أجاز أبناء هود
الأمراء.

٩- (الورقة ١٠أ)

محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل (لَمْ أجد له ترجمة، والسلفي يحدد وفاته
بـ ٤٩٤هـ/١١٠٠م).

٢- البصرة

١٠- (الورقة ١٠أ-١٠ب)

جعفر بن محمد (أبو بكر) بن فضل القرشي العباداني البصري أبو طاهر، مات
عام ٤٣٩هـ/١٠٩٩م السمعاني، أنساب ٣٧٩ب، العبر ٣/٣٣٦، يُحدّد التاريخ
الدقيق لوفاته.

١١- (الورقة ١١أ)

محمد بن أحمد بن عمر النهاوندي أبو عمر (٤١٠هـ/١٠١٩م - ٤٩٧هـ/١١٠٣م.
المنتظم ٩/١٤١، جواهر ٢/٢٠، جورج مقدسي، ابن عقيل ص ١٨٠ رقم ٢،
وصفحة ٤١٠ رقم ٢، وفيه تاريخان مختلفان لوفاته.

١٢- (الورقة ١١أ-١١ب)

محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفرج (لَمْ أجد له ترجمة، وقد
توفي بحسب السلفي عام ٤٤٩هـ/١١٠٥م).

١٣- (الورقة ١٢أ)

أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي أبو طاهر المعروف بابن دُبّة، ولد
٤١٧هـ/١٠٢٦م، ولم يذكر المؤلف سنة وفاته (ولَمْ أجد له ترجمة).

١٤- (الورقة ١٢أ-١٢ب)

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمود العبدى أبو طاهر ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م -
٥٠٠ هـ / ١٠٦ م (لَمْ أجد له ترجمة).

٣ - مَكَّة

١٥ - (الورقة ١٢-أ١٢)

عيسى بن [عبد] أبي ذر الهروي أبو مکتوم (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م - ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م. العبر
٣ / ٤٨ (٢٨).

١٦ - (الورقة ١٣-أ١٣)

محمد بن عمر بن عبد العزيز البخاري المجاور بمكة، الحنفي الملقب بـ كَاك،
وصلت رسالته إلى السلفي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م. توفي في العام التالي.

الجواهر ١٠١/٢ رقم ٣٠٦،

١٧ - (الورقة ١٤)

محمد بن هبة الله بن ثابت البندنجي الشافعي مجاور مكة أبو نصر، أجاز
السلفي عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م بواسطة أحمد بن محمد النحاس (؟) (الأصبهاني^(٢٩)).

(البندنجي، إمام ضريّر، عاش من ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م - ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م.

الصفدي، نكت الهميان، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ص ٢٧٧.

طبقات الشافعية ٨٥/٣، أعلام ٣٥٤/٧).

(٢٨) أجاز السلفي بواسطة محمود بن الفضل [بن محمود الصباغ الأصبهاني] (مات عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م
المنتظم ٢٠٢/٩؛ تذكرة الحفاظ ١٢٥٢/٤، رقم ١٠٥٨ [وليس له ذكر في العبر] مقدسي، ابن عقيل ص ٤٥٠،
رقم ٥).

(٢٩) ليس لديّ تحديدٌ مُوثَّقٌ لهذا الشخص؛ وقراءة النحاس مشكوك فيها، ولعلَّ المعنى هو: أبو الفضل الحداد
المتوفى وله ٩٢ سنة عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م - ١١٠٧ م، العبر ٣٣٥/٣.

١٨- (الورقة ١٤-أب)

محمود بن عمر محمد الزمخشري أبو القاسم (مشهور ٤٦٧هـ/١٠٧٥م- ٥٣٨هـ/١١٤٤م: بروكلمان ط ٢٠، ١/٣٤٤؛ الملحق ١/٥٠٧، أعلام ٨/٥٥)(٣٠).

١٩- (١٤-أب)

عمر بن محمد بن عبدالله البسطامي البلخي أبو شجاع، استلم المؤلف رسالة بمروياته من بلخ ومن مكة (٤٧٥هـ/١٠٨٢م- ٥٦٢هـ/١١٦٦م، العبر ٤/١٦٨، تذكرة الحفاظ ٤/١٣١٨).

٢٠- (الورقة ١٥-أب)

عبدالله بن محمد إسماعيل بن الغزال المقرئ المصري المالكي أبو محمد؛ وصل المؤلف خبر منه منذ عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م ولكنه لم يلتق به أبداً، (٤٥٠هـ/١٠٥٨م - ٥٢٤ - ١٢٩م: العبر ٤/٥٦).

٢١- (الورقة ١٥-أب)

رزين بن معاوية بن عمار العبدي الأندلسي [السرقسطي] أبو الحسن (لا نعرف سنة ولادته، ابن بشكوال، الصلة، القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/١٨٤ ترجمة رقم ٤٢٨).

وسنة وفاته ٥٢٤هـ/١١٢٩م-١١٣٠م محدّدة اعتماداً على رسالة وصلت محمد بن علي بن الحسين الطبري قاضي الحرمين؛ وتذكر مصادر أخرى وفاته في ٥٣٥هـ/١١٤٠م.

انظر: الملحق ١/٦٣٠ حيث أشار بروكلمان إلى الاختلاف ولم يقطع فيه رأياً؛ الأعلام ٣/٤٦، العبر ٤/٩٥.

(٣٠) لا نجد في مخطوطتنا مختارات المؤلف من مراسلاته مع الزمخشري التي وعد بذكرها.

٢٢- (الورقة ١١٦)

الحسن بن علي بن الفضل الأملّي الطبري أبو زيد، كتب إلى المؤلف من مكة سنة ٥٢٨هـ/١٣٣م (ولم أجد إشارات أخرى حوله).

٢٣- (الورقة ١١٦)

نبت^(٣١) بن عبيد (وذكر بدلاً من عبيد في أول ترجمته: عبدالرحمن) بن محمد النهدي اليمني الشافعي أقام بمكة منذ عام ٤٧٧هـ/١٠٤٨م، وصل خبره من مكة سنة ٥٢٦هـ/١٣١م (ولم أجد إشارات أخرى حوله).

٤- الموصل

٢٤- (الورقة ١١٦-١٦ب)

نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلّي أبو القاسم (لم أجد له ترجمة، ونفهم من نصّنا أنّه يروي عن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق، أصولي من الموصل، مات عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م وله سبع وسبعون سنة).

٥- همذان

٢٥- (الورقة ١١٧)

إسماعيل بن محمد بن عثمان القوسماني^(٣٢)، للمؤلف إجازة منه في عام ٤٩٤هـ/١٠٠٠م (ولم أجد له ترجمة).

(٣١) هذا الاسم غريب، والسلفي نفسه يقول: من الأسماء المفردة لا أعرف له سمياً.

(٣٢) قومسا: قرية من نواحي أصبهان، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي.

٢٦- (الورقة ١١٧)

سعد بن علي العجلي أبو البديع، أجاز المؤلف في السنة نفسها ٤٩٤ هـ (ولم أجد له ترجمة؛ وقد عرفه السلفي [بعد ذلك؟] في همدان).

٢٧- (الورقة ١١٧)

عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بُندار، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٢٨- (الورقة ١١٧)

محمد بن علي بن محمد المعرم أبو الفرج، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٢٩- (الورقة ١١٧)

مكي بن بنجير بن عبدالله الشاعر، أجاز السلفي دون شك في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٣٠- (الورقة ١١٧)

عبدالغفار بن محمد، ليس لإجازته زمن محدد، وعي بلا شك في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٣١- (الورقة ١١٧)

محمد بن جابر بن علي، المعروف بـ وفا (الملاحظة السابقة نفسها).

٣٢- (الورقة ١١٧)

نصر بن محمد بن علي بن زيرك (الملاحظة السابقة نفسها).

٣٣- (الورقة ١١٧)

فيد بن عبدالرحمن بن شاذي الشعراني، وصلت رسالته من بغداد سنة ١٠٩٧هـ/١٠٩٧م بوساطة أبي نصر اليونارتي^(٣٣). ثم وصلت إجازته من همذان في عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م (ولم أجد له ترجمة) إِلَّا أَنَّ الذهبي يشير إليه مرتين في العبر ١٥٩/٤-٢٧٥ كراوية علماء همذان.

٣٤- (الورقة ١١٧-١٧ب)

بُنَجِير بن منصور الهمذاني أبو ثابت شيخ الصوفية، أجاز السلفي بواسطة اليونارتي (ولم أجد له ترجمة)^(٣٤).

٦- أسد آباذ في قهستان

٣٥- (الورقة ١١٨)

عمر بن علي بن جبريل القيم أبو جفص (لَمْ أجد له ترجمة).

٧- أستراباذ^(٣٥)

٣٦- (الورقة ١١٨)

ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو محمد (لَمْ أجد له ترجمة).

٨- خراسان

٣٧- (الورقة ١١٩)

(٣٣) الحسن بن محمد بن إبراهيم مات في الستين من عمره عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م، رحل إلى هراة وبلخ وبغداد، ويونارت كانت قرية من نواحي أصفهان: العبر ٧١/٤، (وقد ذكره السلفي غير مرة في كُتُبِهِ وأُخبر عنه).

(٣٤) أستاذه في التصوف هو جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري أبو محمد، الذي لم أجد له أخباراً في مناسبة أخرى غير ما ذكره المؤلف من أخباره المهمة في نَصْنَا هذا، وسأدرس هذه الأخبار في مناسبة أخرى.

(٣٥) هي بلا شك مدينة في طبرستان أشار إليها في معجم البلدان (البداية) وبحسب السمعاني في الأنساب، حيدر آباد ١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ص ١٣١ القراءة الصحيحة للنسبة إليها هي: إستراباذي.

عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي أبو بكر، وصل خبره عام ١٠٩٩/هـ ١٠٩٩م الأنصاري النيسابوري ، توفي عام ٥١٠/هـ ١١١٦م عن ٩٦ سنة: أنساب ٣٤٥ ب، العبر ٢٠/٤.

تَعْقِيَّات

حاشية رقم ٢

ذكر الذهبي هذا الكتاب في عداد كتب السلفي في سير أعلام النبلاء ٢١/٢١ وسماه "الوجيز في المجاز والمجيز" ونقل عنه دون تصريح في المرجع نفسه ٨/٢١ في ترجمة السلفي. ولم يعرفه صاحب هدية العارفين ولا ذكر له في كشف الظنون ولا في ذيله. وقال الشيخ عبدالحى بن عبدالكبير الكتاني في فهرس الفهارس ١١٣٠/٢ (٥٦١): "الوجيز في ذكر المجاز والمجيز: للإمام الحافظ أبي طاهر السلفي أرويهما بأسانيدھا إليه (انظر حرف السين) وفيها كلام جيد في تصحيح الرواية بالإجازة والعمل بها نقله أبو التوفيق الدكالي في "سمط الجواهر". وانظر فهرس الفهارس ٩٩٤/٢ (٥٦٥) والحديث عن سمط الجواهر في ١٠٦٠/٢ (٥٣٤). ولم يعرفه بروكلمان في مؤلفات السلفي.

وفي ترجمة السلفي: انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٥-٣٩ وفي حاشية الصفحة (٥) ذكر لمصادر كثيرة يُضاف إليها مقالة للدكتور سهير محمد زمان في مجلة Islamic studies = دراسات إسلامية، العدد، ١٩٨٥/٤/٢٤ بعنوان "مصادر ترجمة السلفي" ٤٩٣-٥٠٢.

ويُراد إلى المصادر المذكورة في موسوعة الإسلام حَوْل الإجازة: كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقيد السماع، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ط. دار التراث- القاهرة. تح السيد أحمد صقر ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م) ص ٨٨-١٠٧.

حاشية رقم ٥

لَعَلَّ العنوان الذي أراده أبو طاهر السلفي لما نعرفه اليوم بعنوان "معجم السَّفَر" هو "المعجم المؤرَّخ" لأسباب سنوضحها بعد الحديث عن معجم السفر. ذكر بروكلمان في عداد كتب السلفي كتاباً سماه "معجم الشعراء" واعتمد في ذلك على نقول وجدها في معجم الأدباء لياقوت الحموي انظر بروكلمان، الأصل ٤٥٠/١ (٣٦٥) والملحق ٦٤٢/١ وتبعه فؤاد سزكين في نسبة الكتاب للسلفي بعنوان "معجم الشعراء" انظر: تاريخ التراث العربي (بالألمانية) مج ٩٧/٢ والترجمة العربية مج ٢ ج ١/ وقد أشار الأستاذ مطاع الطرابيشي في مقدمته لكتاب "سؤالات الحافظ السلفي" (ص ٢٢) أنَّ ما جاء عند بروكلمان تصحيف ومتقولات ياقوت من معجم السفر الذي تَصَحَّف في المطبوعة إلى "معجم الشعراء". وكان بروكلمان قد ذكر الأماكن التي نقلها ياقوت عن معجم الشعراء الموهوم فأخطأ في موضعين ينقل فيها ياقوت عن السؤالات والمشيخة البغدادية في حين أنَّ بروكلمان ظنَّه يُنْقَل عن معجم الشعراء المصحف عن معجم السفر.

وفي مقدمة الأستاذ الطرابيشي (ص ٢١) أنَّ المرحوم حسن عبدالوهاب ذكر أنَّ نسخة الأصل كانت في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة؛ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تنقص الأوّل والآخر؛ مأخوذة بالتصوير الشمسي.

ذكر ذلك في مجلة الكتاب (سنة ١٩٤٦ م: مج ٣/٣٨٣-٣٨٦).

وأنَّ الأستاذ عمر رضا كحالة في (المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة)، أنَّ في مكتبة عارف حكمت كتاباً عنوانه "معجم الحفاظ- لأبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني في ٤٠٨ صفحات؛ نُسخة مذهبة؛ تاريخ نسخها ١٢٣٩ هـ". ورجَّح الأستاذ الطرابيشي أنَّها النسخة التي أشار إليها حسن عبدالوهاب.

قُلْتُ: ووصف الأستاذ الدكتور إحسان عباس هذه النسخة التي أخرج عنها "أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر" في مقدمته لطبعة بيروت - دار الثقافة ١٩٦٣ (الطبعة الثانية مصورة بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

فقال: رقمها في مكتبة عارف حكمت ١٧٦/ حديث، حديثة النسخ حسنة الترتيب كتبها عبدالحفيظ بن محمد صالح حماد سنة ١٢٣٩ هـ وأصلها منقول عن جُزائزات بخط المؤلف وتقع في ٢٣٩ ورقة وهي بخط واضح قليل الخطأ .. المقدمة ص (١٣) وذكر أن من الكتاب نسخة أخرى مصورة بدار الكتب المصرية وهي ذات أوراق مضطربة ولم يذكر لها رقماً.

وأقول: إنَّ من الكتاب نسخة ناقصة أوردها صانعو فهارس مكتبة جستر بتي في دبلن بعنوان "معجم الشعراء" بالاعتماد على ما جاء عند بروكلمان وهو تصنيف كما ذكرنا. وقد جاء على غلاف النسخة "معجم السلفي" وهي في المكتبة برقم ٣٨٨٠ ناقصة مضطربة، لديَّ صورة عنها وهي في (٢٤٤) ورقة.

وطُبع من الكتاب الجزء الأول بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في بغداد ١٣٩٣/١٩٧٨ م ولم أطلع عليه بل رأيت للدكتور بشار عواد معروف كلمة في نقد هذا الجزء في مجلة المورد مج ٨ ع ١ - ١٩٧٩.

وقد نشره الدكتور سهير محمد زمان في إسلام آباد ضمن مطبوعات معهد البحوث الإسلامية برقم (٨١) ١٩٨٨ م وجاء كما وصفه جورج مقدسي في مجلة "دراسات إسلامية Islamic Studies العدد ٢٧/١٩٨٨" في ٤٤٩ صفحة وذيله في ١٩١ صفحة ومصادره في ٦ صفحات والتعليقات في ٥٥ صفحة، وسبع لوحات من المخطوطات التي اعتمدها والمقدمة في ١٢٤ صفحة وفيه فهارس متنوعة ولم أطلع عليه بعد.

وكان الدكتور سهير محمد زمان قد نشر في المجلة نفسها مقالين حَوَّل

السلفي:

الأولى: "مصادر ترجمة السلفي" سبقت الإشارة إليها في التعليق على
الحاشية ٢.

والثانية: "تحصيل السلفي للحديث والقراءات في أصبهان" نجدها في العدد
(١٩٨٦/٢/٢٥، ص ١٥١-١٥٩).

والشائع بين العلماء أنَّ "معجم السفر" لَمْ يَضَعْهُ السلفي بشكله النهائي
والظاهر كما يقول الدكتور بشار عواد معروف أنَّه كان على شكل جزرات هيا
الله لها أحد الفضلاء فَدَوَّنَهَا على شكل كتاب. وهذا الفاضل هو زكي الدين أبو
محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ صاحب الكتاب
المشهور "التكملة لوفيات النقلة" وقام ولده الشاب رشيد الدين المنذري المتوفى سنة
٦٤٣هـ بنسخه عن نسخة والده. وكان السلفي قد كتب كُلَّ ترجمة بجزارة فبيضاها
المنذري كما تجيء لا كما يجب .. وقال شمس الدين السخاوي المتوفى سنة
٩٠٢هـ في كتابه الإعلان عند كلامه على كتابه المرتب على حروف المعجم:
"وَجَمَعْتُ كتاباً حافلاً على حروف المعجم أصلته من .. و"معجم السفر" للسلفي
وهو في مجلد، كثير الفوائد بخط محمد بن المنذري، قال عن أبيه الزكي إنَّه وقع
له بخط السلفي في جزرات كل ترجمة في جزارة فبيضاها ورتبها كما تجيء لا كما
يجب .. وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكن فيه من الإصبهانيين أحد".

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١:

"وقد جمعوا له من جزاره وتعليقه "معجم السفر" في مجلد كبير" وذكر الدكتور
بشار عواد معروف أنَّ عبارة المنذري موجودة في صدر نسخة مكتبة عارف
حكمت بالمدينة المنورة "انظر مقالته المذكورة آنفاً: ص ٣٨١).

وذكر الأستاذ الطرايشي في مقدمته لسؤالات الحافظ السلفي (ط. دار الفكر -
١٩٣٨ ص ٢١): "وَلَعَلَّ هذا المعجم كان يُعْرَفُ أحياناً باسم التعاليق فقد قال

الحافظ ابن نقطة خلال حديثه عن أبي محمد الجَلّالي اللواتي: "حكى عنه أبو طاهر السلفي في تعاليقه" وما أراه أشار إلى غير معجم السفر".

قلت: والسلفي في الوجيز [١٢] يأتي على ذكر كتاب له يسميه "المعجم المؤرّخ" ولا نجد بين مؤلفاته ذكراً لمثل هذا الكتاب وعَلّق الأستاذ فاجدا على الكتاب فقال: ولعل المعنيّ هو معجم السفر (الحاشية ٥ من المقال المترجم).

فماذا يقول السلفي عن هذا الكتاب؟

"فإني لَمَّا فَرَعْتُ من ذكر من لقينته من الرواة، وكبار الحفاظ والوعاة، وإثبات مَنْ عُلِّقَ عنه شيئاً من الحديث؛ وإن لَمْ يكن عارفاً بقوانين الرواية والتحديث، وتسمية من استفتت منه فائدة فقهية أو أدبية أو زهدية، أو استتشدته فأنشدني شيئاً من شعره وبنات فكره، أو ممّا أنشده مَنْ شاهده مِنْ أديب بارع أو راوية جامع، ودَوَّنتُ ذلك كله في كتاب تَرَجَمْتُهُ بِالمعجم المؤرّخ، إذ بَيَّنْتُ فيه درجاتهم، وعَيَّنْتُ على ضَعْفائهم وثقاتهم، وأَتَيْتُ على ما يُحْتَاج إليه من أقوالهم، ونَبَّهْتُ على رتبهم ومحالّهم، وَلَمْ أُورِدْ عن أحد منهم غير حديث واحد لا أكثر، أو حكاية أو مَقْطُوع من الشعر وإن كان غير قائله منه أَشْعَر؛ أَثَرْتُ أَنْ أَضِيفَ إليه أيضاً .. غير أَنِّي خالفت الطريق الذي قد سلكت في كتاب المعجم، فالمعجم على ترتيب حروف التهجي كاملة..."

وما ثبت عندي أن هذا الوصف ينطبق على الجزء الباقي في مخطوطة جستر بتي وعلى منقولات ياقوت.

وَلَعَلَّ المنذري ناسخ الكتاب هو الذي سَمّاه بمعجم السفر لَمَّا وقع إليه في جزازات وَلَعَلَّ ما وقع إليه لا يعدو أَنْ يكون المعجم المؤرّخ الذي ينص السلفي في النص الذي نقلناه عن الوجيز أَنَّهُ فرغ منه وَأَنَّهُ مرتّب على ترتيب حروف

التهجّي كاملة. ولعل وجود الكتاب على جزازات هو ما دفع ابن نقطة إلى تسميته بالتعاليق.

وَقَدْ وجدت السلفي يقول في الوجيز [١٧ب] في ترجمة "أبي الحسن فيد بن عبدالرحمن بن شاذي الشعراني (من شيوخ همذان):

(وَلَمْ يَقَعْ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِهِ وَرَوَايَتِهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَكُنْتُ رَأَيْتُ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا بِاصْبِهَانَ وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ وَعْظِهِ وَأَنْشَدَنِي بَيْتَيْنِ عَاقَبْتُهُمَا عَنْهُ وَذَكَرْتُهُمَا فِي الْمَعْجَمِ الْمُؤَرَّخِ). وَلَمْ أَجِدِ الْبَيْتَيْنِ فِي نَسْخَتِي النَّاقِصَةِ مِنْ مَعْجَمِ السَّفَرِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَمُنُّ بِالْحَصُولِ عَلَى نَسْخَةٍ مِنَ الْكِتَابِ تَامَةٍ لِأَسْتَجْلِيَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

فَإِمَّا أَنْ مَعْجَمَ السَّفَرِ هُوَ الْمَعْجَمُ الْمُؤَرَّخُ وَإِمَّا أَنْ نَصَّ الْوَجِيزُ يَشِيرُ إِلَى مَعْجَمٍ آخَرَ مِنْ مَعَاجِمِ شُيُوخِ السَّلَفِيِّ لَمْ تَذْكُرْهُ كَتَبَ التَّرَاجِمَ وَأُرَانِي أَمِيلَ إِلَى الْقَوْلِ بِالرَّأْيِ الْأَوَّلِ.

حاشية رقم ١١

من كتاب "الوجيزة" نقول في الإلماع للقاضي عياض (انظر الفهارس) وكذلك في فتح المغيث للسخاوي ٢٢٥ وانظر: فهرس الفهارس والإثبات ١١٢٣/٢ (٦٣٤)، ١١٢٩-١١٣٠ (٥٥٩).

والسيوطي في تدريب الراوي ٥٢/٢.

وانظر في ترجمة المؤلف: سير أعلام النبلاء ٦٥/١٧-٦٧ وفي حاشيته (ص ٦٥) ذكر لمصادر كثيرة.

الحاشية ٦-٧

وانظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ص ٨٨-١٠٧.

الحاشية ١٥

انظر: في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد البرادي (توفي ٤٩٨هـ/١٠٤م)

سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٩-٢٢١ وفي حاشيته مصادر كثيرة. وقال ياقوت في معجم البلدان ٥٥٢/١.

"البردان: من قرى بغداد على سبغة فراسخ منها قرب صريفين، وهي من نواحي دجيل. وانظر شذرات الذهب ٤٠٨/٣.

الحاشية ١٦

ترجم لواصل بن حمزة البخاري الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩٣/١٣ (٧٣٤٥) فقال:

"واصل بن حمزة بن علي بن أحمد بن نصر أبو القاسم الصوفي البخاري، قدم بغداد وحدث بها عن عبدالكريم بن عبدالرحمن بن محمد وأبي حامد أحمد بن محمد البخاريين. كتبت عنه ولم يكن به بأس. أخبرنا واصل بن حمزة في سنة ٤٥٠هـ.

الحاشية ٢٤

لم يُحسن كاتب المقال قراءة اسم الشيخ الذي أخرج للسلفي بدمشق إجازة أبي نصر الوائلي والقراءة الصحيحة هي: أبو محمد بن الأكفاني وهو: هبة الله بن أحمد بن محمد الأنصاري الدمشقي الحافظ توفي سنة ٥٤٢هـ وله ثمانون سنة. انظر سير أعلام النبلاء ٥٦٧/١٩-٥٧٨.

الحاشية ٢٦

يشير السلفي إلى كتاب للخطيب البغدادي في الإجازة وعنوانه "إجازة المعلوم والمجهول" وقد طبع ضمن مجموعة "رسائل في علوم الحديث" بعناية صبحي البدري السامرائي نشر المكتبة السلفية عام ١٩٦٩م.

الحاشية ٢٧

أنهينا تحقيق الكتاب بانتظار مَنْ يَطْبَعُهُ.

شيوخ بغداد

رقم ١ الخليفة المذكور في ترجمة رزق الله بن عبد الوهاب التميمي (٤٠٠هـ - ٤٨٨هـ) هو: المقتدي بالله عبدالله (عبيد الله) بن محمد (٤٤٨-٤٧٨هـ / ١٠٥٦-١٠٩٤م) ولي الخلافة سنة (٤٦٧هـ) وكان عالي الهمة له علم بالأدب.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٨/١٨-٣٢٤ والأعلام ١٢٢/٤

رقم ٤ أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خداداد الكرّجي الباقلاّني البغدادى ولد سنة ٤١٦هـ وتوفي سنة ٤٨٩هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٤٤-١٤٥

وفيه: وأجاز للسلفي.

وقد تصحفت نسبته إلى الكرّخي في معظم المصادر انظر: شذرات الذهب ٣/٣٩٢.

رقم ٧ ذكر السلفي بين شيوخ بغداد الذين كاتبوه:

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري

قال كاتب المقال: "لَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجَمَةً، وَبِحَسَبِ السَّلْفِيِّ أَنَّهُ كَانَ حَيًّا عَامَ ٩٩٤/١١٠٠م وَأَقُولُ: حَدَّدَ السَّلْفِيُّ وَفَاتَهُ فَقَالَ: "تُوفِيَ بِبَغْدَادٍ وَأَنَابَهَا فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ، وَلَمْ يَتَّفَقْ لِي سَمَاعٌ شَيْءٌ عَلَيْهِ عَلَى أَنِّي قَصَدْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ لِعَارِضٍ مَرَضٍ بَرَّحَ بِهِ وَبَلَغَ مِنْهُ وَحَضَرَتْ جَنَازَتُهُ. وَكَانَ يَرْوِي عَنْ شَهَابِ الْعَكْبَرِيِّ (٤٢٨)."

وقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٩٧/٥ حوادث سنة ٤٦٧هـ "وفيها توفي محمد بن عبيد الله أحمد بن محمد بن أبي الرعد الفقيه الحنفي قاضي عُنْكَرًا. كَانَ إِمَامًا فَقِيهًا صَادِقًا ثَقَّةً مَاتَ بَعْبُكْرًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ."

رقم ٩ أبو الفضل محمد بن أحمد بن طوق.

قال كاتب المقال: "لم أجد له ترجمة، والسلفي يُحدّد وفاته بـ ٤٩٤هـ/١١٠٠م" **قُلْتُ:** ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦١/١٢ (ط. ٢ بيروت ١٩٧٧م) فقال: "أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربيعي الموصلّي. تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري وكان ثقة صالحاً كتب الكثير".

شيوخ البصرة

رقم ١٢ محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفرج

قال كاتب المقال: "لم أجد له ترجمة، وقد توفي بحسب السلفي عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م".

قلت: ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٦/١٢ في وفيات سنة ٤٩٩هـ فذكر أنّه سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر. وانظر المنتظم ١٤٧/٩-١٤٨.

رقم ١٣ أبو طاهر الدباس أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي

في أصل المقال: ابن ذبقة، والذي في المخطوط: ابن دُبْقَة

ولعلّ المُترجم في الوافي بالوفيات ١٦٢/١ وفي الحاشية رقم ٢٠ من المقال والمتوفى سنة ٣٧٨هـ/١٩٨٨م هو والده.

وانظر: تاريخ التراث العربي "الترجمة العربية" مج ١ ج ٣ ص ٦٧.

الحاشية ٢٥

لا يروي السلفي مباشرة عن الحكاك بل إنه لم يره، يقول: "وجعفر هذا ثقة، حافظ ويعرف بمكة بابن الحكاك قدم إصبهان وكتب عنه أقراني ولم أره أنا".

وهو يروي عنه بطريق محمد بن مرزوق الزعفراني البغدادي الحافظ التاجر أبي الحسن أكثر عن ابن المسلمة وأبي بكر الخطيب وسمع بدمشق وأصبهان. توفي سنة ٥١٧هـ... وكان متقناً ضابطاً وذاكر.

انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٧١-٤٧٢.

وترجمة جعفر في السير ١٩/١٣١-١٣٢.

شيوخ مكة المكرمة

رقم ١٦ انظر في ترجمته المنتظم ١٠/٢٤ (٣٠)

رقم ٢٢ ورد ذكر البصري في خبر يرويه السلفي في معجم السفر وسنقل الخبر في التعليق على شيوخ همدان ٢٩ وفي الخبر أن مكي بن بنجير الشعار الهمداني الذي أجاز السلفي قرأ كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصبهاني على ابن البصري هذا.

شيوخ الموصل

رقم ٢٤ نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلية أبو القاسم.

ذكره السلفي في معجم السفر "نسخة جستر بتي" في ترجمة عيسى بن أحمد ابن هبة الله الموصلية. وأما شيخه أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق المتوفى (٤٩٥هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م) فله ترجمة في شذور الذهب ٣/٣٠٧ واللباب ٣/١٩٤ عن الأنساب ٥/٣٤١ وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٧.

قلت: ولعل ابن طوق هذا والد مجيز السلفي محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل المتوفى سنة (٤٩٤هـ) وترجمنا له في التعقيب على شيوخ بغداد (رقم ٩).

شيوخ همذان

رقم ٢٥ إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن علي المعروف بالقومساني.

للسلفي منه إجازة في عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م، وقال كاتب المقال: "لم أجد له ترجمة" قلت: وقد وقفت له على ترجمة في البداية والنهاية ١٦٤/١٢.

يعرف بأبي الفرج، سمع من أبيه وجده وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون مأموناً. توفي سنة ٤٩٧هـ.

وانظر معجم البلدان ٤/٤١٤ (قومسان)

رقم ٢٦ سعد بن علي العجلي: قال كاتب المقال: لم أجد له ترجمة".

قلت: وقد وقفت له على ترجمة فردة في سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٩ يقال له أبو منصور سعد بن علي بن حسن العجلي الأسد آباذي ثم الهمذاني الشافعي قال السمعاني: هو ثقة، مفتٍ مناظر، كثير العلم والعمل. سمع أبا إسحاق البرمكي وكريمة المروزية وطائفة. قال الإمام الذهبي: روى عنه أبو علي أحمد بن سعد ابنه وإسماعيل بن محمد التيمي، وبالإجازة أبو طاهر السلفي، قال السمعاني: مات في ذي القعدة سنة ٤٩٤هـ.

سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٩

والمنتظم ٩/١٢٥، الوافي بالوفيات ١٥/١٨١

وطبقات السُّبكي ٤/٣٨٣، وطبقات الإسنوي

٢١٣-٢١٤.

وسماه السلفي "أبو البديع" ذلك أن ابنه أبا علي أحمد بن سعد بن علي العجلي عرف بالبديع وهو من شيوخ السمعاني صاحب الأنساب.

انظر الأنساب ١٦١/٤، السبكي ١٧/٦

والإسنوي ٢١٤/٢

رقم ٢٩ مكي بن بنجير بن عبدالله الشعار

جاء في معجم السفر "نسخة جستر بتي" في ترجمة علي بن مكي بن بنجير الشعار الهمداني: "وقد أجاز لي أبوه مكي جميع رواياته وكان من الحفاظ".

الحاشية رقم ٣٠

نشرت الدكتور بهيجة الحسني مراسلات الزمخشري مع السلفي في مجلة المجمع العلمي العراقي (العدد ٢٣) وانظر هذه المكاتبات في أزهار الرياض ٢٨٣/٣ ووفيات الأعيان ١٧٠-١٧١.

رقم ٣٣ ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١٩ أن فريد بن عبدالرحمن بن محمد الشعراني قد مات سنة ٤٩٨هـ. وانظر المشتبه للذهبي ٥١٤/٢.

رقم ٣٤ ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧.

فيمن حَدَّثُوا عن جعفر الأبهر

وجاء في معجم السفر "نسخة جستر بتي" حرف الطاء:

"سَمِعْتُ طاهر بن محمد بن يحيى الحداد بهمدان يقول: أَخَذْتُ الخرقَةَ من يد بنجير بن منصور الهمداني صاحب جعفر الأبهر، فقدم علينا أبو سعيد حفيد أبي العباس النهاوندي فكنْتُ أخدمه وأستقي وضوءه فوهب لي يوماً مرقعة

وألبنسنيها فذكرت ذلك لِبُنَجَيْرٍ فأجازه وقال: ليس يكون للرجل شيوخ في الحديث؟
فكذا يجوز أن يكون له في التصوف شيوخ لتلحقه بركاتهم".

الحاشية ٣٤

جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري ثم الهمذاني أبو محمد. ترجم له الذهبي
في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧-٥٧٧.

وابن الجوزي في المنتظم ١٢٥/٩ (١٨٧).

وفي السير أنه حَدَّثَ عن صالح بن أحمد، وعلي بن الحسين بن الربيع وعلي
ابن أحمد بن صالح القزويني...

وحدَّث عنه .. وبنجير بن منصور.

مات في شوال سنة ٤٢٨ هـ عن ثمان وسبعين سنة.

شيوخ أسد آباد

رقم ٣٥ عمر بن علي بن جبريل القيم أبو حفص

ذكره السلفي في معجم السفر "جستر بتي" في ترجمة راشد بن علي بن راشد
المقرئ الأسد آبادي.

وذكره الذهبي في السير ٢٥٦/١٦ فيمن يحدثون عن ابن السني، وفي
٢٥٦/١٦ حديث يرويه السلفي عن أحمد بن محمد بن مَرْدُويه عن علي بن عمر
الأسد آبادي عن أبي بكر السني.

وانظر في ترجمة راشد بن علي بن راشد المقرئ سير أعلام النبلاء ١٣/٢١.

شيوخ أسترباذ

رقم ٣٦ ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو الفضل

انظر الأنساب ٢٤١/٤ وفيه أنه ورد نيسابور وحدّث بها، وانظر أعيان الشيعة ٣٦٥/٦ ومعجم الرجال للخوئي ١٧٦/٩ (٦٠٣٤) وأبوه الداعي كان من أئمة الحديث وكذا ولده ظفر، قال السمعاني هؤلاء أهل بيت من علماء الحديث من الإمامية بأسترياذ.

وفي معجم الرجال: أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي العمري الأستر آبادي: فقيه، ثقة، صالح قرأ على الشيخ أبي الفتح الكراكي. وقد ترجم له السلفي في معجم السفر ولم يذكر سنة وفاته وذكر الحديث الذي يرويه في الوجيز [١٨] بروايته. وانظر الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٢٠.

شيوخ خراسان

رقم ٣٧ أبو بكر عبدالغفار بن محمد بن الحسيني الشيروري (كذا في الأصل والشذرات وسير أعلام النبلاء وفي الأنساب ٤٩٩/٣ ضبط نسبته فقال:

"بكسر الشين وسكون الياء آخر الحروف وضَمَّ الراء وسكون الياء وفي آخرها ياء أخرى، وهي نسبة إلى شيرويه جدّ" وعلى ذلك فهو: الشيرزويي انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٦/١٩-٢٤٨ وشذرات ٢٧/٤ والنجوم الزاهرة ٢١٣/٥.

وذكر السلفي في شيوخ بغداد عدداً من الشيوخ الذين تولى أخذ إجازتهم له الشيخ أبو نصر اليونارتي وقال: ولم يَقَعْ إِلَيَّ حديث واحد منهم، ومن جملتهم:

١- أبو بكر أحمد بن الحسين بن كيلان لم أقف له على ترجمة.

٢- كامل بن بارح بن خطّاح الشهابي التركي لم أقف له على ترجمة .

٣- أبو غالب بن أحمد بن عبدالله الواسطي.

٤- أبو الفتح عبدالواحد بن علوان بن عقيل الشيباني سمع أبا نصر أحمد بن محمد بن حسنون وعثمان بن دُؤ ست وآخرين .

مولده سنة ٤٠٣هـ، وعن شجاع الذُّهلي أنه توفي في رجب سنة ٤٩١هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ١٢٨/١٩

والمنتظم ١٠٦/٩-١٠٧

٥- فلان بن هبة الله بن محمد بن أحمد أبي موسى الهاشمي.

لم أقف له على ترجمة.

٦- أحمد بن الحسين بن أبي قلاذ الحريمي.

لَمْ أقف له على ترجمة.

٧- أبو الحسن علي بن أبي القاسم الدينوري الزاهد

سمع أبا الحسن القزويني وأبا طالب بن غيلان .. وحدّث عنه كما يذكر الذهبي أبو طاهر السلفي، وتوفي سنة ٥٢١هـ.

سيلا أعلام النبلاء ٥٢٥/١٩-٥٢٦

المنتظم ١٠/٧ وشذرات ٤/٦٤

٨- محمد بن الحسين بن عبدالله بن هريسة البزار

لَمْ أقف له على ترجمة.

٩- الحسين بن أحمد بن أيوب العكبري لَمْ أقف له على ترجمة.

١٠- هبة الله بن عبدالرزاق بن محمد بن عبدالله بن الليث الأنصاري الأوسي الأشهلي ثم السَّعدي البغدادي.

سمع جزء الحفار من صاحبه هلال بن محمد بن جعفر وسمع من أبي الحسين بن بشران .. وأجاز للسلفي .

ولد سنة ٤٠٢ هـ وتوفي سنة ٤٩١ هـ وكان من ذوي الهيآت ومن قُرّاء المواكب، صحيح السماع.

تذكرة الحفاظ ١٢٢٩/٤، سير أعلام النبلاء ٤٤/١٩-٤٥ شذرات ٣٩٧/٣.

وَمِمَّنْ لَمْ أَقِفْ لَهُمْ عَلَى تَرْجَمَةٍ مِنْ شَيْخِ الْبَصْرَةِ.

١١ - أبو طاهر محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن محمد بن علي بن مضر بن حباب العبدي الزاهد، ويُعرف بابن محموية.
ومن شيوخ مكة

١٢ - أبو زيد الحسن بن علي بن الفضل الطبري [الآملي].

١٣ - نَبَتَ بن عبدالرحمن بن محمد النهدي اليمني

يقول عنه السلفي: "نبت من الأسماء المفردة ولا أعرف له سمياً .. ولد في اليمن وقطن مكة .. ولم يبرحها إلى أن توفي بها.
وقد كان حياً في سنة ٥٢٦ هـ كما يذكر السلفي .

ومن شيوخ الموصل

١٤ - أبو القاسم نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلّي - لم أقف له على ترجمة.

ومن شيوخ همذان:

١٥ - عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بNDAR - لم أقف له على ترجمة.

١٦- أبو الفرج محمد بن علي بن محمد بن المعمر- لم أقف له على ترجمة.

١٧- عبدالغفار بن محمد- لم أقف له على ترجمة.

١٨- محمد بن جابر بن علي ويعرف بوفا

ذكره الذهبي في المشتبه ١٢٥/١ وذكر أنه زاهد من أصحاب الشبلي.

١٩- نصر بن محمد بن علي بن زيرك

ترجمة والده في سير أعلام النبلاء ١٨/٤٣٣-٤٣٥.

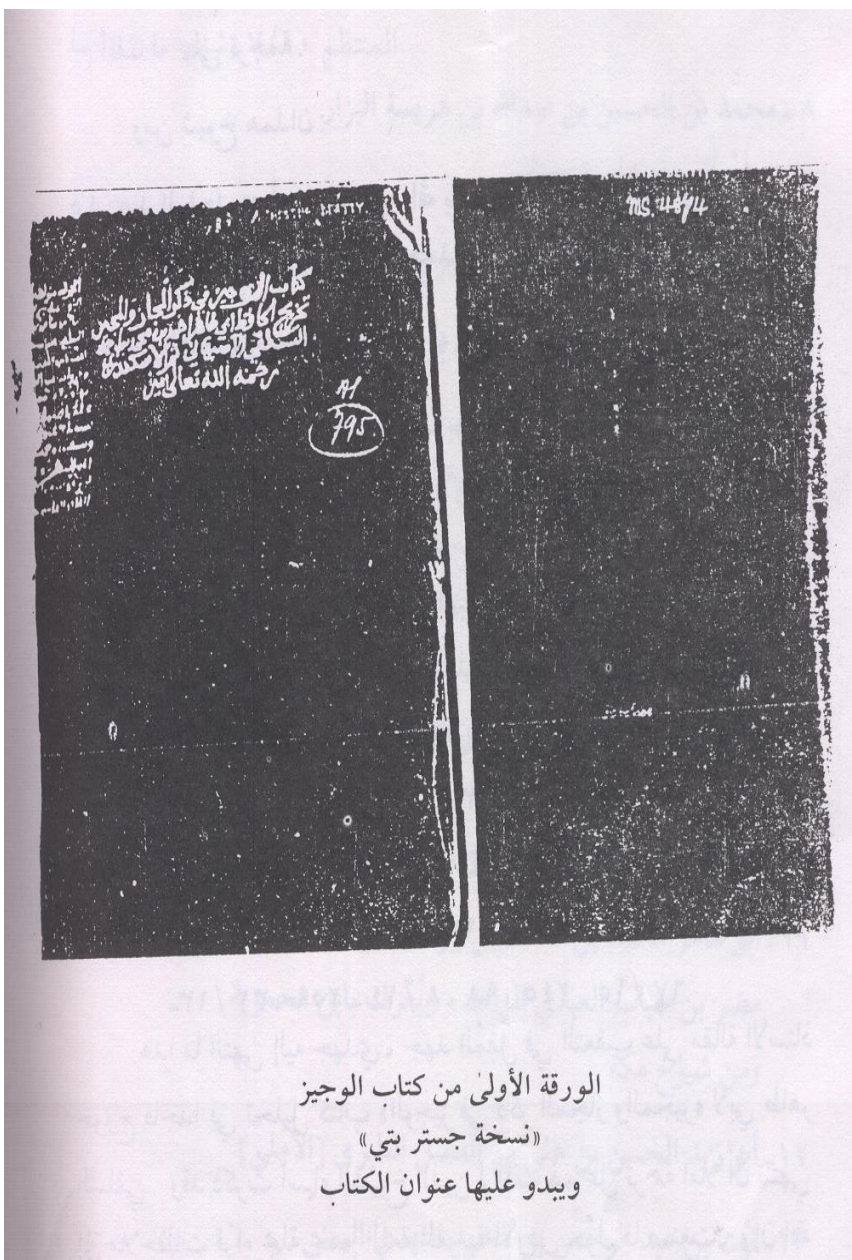
وإنني أذكر في نهاية هذه التعليقات الأماكن التي ورد فيها ذكر للسلفي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ط. دار المأمون.

١١١/١، ١٥٤، ٢٠٢-٣٣/٤، ٥٣، ٨٢، ٢٥٠، ٢٥٦-٦١/٥-
١٢٨/٦-٣٢/٧، ٢٤٧-١٢/٨، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٨-٢١٨/١٠-
٨١/١١، ٢٣٥-٢٧/١٢، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧-٣٢/١٣، ٢٥٩-٨/١٤،
٩٨، ٢٤٥-٦٧/١٥.

هذا ما انتهى إليه جهدي، جهد المقل في التعقب على مقالة الأستاذ جورج

فاجدا في تحليل كتاب "الوجيز في ذكر المجاز والمجيز" لأبي طاهر السلفي. وقد ذكرت أسماء الشيوخ الذين لم أقف لهم على ترجمة آملاً أن تنتهي إليّ ملاحظات قراء مجلة مجمع اللغة العربية الأردني حول ما صنعت، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

محمد خير البقاعي





بداية الكتاب الورقة [٢]

من كتاب الوجيز

«نسخة جستر بتي»



الورقة الأخيرة من كتاب الوجيز
 «نسخة جستر بتي»

رابعاً: أخبار جمعية

مشروع قانون اللغة العربية

رفع الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، إلى دولة رئيس الوزراء، مشروع قانون اللغة العربية الذي أقره مجلس المجمع، في جلسته الثامنة والأربعين والمائتين، بتاريخ ١٩٩٠/٧/٨م، وذلك من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة بشأن تنفيذه، ويهدف القانون إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في المؤسسات الرسمية والخاصة، وفي المؤسسات العلمية والتعليمية في الأردن، وفيما يلي مواد مشروع هذا القانون:

قانون رقم () لسنة ١٩٩٠

قانون اللغة العربية

(صادر بموجب المادة الثانية من الدستور)

المادة الأولى:

يسمى هذا القانون (قانون اللغة العربية لسنة ١٩٩١) ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الثانية:

تلتزم الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات الرسمية العامة والخاصة والبلديات والنقابات والجمعيات والمنظمات والمحلات التجارية وغيرها من المصالح والشركات والمصانع باستخدام اللغة العربية السليمة في تسمياتها وفي وثائقها ومعاملاتها والكتب الصادرة عنها.

المادة الثالثة:

تلتزم المؤسسات التعليمية العامة والخاصة في كل مراحل التعليم العام والعالى والجامعي، باستخدام اللغة العربية السليمة لغة للتعليم والبحث العلمي، والحرص على تنشئة الطلبة على حسن التعبير بها لفظاً وكتابةً.

المادة الرابعة:

تلتزم وسائل النشر والإعلام جميعها، من صحافة وإذاعة وتلفزة باستخدام اللغة العربية السليمة نطقاً وكتابة في برامجها جميعها ومنشوراتها وإعلاناتها.

المادة الخامسة:

(أ) تسمى بأسماء عربية :

١. المدن والقرى والمواقع.
 ٢. المؤسسات التجارية والمالية والصناعية والعلمية والاجتماعية ومؤسسات الخدمات والترفيه والسياحة وغيرها من المؤسسات، بما في ذلك الشركات الأردنية التي تصنع منتجات بترخيص من شركات أجنبية.
 ٣. المصنوعات والمنتجات الأردنية.
- (ب) يجوز للشركات العالمية التي أصبح لأسمائها أو أسماء منتجاتها أو مرافقها شهرة عالمية أن تحتفظ بالاسم الأجنبي بعد إضافته إلى اسم عربي.

المادة السادسة:

أ. تكتب باللغة العربية السليمة:

١. الكتب الصادرة عن المؤسسات الرسمية، وغير الرسمية، العامة والخاصة.
 ٢. السجلات والوثائق والعقود والمعاهدات والاتفاقيات.
 ٣. البيانات والمعلومات المتعلقة بالمصنوعات والمنتجات الأردنية.
- (ب) يجوز أن ترافق ما هو منصوص عليه في الفقرة (أ) من هذه المادة ترجمة بلغة أجنبية على أن تكون العربية هي المعتمدة.

المادة السابعة:

أ- تكتب باللغة العربية:

١. لافتات المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية.
 ٢. رؤوس أوراق المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية ومطبوعاتها داخل الأردن وخارجه.
 ٣. أوراق النقد والمسكوكات والطوابع والميداليات الأردنية.
 ٤. العلامات التجارية التي تسجل في المملكة.
- ب- يجوز أن تضاف إلى الكتابة العربية فيما هو منصوص عليه في الفقرة (أ) من المادة ما يقابلها بلغة أجنبية، على أن تكون اللغة العربية أكبر حجماً وأبرز مكاناً.

المادة الثامنة:

على الوزارات والدوائر والمؤسسات أن تستعين بمتكئين من اللغة العربي كي تستوثق من سلامة العربية في رسائلها ووثائقها.

المادة التاسعة:

يعتمد مجمع اللغة العربية الأردني في وضع المصطلحات العلمية والفنية، وتلتزم برأيه الجهات المختصة.

المادة العاشرة:

يعاقب المخالف لأحكام هذا القانون بالعقوبات التالية:

١. إذا كان المخالف موظفاً، وارتكب المخالفة في أثناء أدائه واجبات وظيفته فيعاقب، عند تكراره المخالفة على الرغم من التنبيه تحريراً، بإحدى العقوبات الانضباطية المنصوص عليها في التشريعات النافذة.
٢. إذا كان المخالف غير موظف، سواء أكان شخصاً طبيعياً أم معنوياً، فينذر بإزالة المخالفة خلال مدة عشرين يوماً من تاريخ تبلغه بالإنذار وعند

امتناعه يعاقب بغرامة لا تتجاوز خمسمئة دينار، وعند عدم إزالته المخالفة خلال مدة عشرة أيام من تاريخ تبليغه بالغرامة يعاقب بالغلق لحين إزالة المخالفة.

المادة الحادية عشرة:

تعطى الجهات المعنية من المؤسسات العامة والخاصة التي ينطبق عليها هذا القانون مدة سنة لتصحيح أوضاعها وفقاً لأحكام هذا القانون.

المادة الثانية عشرة:

يصدر مجلس الوزراء الأنظمة اللازمة لتنفيذ أحكام هذا القانون.

المادة الثالثة عشرة:

يلغى أي نص تشريعي يتعارض مع أحكام هذا القانون.

المادة الرابعة عشرة:

يجري الالتزام بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الخامسة عشرة:

رئيس الوزراء والوزراء مكلفون بتنفيذ أحكام هذا القانون.

قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر

أصدر المجلس الشعبي الوطني الجزائري قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر، وقد بعث الأستاذ عبدالكريم خليفة، باسمه واسم أعضاء المجمع برسائل تهنئة إلى سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الجزائرية وإلى رئيس المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى الأمين العام لجبهة حزب التحرير الوطني الجزائري، وفيما يلي نص الرسالة التي بعث بها إلى سيادة رئيس الجمهورية الجزائرية:

"سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد حفظه الله"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أرفع إلى سيادتكم وإلى المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى شعب الجزائر البطل، باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، أسمى آيات التهاني وأصدق عبارات التحية والتقدير، على ما قام به المجلس الشعبي الوطني الجزائري بأكثريته الكاثرة، بإصدار قانون تعميم اللغة العربية، وإقرار سياسة التعريب الشامل، وجعله إحدى الثوابت الراسخة في بناء الجزائر الحديثة، بلد الجهاد والنضال والتقدم العلمي والحضاري، فالعربية هي لغة العروبة والإسلام، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي لغة أمتنا في امتدادها الحضاري عبر ما يزيد على أربعة عشر قرناً، وفي امتدادها الجغرافي الحديث من المحيط إلى أفاصي المشرق. وإنه لا إبداع ولا مشاركة أصيلة في بناء الحضارة العربية الحديثة إلا من خلال العربية، وإن إقرار هذا القانون في أعلى مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية في القطر الجزائري الشقيق، القطر المجاهد، بلد المليون

شهيد، لهو النموذج الذي نأمل أن تحذو حذوه الأقطار العربية الأخرى، التي ما زالت متخلفة عن اللحاق بهذه المرحلة التاريخية وقد جاء هذا القرار التاريخي ليثبت أن القضية اللغوية عند أية أمة من الأمم هي قضية سياسية تتصل بهوية الأمة وجوهر كيانها، وإن تاريخ نشوء الأمم وتحريرها، واضمحلالها أيضاً، في القديم والحديث، لشاهد على الصلة العضوية بين اللغة والإرادة السياسية.

وأخيراً، أدعو الله سبحانه وتعالى، أن يوفقكم وأن يسدد، إلى طريق الخير والفلاح مسعاكم، متمنياً لسيادتكم وللشعب الجزائري البطل دوام التوفيق والنجاح والسؤدد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مشاركة المجمع في الحركة الثقافية والعلمية

أ- الموسم الثقافي التاسع لمجمع اللغة العربية الأردني

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع، برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع عدة جلسات من أجل تحديد المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع لعام ١٩٩١م، وعناوين ندواته ومحاضراته، وقد أقرت اللجنة ما يلي:

أولاً: يكون المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع بعنوان "تعريب التعليم الجامعي في الأردن ضرورة قومية وتنموية".

ثانياً: يتألف الموسم الثقافي من ثلاث محاضرات وندوتين.

أما المحاضرات فهي:

١. المحاضرة الأولى "التعريب ضرورة تنموية".

٢. المحاضرة الثانية "دور مجامع اللغة العربية في التعريب".

٣. المحاضرة الثالثة "التعريب ووحدة الأمة".

أما الندوتان فالأولى بعنوان "واقع التعريب في الجامعات الأردنية" والثانية بعنوان "دور المؤسسات السياسية والعلمية والإعلامية في التعريب".

وسيبداً الموسم الثقافي التاسع، الساعة الخامسة من مساء يوم السبت بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٠ ويستمر إلى ١٩٩١/٥/١٨.

ب- تلقى الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع، رسالة من زميله الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان عضو المجمع، ورئيس جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" يطلب فيها الموافقة على إقامة حفل افتتاح هذا المؤتمر في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع. وقد رحب الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة بذلك، وبدأ المؤتمر أعماله بتاريخ ١٤١١/١/٢ هـ الموافق ١٩٩١/٧/٢٤ م.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذا المؤتمر قد نظّمته جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإسلامية في واشنطن وجامعتي اليرموك ومؤتة.

وقد ألقى معالي الأستاذ إسحق أحمد فرحان، كلمة افتتاح المؤتمر، ثم ألقى رؤساء الوفود والهيئات المشاركة كلماتهم، وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ضيف المؤتمر بحثاً علمياً مستفيضاً حول موضوع المؤتمر.

ج- تعريب لفظة Facsimile

أقر مجلس مجمع اللغة العربية الأردني ثلاثة معانٍ للفظة الأجنبية Facsimile وإيماناً من المجمع بتعميم استعمالات هذه المعاني في الوزارات

والمؤسسات العامة والخاصة والجامعات الأردنية ومراكز البحث العلمي والنقابات المختلفة فقد رفع الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المجمع رسالة إلى دولة رئيس الوزراء السيد مضر بدران وفيما يلي نصها:

دولة السيد مضر بدران الأكرم

رئيس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أرفع إلى دولتكم بأن مجمع اللغة العربية الأردني قد ناقش مصطلح (Facsimile) في أثناء مناقشته مصطلحات الراديو والتلفاز والكهرباء العامة. ووجد أن هذا المصطلح يدل في أصله الأجنبي على ثلاثة معان هي:

١- "Facsimile" بمعنى الأداة أو الجهاز الذي تتم بوساطته عملية الإرسال والاستقبال.

٢- "Facsimile" بمعنى العملية نفسها.

٣- "Facsimile" بمعنى النسخة المرسلة.

ومن الواضح أن اللفظة الأجنبية "Facsimile" تدل على معان مختلفة وأن تعريبها بكلمة "فاكس أو فاكسملي" لا يفي بالغرض المطلوب لأن اللفظة المعربة ليس فيها مرونة اشتقاقية تساعد على أن يشتق منها أفعال أو مصدر أو اسم آلة أو غير ذلك من المشتقات، كما أن فيها مجانية صرفية لأبنية العربية، فضلاً عن ثقل اللفظ.

وبعد مناقشة دلالات هذا المصطلح أقر مجلس المجمع بأن تكون المقابلات العربية له على النحو التالي:

١- تَأْسُوخ، إذا قصد به الأداة، وهو على وزن فاعول باعتباره اسم آلة.

٢- تَوْسَخَة، إذا قصد به العملية نفسها، والفعل منه تَوْسَخَ يُتَوْسَخُ.

٣- تَسِيخَة، إذا قصد به النسخة المرسلة، وهو على وزن فعيلة، كما نقول: صحيفة.

ومن الملاحظ أن هذه المقابلات تتصف بمرونة الاشتقاق، ودقة الدلالة، وسهولة الاستعمال وسيؤدي ذلك كله وما تحمله هذه اللفظة من ظلال المعاني الموحية لهذه الآلة الحضارية الحديثة، إلى جعل هذه المقابلات العربية أكثر شيوعاً، وأسهل استعمالاً في الأوساط العلمية والعامة.

وبناء على توجيهات دولتكم وحرصكم على سلامة لغتنا وجعلها مواكبة روح العصر في مختلف المجالات التقنية والعلمية والفنية، وتعزيز مكانتها في حياتنا العلمية والعملية، وتعميم استخدام هذا المصطلح لدى جميع مستخدميها في الأردن فإننا نأمل أن تتكرموا - دولتكم - باتخاذ ما ترونه مناسباً من أجل اعتماد المقابلات العربية الآتية الذكر، في جميع المعاملات والمراسلات التي تصدر عن الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات العامة والخاصة في الأردن.

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أرفع إلى دولتكم باسمي وباسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني خالص شكرنا وعميق تقديرنا على جهودكم الطيبة التي تبذلونها من أجل رفعة أردننا العزيز في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة، تحت قيادة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم، حفظه الله ونصره.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام"

كما وجه الأستاذ رئيس المجمع رسائل إلى الجامعات العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمؤسسات العلمية في الوطن العربي تضمنت المعاني التي أقرها مجلس المجمع لكلمة "Facsimile" بغية تعميمها والإفادة منها، حرصاً على توحيد المصطلحات العلمية على مستوى الوطن العربي.

د- التقى الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩١/١/١ رئيس وأعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية التابعة لنقابة الأطباء الأردنيين وهم الدكتور فتحي أبو مغلي رئيس الجمعية والدكتورة سري سبيع العيش والدكتور أحمد العرموطي.

وشارك في اللقاء أعضاء لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في مجمع اللغة العربية الدكتور قنديل شاكر مقرر اللجنة والدكتور أكرم الدجاني والدكتور عاصم الشهابي، وشارك في الاجتماع الدكتور عبدالحميد الفلاح الأمين العام للمجمع.

أثنى الدكتور خليفة على جهود أعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية ونقابة الأطباء لتوجههم القومي وحرصهم على تأصيل العلوم الطبية باللغة العربية مشيراً إلى جهود المجمع في مجال تعريب العلوم بصورة عامة والعلوم الطبية بصورة خاصة.

وقال إن تعريب العلوم المختلفة ضرورة حتمية وقضية قومية يفرضها تعدد مصادر المعرفة والمشاركة الفاعلة والمبدعة في الحضارة الإنسانية مشيراً إلى جهود المجمع في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي حيث أصدر ثمانية عشر كتاباً من أمهات الكتب العلمية في الفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم الحياتية وعلم طبقات الأرض كما دعم نشر عدد من الكتب العلمية المختلفة، ورفع مشروع قانون اللغة العربية إلى مجلس الوزراء لاتخاذ الإجراءات المناسبة بشأنه.

وتم خلال اللقاء عرض المشروعات التي أعدتها لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في المجمع في مجال تعريب المصادر الأساسية في الطب.

وناقش المجتمعون الأسس الرئيسية لوضع مشروع متكامل لتعريب العلوم الطبية والسبل الكفيلة بإنجاح هذا المشروع مؤكدين حرصهم على التنسيق والتعاون مع المجمع لتحقيق هذا الهدف.

هـ- زار عميد كلية الهندسة في جامعة العلوم والتكنولوجيا في السودان، ومدير مكتبها مجمع اللغة العربية الأردني، والتقى رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، وذلك من أجل معرفة الجهود التي بذلها مجمع اللغة العربية الأردني في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي، والإفادة من هذه الجهود فيما يبذله السودان الشقيق في مجال تعريب العلوم العامة والعلوم الهندسية بخاصة.

وقد أطلع الأستاذ الرئيس الضيفين على جهود المجمع في هذا المجال، وأبدى الضيفان إعجابهما بهذه الجهود، وقد تم تزويدهما بثلاث نسخ من كل كتاب علمي أصدره المجمع في مجال التعريب.

مجمعيون في ذمة الله

١. الأستاذ الدكتور جميل سعيد

نعى المجمع العلمي العراقي ببغداد المربي الفاضل والأستاذ الكبير الدكتور جميل سعيد، العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني، وقد بعث رئيس المجمع ببرقية تعزية إلى السادة أنجال الفقيد وإخوته وعائلته وفيما يلي نصها:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر تعازينا وصادق مشاركتنا وعظيم إحساسنا بالمصاب الأليم والرزء الكبير بوفاة الأستاذ الجليل والعالم الأريب والمربي الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور جميل سعيد. وقد كان لهذا النبأ الفاجع أعظم الأثر في نفوسنا، وعزاؤنا جميعاً أن الأستاذ الفقيد قدم لنفسه بين يدي ربه من خدمة لغة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي ما يخلد ذكره في الدنيا ويعلي درجته في الآخرة.

ونضرع إلى الله العلي القدير أن يحفظكم وأن يتعمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء وموصول الدعاء له. وأن يجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون".

كما بعث إلى الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي، ببرقية التعزية التالية:

"الأخ الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي حفظه الله

رئيس المجمع العلمي العراقي/الوزيرية - بغداد

ص.ب (٤٠٢٣) - الأعظمية/ العراق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا ببالغ الحزن وعظيم الأسى نبأ وفاة زميلنا المجمعى الجليل والعالم الكبير والأديب الأريب والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور جميل سعيد، وإنني لأبعث إليكم باسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي، وأعظم مشاعر الحزن والألم بالفقيد الراحل الذي نعد فقده مصاباً لنا جميعاً وللغة العربية وللمجامع اللغوية العربية وللأدب والفكر والتراث العربي الإسلامي، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وألهمكم بعده الصبر والسلوان، وجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون".

ولد الفقيد سنة ١٩١٦ في عانة، وتلقى فيها دراسته الأولى، ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية، ثم تابع دراسته في الجامعة المصرية، وبعد أن حصل على الإجازة الأولى (الليسانس) ١٩٤٣ تابع تحصيله العلمي بإشراف المرحوم الأستاذ أحمد أمين فنال شهادة (الماجستير) في رسالته عن "تطور الخمریات في الشعر العربي" سنة ١٩٤٥ و (الدكتوراه) في رسالته "الوصف في الشعر العراقي" سنة ١٩٤٧، وكانت صلته بالتعليم الجامعي مبكرة، فقد عين في سنة ١٩٤٥ مدرساً بدار المعلمين العالية ببغداد، ثم انتقل إلى كلية الآداب والعلوم في أول تأسيسها سنة ١٩٤٩، وظلت صلته بها متتابعة، كان فيها أستاذاً للأدب العربي ورئيساً لقسم اللغة العربية، ومعاوناً لعميدها، ثم تولى عمادة كلية الآداب سنة ١٩٦٤، بعد أن قضى سنة عميداً لكلية الشريعة.

وامتدت خدماته الجامعية إلى أقطار من الوطن العربي، فقد قضى عدة سنوات أستاذاً في جامعة الرياض سنة ١٩٧١ ثم انتقل إلى جامعة الإمارات العربية، ولما انتهت خدماته فيها لبلوغه السن القانونية عاد إلى وطنه في بغداد إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

شارك الفقيه خلال مسيرته العلمية بعدد من الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات العلمية المعنية بموضوع اختصاصه وكانت صلته بالمجامع وثيقة، فقد عين عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ وظل فيه بعد إعادة تشكيله سنة ١٩٧٧ وكان أيضاً عضواً مؤزراً في المجامع العربية الثلاثة، في القاهرة ودمشق والأردن.

وقد أغنى المكتبة العربية بإنتاجه الغزير في مجال تحقيق التراث والتأليف والترجمة ومن أهم مؤلفاته:

تحقيق "ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات" وشارك في تحقيق "الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور" لابن الأثير، وتحقيق الجزء الخاص بشعراء العراق من "خريدة القصر"، للعماد الأصفهاني، ومن مؤلفاته أيضاً "نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق"، "وتاريخ الأدب العربي" و"دروس في البلاغة وتطورها".

وقد نشر عدداً كبيراً من البحوث والمقالات الأدبية في كثير من الدوريات العربية المحكمة، كما أشرف على إعداد رسائل جامعية كثيرة ومتعددة.

وقد كان حافظاً للشعر، بارعاً في الاستشهاد به، كما كان صاحب طبع هادئ ودمائه في الخلق، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

٢. الدكتور إسحق موسى الحسيني

في يوم الاثنين ١٧/١٢/١٩٩٠، نعى مجمع اللغة العربية الأردني علماً من أعلامه البارزين في الأدب والثقافة، عضو المجمع الأديب الكبير والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني.

ولد الفقيد سنة ١٩٠٤، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب سنة ١٩١١م. ثم التحق بالمدرسة (المنجكية) و(الرصاصية) و(الرشيدية)، و(يلوز سلطان سليم) و(نيتر الزراعية) و(الكلية الصلاحية) و(الفرير) وأتم تعليمه الثانوي في (الكلية الإنجليزية) سنة ١٩٢٣، وفي السنة نفسها التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ونال شهادة الدبلوم في الصحافة، ثم عاد إلى القدس عام ١٩٢٥ وعين مدرساً في المدرسة (الرشيدية)، وكان في الوقت نفسه طالباً في مدرسة الحقوق في نابلس.

وفي عام ١٩٢٦م التحق بالجامعة المصرية في القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٢٩/١٩٣٠، والتحق في العام التالي بجامعة توبنجن بألمانيا وتخصص في اللغات السامية لمدة فصلين متتاليين، ثم عاد إلى لندن حيث نال دبلوم مقارنة اللغات السامية، والدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٤م، وعاد في السنة نفسها إلى القدس، وعمل في المدرسة الرشيدية، ثم في الكلية العربية من (١٩٣٤-١٩٤٦) ثم عين مفتشاً أعلى للغة العربية في إدارة المعارف العامة بفلسطين من (١٩٤٦-١٩٤٨).

وغادر فلسطين قاصداً حلب عام ١٩٤٨م، وأقام فيها سنة واحدة، ثم غادرها إلى بيروت عام ١٩٤٩، وعمل مدرساً في الجامعة الأمريكية من (١٩٤٩-١٩٥٤) وأعير عام ١٩٥٢ للتدريس في جامعة مكجيل في كندا لمدة عام واحد.

وغادر بيروت إلى القاهرة سنة ١٩٥٥م، حيث عمل أستاذاً في معهد الدراسات العربية العالية، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية في المعهد.

بدأت صلته بالمجامع اللغوية العربية سنة ١٩٦١، عندما اختير عضواً في المجمع العلمي في بغداد، ثم انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب عضواً في مجمع البحوث الإسلامية هناك عام ١٩٦٢. وفي عام ١٩٨٥ تمّ انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني.

وقد انتدب الفقيه للتدريس في جامعة مكجيل في كندا من (١٩٦٣-١٩٦٩) ورجع بعدها إلى القاهرة، وبقي فيها أستاذاً في الجامعة الأمريكية حتى سنة ١٩٧٣، وعاد إلى القدس واستقر فيها.

وفي عام ١٩٨٢ انتخب عضواً في مجلس أمناء كلية العلوم والتكنولوجيا، في جامعة القدس ورئيساً لكلية الآداب للبنات، وهي إحدى كليات الجامعة، ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة نفسها.

وله عدة مؤلفات في الفكر والأدب منها: "أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم"، و"الأدب والقومية العربية"، و"أزمة الفكر العربي" و"الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه" و"تعريب العرب" و"عروبة بيت المقدس" و"العنصرية أساس قيام إسرائيل" و"الأدب العربي الحديث" و"المدخل إلى الأدب العربي المعاصر" و"مكانة بيت المقدس في الإسلام"، و"النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين" و"عودة السفينة" و"مذكرات دجاجة".

وبفقد المرحوم فقد الوطن مناضلاً ومرابطاً في بيت المقدس، كما فقدت المجامع اللغوية العلمية العربية عالماً جليلاً من علمائها البارزين، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣. الدكتور أحمد سليم سعيدان

نعى مجمع اللغة العربية الأردني، عضو الشرف، العالم الكبير والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد سليم سعيدان الذي وافته المنية، صباح يوم الأربعاء ١٤١١/٧/٨ هـ الموافق ١٩٩١/١/٢٣ م.

ولد الفقيد في صدد من مدن فلسطين سنة ١٩١٢، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي، وأكمل تعليمه الثانوي في الكلية العربية في القدس، ثم أرسل في بعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت ونال شهادة البكالوريوس، في الرياضيات.

عمل في التعليم في الكلية الرشيدية، والكلية العربية في القدس من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٤٨، ووضع خلال هذه المدة كتباً عدة في الرياضيات لطلاب المدارس الثانوية، كما كان يعد نشرة بالأنباء العلمية للإذاعة من محطة القدس، وساهم في الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية.

نال درجة الشرف الثانية في الرياضيات من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ وعمل في التعليم العالي لدى الحكومة السودانية، وجامعة الخرطوم من سنة ١٩٤٨ إلى ١٩٦٩، وضع خلال هذه المدة كتباً عدة في الرياضيات لطلاب المدارس السودانية، وقد نال شهادة الدكتوراه في تاريخ الرياضيات عند العرب.

وفي سنة ١٩٦٩، التحق بهيئة التدريس في كلية العلوم بالجامعة الأردنية، وفيها حصل على رتبة الأستاذية، وشغل منصب عميد كلية العلوم مدة سنتين.

وفي سنة ١٩٧٩ شارك في تأسيس جامعة القدس، وأسس كلية العلوم في "أبو ديس" واستمر فيها إلى أن أبعدته سلطات الاحتلال اليهودي، وأقفلت الكلية قرابة السنة. ومنذ ذلك التاريخ عكف - رحمه الله - على الكتابة والتأليف في تاريخ الرياضيات عند العرب وتحقيق المخطوطات النادرة، وقد أغنى الفقيد المكتبة العربية العلمية بمؤلفات علمية وتراثية وترجمات عديدة، فكان له أكثر من ثلاثين

كتاباً تدريسياً معظمها بالاشتراك مع آخرين، وحوالي خمسين بحثاً منشوراً، وله عدة كتب في تاريخ الرياضيات عند العرب تشمل نحو ثلاثين مخطوطة. وترجم عدة مؤلفات رياضية إلى العربية، وكانت له جهود مشكورة في إنجازات مجمع اللغة العربية الأردني بعامة وفي مجال تعريب التعليم العلمي بخاصة.

ومن مؤلفاته: كتاب "الفكر الإنساني في طفولته" و"قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية، محاولة تاريخية".

وقد ترجم كتاب البحث عن الحل، وشارك في ترجمة كتب رياضية عدة منها: التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية، وكتاب مبادئ المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها، وكتاب الجبر المجرد، وكتاب مبادئ التحليل الرياضي.

وحقق عدداً من المخطوطات الرياضية منها: كتاب أبي الوفاء البوزجاني وكتاب الفصول للإقليدسي، ورسالة تسطيح الصور وتبطيح الكور للبيروني، ورسالة الأعداد المتحابية لثابت بن قرة.

وانتخب عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٩م، وعضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م.

وإن فقدته خسارة كبيرة للتراث العلمي العربي الإسلامي، وللمجامع اللغوية والعلمية العربية، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي

يحرص مجمع اللغة العربية الأردني على التعاون والتنسيق بينه وبين المؤسسات العلمية والتعليمية في داخل الأردن وخارجه، وانطلاقاً من ذلك تعهد المجمع بأن يقوم بتأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي لحساب وزارة التربية والتعليم في الأردن.

ألف المجمع لجنة للإشراف العلمي على عملية تأليف هذه الكتب كما ألف لجاناً للتأليف حرص على أن تتوافر فيها الكفايات العلمية والخبرات التربوية، وقد فرغت اللجان من تأليف كتب الصفوف: الأول والخامس والتاسع من هذه المرحلة، وعرضت على الفريق الوطني وعلى مجلس التربية والتعليم فأقرها. وباشرت بتأليف كتب الصفوف: الثاني والسادس والعاشر من هذه المرحلة.